الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: اللسانيات العربية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

بعنوان:

بنية الكلمة بين العَربيّة والعِبْريّة

–دراسة مقارِنة–

إعداد الطالبة:

سعـــاد بلعبـاس

إشراف:

أ.د. عبد الناصر بوعلي

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د عبد الناصر بوعلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرّرا
د. رشيدة رسطان	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د أمينة طيبي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
أ.د. عبد القادر بوشيبة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	عضوا
أ.د سعاد بسناسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا

السنة الجامعية: 1438–1439هـ الموافق لـ 2017–2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أبي الزكيّة الطاهرة بجوار ربّها.

إلى: أمي الحنون أطال الله في عمرها.

إلى سندي في هذه الحياة: زوجي العزيز.

إلى فلذات كبدي حفظهم الله:

منـال ومحمّد نذير وإليـــاس

إلى أولى القبلتين وثاني الحرمين: فلسطين الحبيبة

أهدي ثمرة هذا الجهد.

سعاد

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر لله أوّلا وآخرا، صاحب الفضل والمنّة.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأول: الدكتور "المهدي بوروبة" الذي نهلت من مدرسته علم الأصوات، منذ سنوات التدرج إلى أن تقاعد، وترك فراغا كبيرا في نفسي يصعب ملؤه. فجزاه الله عني بكل خير، وأدعو له بالصّحّة والعافية أينما حلّ وارتحل.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان بالجميل إلى أستاذي الدكتور "عبد الناصر بوعلي" الذي مدّ لي يد العون في متابعته الإشراف على هذا العمل، فكان بحقّ نعم المعين والسّند. فله مني كلّ التقدير الاحترام..

وأتقدّم بخالص الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة التي وافقت منح هذا العمل وقتها وجهدها لقراءته قصد تصويبه وتقويمه، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور "عبد الجليل مرتاض".

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا الكريم، أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين المطهّرين، وصحبه المكرّمين، ومن تبعه بحقّ وصدق إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فلو أراد الإنسان أن يفكّر بوجوده في الكون وخالقه لاحتاج فورا إلى كلمات، فيروح يبحث في ذهنه عن كلمات تترجم ما يقصده ليجد مراده في نهاية المطاف، فكلّ سؤال يحتاج إلى جواب، ولكن قبل طرح السؤال لا بدّ من وجود هذه الكلمات لتفسّر رغبة الإنسان في المعرفة التي تدفع الذّهن إلى البحث والتدقيق، إذ كيف سيعيش إن لم يملك اللغة التي يعبّر بها عن كلّ معنى يرد في ذهنه.

والكلمة جزء من اللغة، على أساس أنّ اللغة نظام يتكوّن من عدّة أنظمة، يتكوّن من مجموعة من العلامات والرموز، والتي بدورها تتكوّن من أصوات يُحدِثها أعضاء النطق الإنساني وتدركها الأذن. وهذه الأصوات تأتلف بطريقة مخصوصة لتكوين كلمات ذات معاني خاصة بهذه اللغة أو تلك، ثمّ جمل، فعبارات إلى ما فوق ذلك، وكلّ هذا يصبّ في نظام واحد متكامل ومتناسق يسمى بالنّظام اللّغوي. وتأخذ الكلمة في هذا النظام مكانة خاصّة، إذ انفردت باهتمام خاصّ من علماء اللغة قديما وحديثا.

وقد يبدو من الغرابة الحديث عن "الكلمة" واستعمال هذا المصطلح في بحث لسانيّ أكاديمي، إذ قيل في مفهومه ما قيل؛ لاتساع حدود معناه، وقد اعتبره اللّسانيون تصوّرا غير ملائم لما يقتضيه المنهج اللسانيّ من دقّة وضبط. لكن تسرُّعُنا في وضعه في عنوان هذه الرسالة كان دونما تمحيص بادئ الأمر، إذ تعذّر علينا تصحيحه لدى الجهات المسؤولة لتجاوزنا آجال التصحيح، وقد كان من المفترض وضع مصطلح "الكَلِم" بدل "الكلمة" ونقصد بذلك أصغر وحدة لسانية دالّة كما هي في

مفهوم الدّرس اللساني الحديث، وعلى كلّ فحينما نستعمل الكلمة فنحن نعني بذلك مفهوم الكلِم للدّلالة على كونها أصغر وحدة ذات معنى في اللسان.

تشكّل الكلمة موضوعا تتجاذبه العديد من العلوم التي تناولتها بالبحث والدّراسة، كعلم الأصوات، وعلم الصّرف، وعلم النحو، وعلم الدّلالة، وعلم المعاجم وغيرها. ومن هنا حاول بعض علماء اللغة جاهدين تحديد مجال الكلمة، وهذا بالنظر إلى البنية المورفولوجية للكلمة تارة، أو بالنظر إلى موضع الكلمة من التركيب الذي ترد فيه تارة أخرى، أو بالنظر إلى دلالة الكلمة ومعناها.

وفي هذه الدّراسة سنتناول الكلمة باعتبارها أصغر وحدة لسانية دالّة، ودون الخوض في الخلاف بين اللّسانيين في مسألة التقسيم عموما.

ونظرا لأهمية الكلمة بمفهومها الحديث في البحوث اللسانية المعاصرة، ولا سيما في الدّراسات المقارنة منها، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: **بنية الكلمة بين العربية والعبرية– دراسة مقارنة–**، وقد يتبادر إلى الذهن أنّ هذه الدراسة متوقفة على الجانب الصرفي بالنظر إلى العنوان (بنية الكلمة) لكننا سنخصّ هذه الدّراسة من جانبها الصوتي (فونيتيكيا وفونولوجيا) لتعالج البنية الصوتية بين لغتين تنتميان إلى أرومة واحدة، تدعى باللغات السامية–تجاوزا– إذ لا يقوم الدّرس المقارن حسب النظرة اللسانية المعاصرة إلاّ إذا كانت اللغتان منتميتين إلى عائلة واحدة.

وتنوعت الدوافع التي أدّت بنا لاختيار هذا الموضوع عنوانا لأطروحتنا بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي؛

فأما الدّوافع الذاتية، فتمثلت في رغبتنا في مواصلة البحث المقارن بين العربية والعبرية، استكمالا لما بدأناه في بحثنا السابق المعَدّ لنيل شهادة الماجستير والموسوم: نظام الصوائت بين العربية والعبرية – دراسة مقارنة– بإشراف أستاذي المشرف السابق: أ.د. المهدي بوروبة، الذي منحنا فرصة تعلّم اللغة العبرية، حينما كنا نزاول دراسة المقاييس النظرية للماجستير بين سنة 2004و2006م، ولتبقى اللغة العبرية محفوظة لدينا من باب: "من تعلّمَ لغةَ قومٍ أَمِنَ شرَّهم".

وأما الموضوعية؛ فللتشابه الكبير بين العربية والعبرية؛ إذ إنّ معظم علماء اللغة عربا ومستشرقين يرون أنّ اللغتين بقيتا محتفظتين بكثير من الأصول السامية القديمة في المفردات والقواعد الصوتية والصرفية وكذا النحوية؛ ولتفسير بعض الظواهر اللغوية في العربية استنادا بما هو كائن في اللغة العبرية، وقد يقتضي الأمر الاعتماد على اللغات السامية الأخرى لتذليل ما غَمُض من تلك الظواهر وتفسيرها.

إنّ الدّراسات اللسانية المقارنة في اللغات السامية باللغة العربية، قليلة إذا ما قارنّاها باللغات الأجنبية الأخرى، ولعلّ أهمّ ما خُصّص لمثل تلك البحوث، ما تعلّق منها بجهود المستشرقين؛ إذ لهم فضل إثراء الساحة العلمية بذلك. ثمّ إنّ أغلب الدراسات المقارنة التي تناولها الباحثون العرب اقتصرت في عمومها على جوانب تاريخية من دراساتهم للغات السامية.

وتتمّ المقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتماء هاتين اللغتين إلى أسرة لغوية واحدة، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة.

وبناءً على ذلك، فإن نتيجة أيّ مقارنة لغويّة فائدتها معرفة مقدار الشبه ومدى القرابة بين اللغتين المنتميتين إلى أصل واحد يعرف باللّغة الأم في اصطلاح المختصّين في مجال علم اللغة المقارن.

وقد ترتَّب على معرفة حقيقة هذا التشابه، أنِ استعان بها الدارسون للتعرّف على تطوّر كثير من الظواهر في هذه اللغات، بموازنة إحداها بالأخرى. وقد توافرت لهذه اللغات خصائص جعلت وجه الشبه بينها أوثق من وجه الشبه بين مجموعة اللغات الهنديّة الأوروبيّة. ولعلّ الخصيصة الاشتقاقية التي بُني عليها هيكل التطوّر اللغويّ في السّاميّات عموما قد وفّر لها من أواصر الشبه ما لم يتوافر للغات الهندية الأوروبيّة. فإلى أيّ حدّ يصل التشابه بين العربيّة والعبرية في النّواحي الصوتية للكلمة، وما ملامحه، ثمّ ما هي نقاط الاختلاف الصوتي بين كلتا اللغتين؟ وكيف تألّفت الكلمة العربية حتى تميزت بجمالية تفوق جمالية أيّ لسان آخر؟وما السرّ في ذلك؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، توزّعت الخطة العامّة لهذه الدراسة على مدخل وأربعة فصول ذيّلناها بخاتمة. وقد جاءت على النّحو التالي:

أمّا **المدخل** الذي تعرّضنا فيه للنواحي التاريخية، فتناولنا فيه **صلات القرابة اللغوية بين العربية والعبرية** فذكرنا فيه مجموعة اللغات السامية، وفصّلنا في أقسامها وما انحدر منها من لغات، ثمّ تحدّثنا عن مصطلح القرابة اللغوية، وحدّدنا مفهومه في الفكر اللغوي العربي القديم، ثمّ عرّجنا بالحديث عن خصائص اللغات السامية ومميّزاتها من خلال تحديد نقاط التشابه والاختلاف، وعزّزنا ذلك بالأمثلة المناسبة.

ثمّ خصّصنا الفصل الأوّل الموسوم بـ: **مفاهيم لسانية حول البنية والكلمة** للجانب النّظري، فعرضنا فيه لمصطلحين اثنين بُني عليهما الموضوع العام لهذا البحث هما: الكلمة والبنية؛ أمّا المصطلح الأول أي **البنية** فبيّننا مفهومه وخصائصه في الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة، نظرا لشيوعه وذيوعه في السّاحة العلمية عند علماء اللسان الغربيين والعرب، بينما المصطلح الثاني؛ فتحدّثنا فيه عن قضية **الكلمة** التي تباينت فيها المفاهيم في الدراسات اللسانية قديما وحديثا بين علماء اللّسان العرب والغرب.

ويأتي الفصل الثاني الموسوم بـ **"البنية الصوتية للكلمة بين العربية والعبرية"** ليعالج الكلمة من حيث أصغر مكوّناتها؛ أي الأصوات، فتعرّضنا فيه لمفهوم الصّوت اللغوي وكيفية حدوثه، وخصّصنا دراسته للأصوات اللغوية بقسميها: الصوامت والصوائت في إطار المقارنة التي يعقدها بين اللغتين العربية والعبرية. فتناولنا الطبيعة الصوتية لكل جنس من تلكم الأصوات، وبيّنا مخارجها وصفاتها وأنواعها وتنوّعاتها النطقية التي تنشأ عنها إلى غير ذلك.

وأمّا الفصل الثالث فقد تناول **البنية الفونولوجية للكلمة بين العربية والعبرية** من جانبين اثنين؛ عُني الجانب الأوّل بظّواهر التشكيل الصوتي للكلمة بين اللّغتين، فتعرّض لظواهر المماثلة والمخالفة والحذف والقلب المكاني، وبيّن مفهوم تلك الظواهر وأنواعها وأوضح ذلك بالأمثلة المناسبة لكل نوع، ثمّ اهتمّ الجانب الثاني بالظواهر الأدائية؛ كالمقطع والنبر والتنغيم، وحدّد أنواعها وشروطها في كل لغة معزّزا ذلك بالأمثلة.

ثمّ جاء الفصل الرابع ليستأثر بالحديث عن **قوانين المقابلات الصوتية وأثرها في تأليف الكلمة،** فعُقد للدراسة المقارنة بين المقابِلات الصوتية بين العربية والعبرية ثمّ عرّج لمفهوم القوانين الصوتية وخصائصها وأنواعها وذكر الغاية منها. ثمّ وقف بعد ذلك على أثر تلك القوانين في تأليف الكلمة وتشكيل بنيتها؛ إذ بيّن كيفية تعامل الأصوات فيما بينها لتأليف الكلمة العربية، وحدّد شروط تأليف الصوامت والصوائت وطرق بنائه، ثم اختَتم الفصل حديثَه عن أثر فصاحة الكلمة العربية في جمالية اللسان العربيّ.

وكانت الخاتمة حوصلة لأهمّ النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة.

وقد اعتمدَت هذه الدراسةُ المنهجَ الوصفيّ المقارن في الأغلب الأعمّ، والتاريخي في بعض الحالات قوامه الاحتكام إلى الموضوعية، مع الاستعانة ببعض الطرق الإجرائية التي تفيد عملية المقارنة، كالملاحظة والتحليل والتعليل والتفسير والاستنتاج وغيرها.

ومن أهمّ المصادر التي كانت عمدة هذا البحث نذكر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والكتاب لسيبويه، وكلّ من سرّ صناعة الإعراب والخصائص واللمع في العربية والمنصف لابن جنّي وغير ذلك.

أمّا المراجع فأهمّ ما اعتمدنا عليه: فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ودروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو، والتطوّر اللّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه لرمضان عبد التواب، والأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس وعبد القادر عبد الجليل، ودروس اللغة العبرية لربحي كمال، وقوانين المقابلات

الصوتية في اللغات السامية لمحمود فهمي حجازي، وأثر القوانين الصوتية في بنية الكلمة لفوزي الشّايب وغيرها.

إنّ هذه الدراسة ممتعة ومغرية، ورغم ذلك يحفّها الكثير من المشاق والصعوبات كأي بحث علمي؛ لأنّ البحوث المقارنة تحتاج إلى معرفة أوفر باللغة المقارن بها، فلا يمكن أن نجني العسل دون التعرّض للَسعات النحل.

وما كان هذا العمل المتواضع ليظهر إلى النور لولا عون الله، ثمّ احتضان أستاذي المشرف بقبوله الإشراف عليه.

وفي ختام هذا التقديم لا يسعني إلاّ أن أقدّم جزيل شكري لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: عبد الناصر بوعلي الذي وافق على إشرافه لهذه الأطروحة وأحاطها بالعناية والمتابعة-بعد تقاعُد أستاذي المشرف الأوّل الدكتور المهدي بوروبة بسبب مرضه الذي نرجو له الشفاء وندعو له بالمعافاة- فسهّل ما صعُب عليّ فيها وبسّط ما كان معقّدا منها، فهو بحقّ نعم المرشد والمعين فجزاه الله عنّي كلّ خير.

كما أتقدّم بخالص الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة التي وافقت منح هذا العمل وقتها وجهدها لقراءته قصد تصويبه وتقويمه، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض.

تلمسان يوم الأربعاء:

14 ذو الحجة 1438هـ الموافق لـ 05 سبتمبر2017

سعـــاد بلعباس

جدول الرمـــــوز الصوتية

حروف الطباعة		كتابة اليد		اسم الحرف	مقابله بالعربية	حروف الطباعة		كتابة اليد		اسم الحرف	مقابله بالعربية
الحرف	الحرف في نهاية الكلمة	الحرف	الحرف في نهاية الكلمة			الحرف	الحرف في نهاية الكلمة	الحرف	الحرف في نهاية الكلمة		
א		א		אָלֶף	أ	מ	ם	מ	ם	מֵם	م
ב		ב		בֵּית	ب	נ	ן	נ	ן	נוּן	ن
ג		ג		גִּימֶל	ج	ס		ס		סָמֶךְ	س
ד		ד		דָּלֶת	د	ע		ע		עַיִן	ع
ה		ה		הֵא	ھ	פ	ף	פ	ף	פֵּא	ف
ו		ו		וָו	و	צ	ץ	צ	ץ	צָדִי	ص
ז		ז		זַיִן	ز	ק		ק		קוּף	ق
ח		ח		חֵית	ح	ר		ר		רֵישׁ	ر
ט		ט		טֵית	ط	שׁ		שׁ		שִׁין	ش
י		י		יוֹד	ى	שׂ		שׂ		שִׂין	س
כ	ך	כ	ך	כָּף	ك	ת		ת		תָּו	ت
ל		ל		לָמֶד	ل						

ص= الصامت

م= المصوت

المدخل

صِلاتُ القَرابَة بين العربيّة والعبرية

تمهيد:

تمثل اللغة العربية إحدى ما يسمى باللغات السامية، ومن أهم الفصائل اللغوية التي ذكرها العلماء إثر تقسيمهم للغات الإنسانية: فصيلة اللغات الهندية الأوربية وفصيلة اللغات السامية الحامية، والفصيلة الطورانية[1]. ومن كل فصيلة تنحدر مجموعة أو أكثر، والذي يهمنا من هذا التقسيم مجموعة اللغات السامية*.

يرى أغلب الباحثين في مجال اللّسانيات المقارنة أن أفضل أساس في تقسيم اللغات الإنسانية على مجموعات أو أسرات، ذاك الذي يعوّل على صلات القرابة اللغوية " فتنشأ من كل مجموعة متماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب، فصيلة من الفصائل تؤلف بينها غالبا روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية"[2].

ومعنى هذا أن التشابه الذي بين هذه الأسرة ليس من محض الصدفة، فمن غير الممكن أن يكون هناك تشابه أو توافق عفوي بين هذه المجموعة أو تلك يتعدى مستوى الصوت إلى قواعد البنية وتركيب الجمل، من دون أن يكون هناك سبب. إنّ هذا التشابه أو التوافق يدل على وجود أصل لغوي عريق، قد بقيت بعض آثاره مشتركة إلى حد ما في فروعه أو بعض منها. ويطلق المستشرقون على هذا الأصل اسم اللغة الأم.

[1]- ينظر: العربية عبر القرون، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، ط2، 1978: 15، وفقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972م: 41.

*- هناك عدد كبير من المجاميع اللغوية يتفرع منها عدد كبير من اللغات و اللهجات أحصاها العلماء إضافة إلى ما ذكرنا، لكن عدلنا عن ذلك لعدم حاجة البحث إليها.

[2]- فقه اللغة و خصائص العربية، محمد المبارك: 41.

1. نبذة وجيزة حول مجموعة اللّغات السامية:

يُطلق لفظ اللغات السامية على "جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وأفريقية سواء منها ما عفت آثارها، وما لا يزال باقيا إلى الآن"[1]. وتتألف هذه الطائفة من اللغات من ثلاث شعب:[2]

أ. **اللّغات السامية الشرقية**:وهي لغات ما بين النهرين كالأكادية وتنقسم إلى لهجتين: البابلية وهي لهجة الجنوب، والآشورية وهي لهجة الشمال.

ب. اللغات السامية الغربية: وهي لغات منطقة الشام وتضم لغتين: **الكنعانية والآرامية.**

أما الأولى أي الكنعانية: فقد استوطن أهلها في بلاد سورية وفلسطين، ويبدو أنهم نزحوا من شبه الجزيرة قبل 2500 قبل الميلاد، وتنقسم إلى قسمين: الكنعانية الشمالية وتمثلها الأوجاريتية أو الاجريتية، والكنعانية الجنوبية التي تشمل:

[1]- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980م: 02، وينظر: من الساميين إلى العرب، نسيب وهيبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت: 09.

[2]- ينظر: تاريخ اللغات السامية:2، ومن السامين إلى العرب:21، وفقه اللغة و خصائص العربية:49-54، وفصول في فقه الله، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1408هـ- 1984م:41. الآداب السامية، محمد عطية الأبراشي، دار الحداثة لبنان، بيروت، 1978: 18، ودروس اللغة العبرية، ربحي كمال، دار النهضة العربية، بيروت، 1978: 07، وفقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، مصر، ط6، 1388هـ- 1968م:2-3، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، ط2، 1995: 70-75.

- **العبرية**[*] :

و أهم نص كتب بها كتاب "العهد القديم" الذي يتكون من "التوراة" أي أسفار موسى الخمسة- التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية- وكتب الأنبياء والمكتوبات كمزامير داود، وأمثال سليمان و غيرها.

- **خطابات تل العمارنة:** ويدل اسمها على المنطقة التي وجدت فيها.
- **اللغة المؤابية:** و يمثلها النقش المعروف الذي وجد في نصب ملك مؤاب "ميشع".
- **اللغة الفينيقية:**التي وصلت إلى شمال افريقية عن طريق مستعمراتهم بشواطئ البحر المتوسط، في نواحي قرطاجنة وتسمى هناك باسم "اللغة البونية".

و أما الثانية أي اللغة الأرامية فأهم لهجاتها هي:[1]

- **آرامية النقوش.**
- **آرامية الدولة** التي كتب بها أجزاء من كتاب العهد القديم، سفر دانيال وسفر عزرا وسفر إرميا.

وقد كتبت بهذه اللغة أيضا ما يسمى "بالترجوم" وهو ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى الآرامية في زمن اندثرت فيه اللغة العبرية و لم يعد أهلها يفهمها.

[*] – ويقصد بالعبرية ههنا عبرية العهد القديم التي تختلف اختلافا كبيرا عن العبرية الحديثة، ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية:51.

[1] - ينظر: تاريخ اللغات السامية:2، ومن السامين إلى العرب:21، وفقه اللغة و خصائص العربية:49-54، وفصول في فقه الله:41. الآداب السامية: 18، ودروس اللغة العبرية: 07، وفقه اللغة:2-3، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: 70-75.

- **اللغة المنداعية:** و هي لهجة آرامية خالصة.

- **اللغة السريانية:** وهي أهم اللهجات الآرامية وتنقسم إلى قسمين تبعا لانقسام الكنيسة المسيحية إلى سريانية شرقية، ويسمى أتباعها بالنسطوريين لإتباعهم تعاليم "نسطوريوس". وسريانية غربية، و هي سريانية المسيحيين الذين يسمون باليعاقبة لإتباعهم تعاليم " يعقوب البردعي".

ج. **اللغات السامية الجنوبية:** و تمثلها لغتان هما: **العربية والحبشية.**

أما الحبشية فأهم لهجاتها: الجعزية نسبة إلى الشعب القديم، والأمهرية والتيجيرية.

وأما العربية فتنقسم بدورها إلى قسمين هما:**العربية الجنوبية والعربية الشمالية.**

أما الأولى فتعرف باسم "**اليمنية القديمة**" أو القحطانية أو الحميرية، وموطنها اليمن وجنوبي الجزيرة العربية وأهم لهجاتها: السبئية، والمعينية، والقتبانية، والحضرمية.

وأما الأخرى أي **العربية الشمالية،** فهي لغة وسط الجزيرة العربية وشماليها وهي قسمان:[1]

- **العربية البائدة:** وأهم لهجاتها الثمودية والصفوية واللحيانية.

- **العربية الباقية:** و هي التي ما نزال نستعملها في التأليف والأدب. وتسمى باللغة العربية الفصحى، وقد وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

[1] - [1] - ينظر: تاريخ اللغات السامية:2، ومن السامين إلى العرب:21، وفقه اللغة و خصائص العربية:49-54، وفصول في فقه الله:41. الآداب السامية: 18، ودروس اللغة العبرية: 07، وفقه اللغة:2-3، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: 70-75.

"وقد كتُب لهذه اللغة الخلود بسبب نزول القرآن الكريم بها، فانتشرت لذلك انتشارا واسعا، كما لم تنتشر أي لغة أخرى من لغات العالم، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة، الجائزة في العبادة، و لهذا السبب تفوقت العربية الشمالية تفوقا كبيرا على كثير من اللغات التي كان يتكلمها المسلمون"[1].

والمخطط أدناه يلخص تقسيم اللغات السامية وعلاقاتها بعضها ببعض:[2]

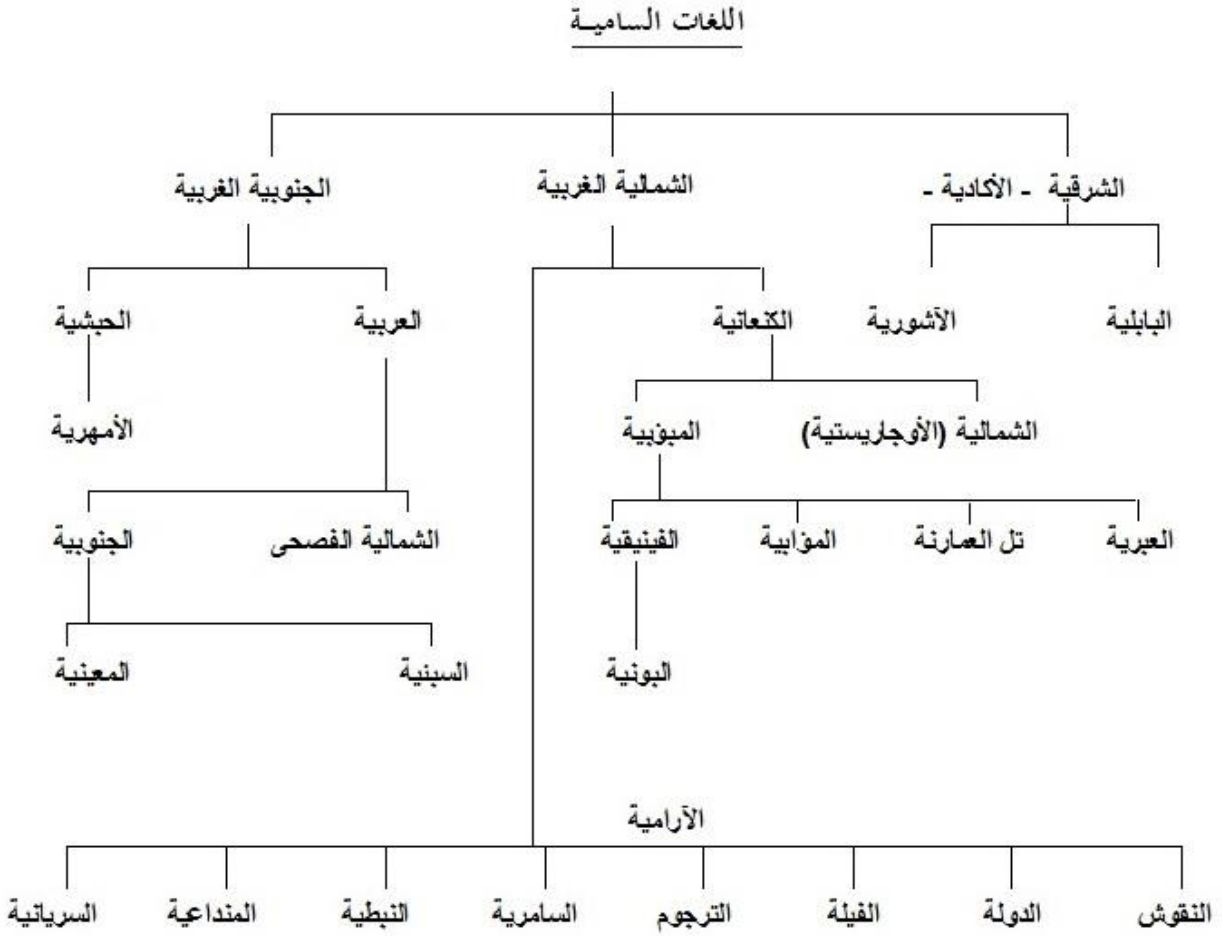

[1]– فصول في فقه اللغة: 35.

[2]– نفسه: 36.

2. وضع المصطلح:

لقد وُضع مصطلح اللّغات السامية لأول مرة في عام 1781م من طرف المستشرق النمساوي أوغست لويس دو شلووزر[*] (Auguste Louis de Schloezer) على الشّعوب التي تنحدر من صلب سام بن نوح عليه السلام اقتباسا من جدول الأنساب الوارد في الإصحاح العشر من سفر التكوين من الكتاب المقدس لليهود، وقد كانت التوراة آنذاك مرجعا تقليديا[1]، على اعتبار أن سلالة نوح عليه السلام قد توزعت وانتشرت في بقاع الأرض بعد الطوفان وهو نص التوراة[2]. والأمر طبيعي أن تتعدد لغاتهم وتتباين بتباعد الزمان والمكان.

ورغم ما قيل عن هذا المصطلح إنه توراتي المنشأ وغامض لا يستوعب الحقيقة التاريخية للأقوام التي أطلقت عليها هذه التسمية. وأنه غير علمي من جهة الوضع، فإنه صار مستعملاً كمصطلح علمي، شائعا في الدراسات اللّغوية المعاصرة، التي يعود أغلبها إلى الأوروبيين الذين وضعوا المصطلح

[*] – أوغست لويس دو شلووزر (Auguste Louis de Schloezer) مؤرخ وكاتب وعالم لغوي، عاش في ألمانيا وروسيا، وتوفي في 9 سبتمبر 1809 ب: غوستنغن.

[1] – ينظر: تاريخ اللغات السامية: 2، و من الساميين إلى العرب: 9، و فقه اللغة، وافي: 2 – 3، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، نشر جامعة بغداد، ط 1، 1413هـ- 1993م: 223/1.

[2] – ينظر: قصص الأنبياء،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: أحمد بن بدر الدين بن عبد العزيز، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002م، 100 و 108.

أصلا، وهو عند من يستعمله لا يعني أقواما من أصل صاف بالمعنى الأنثروبولوجي ولا يذهب به مذهبا عرقيا مبنيا على الجنس، بل عائلة لغوية بعينها[1].

فالسامية إذن بهذا المعنى هي مجرد اصطلاح، قُصِد به التعبير عن تلك الروابط أو الظواهر التي نراها بين الشّعوب المذكورة وأصبح عَلَمًا عليها[2].

3. الموطن الأصلي للغات السامية:

لقد اجتهد كثير من الدارسين والباحثين في الساميات في تحديد الموطن الأول للشعوب السامية، فاختلفوا اختلافا كبيرا، وتعددت آرائهم وذهبوا في ذلك إلى مذاهب شتى، لكن بعضهم أكد أنه من العسير الجزم برأي قاطع في تعيين المهد الأول لهذه الشعوب، لأن البحث العلمي لم يصل بعد على رأي يقيني للقطع في هذه المسألة.

[1]- ينظر: من الساميين إلى العرب: 9، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، 1984م: 116، و دراسات في فقه اللغة و الفونولوجيا العربية، عبابنة يحي، دار الشروق، بيروت، ط1، 2002: 211.

[2]- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 226/1.

غير أنه من أرجح الأقوال والآراء التي قيلت في هذا الموضوع أن القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية أي – الحجاز ونجد واليمن... – هو الموطن الأصلي للأمم السامية[1].

و قد اطمأن لهذا الرأي علماء كثيرون من أهمهم: الفرنسي (Ernst Renan) والعالم الألماني (Brokcalman) ويُرجَّح الأخذ به لأدلة كثيرة.[2]

فمن ذلك أن الحقائق التاريخية التي رصدت آثار هذه الأمم تذكر أن " الهجرة في هذه البلاد كانت تتجه دائما في العصور التاريخية السابقة للتاريخ، وفي العصور التاريخية من القسم الجنوبي الغربي- بلاد نجد و الحجاز واليمن و ما إليها- إلى الشمال والشرق- سوريا والعراق وما إليها[3].

ومما يزيد هذا الرأي تأييدا أن العقلية السامية القديمة تعتمد أساسا على المحَسّ المشاهَد، لا المعنوي المتخيّل[4].

4. أقدم لغة سامية:

إنّ الحديث عن الموطن الأول للأمم السامية يقتضي أن تكون هناك لغة واحدة كان يتكلم بها أبناؤها في بيئة واحدة قبل أن ينتشروا في مناطق متفرقة لتنشأ بعد ذلك لهجات كأنها لغات مستقلة، من أصل تلك اللغة الأم، لكن بأي لغة كان يتكلم هذا الشعب السامي العريق أيان كان أبناؤه في موطن واحد؟

[1] – ينظر: المرجع السابق: 1/ 254.

[2] – ينظر: تاريخ اللغات السامية: 04 – 05، وفقه اللغة: 06 – 07 .

[3] – فقه اللغة: 07.

[4] – ينظر: فقه اللغة: 09 – 10 .

ليس من السهل معرفة حقيقة هذه المسألة "بل من العبث إطالة البحث في أمر يكتنفه الغموض، نشأ ونما في عصور موغلة في القدم"[1]. والأمر الذي يمكن الخوض فيه ههنا هو: معرفة أقرب لغة إلى السامية الأم تلك اللغة التي افترض العلماء وجودها في عصور مغرقة في القدم لتفسير تطور اللغات السامية المذكورة أعلاه عن السامية الأم"[2] التي لا نعرف عنها شيئا.

لا شك أن هذه المشكلة "اختلفت فيها أقوال الباحثين أيضا، و اضطربت آراؤهم. فقد كان أحبار اليهود يعتقدون أن اللغة العبرية هي أقدم لغة في العالم. ثم جاء المستشرقون بعد ذلك فذهبوا مذاهب شتى"[3] لكنهم لم يقدّموا دليلا منطقيا يُعتدّ به، فجميع هذه الأقوال والآراء قائمة على أساس فاسد، وغير مؤيّد بأدلة منطقية معقولة، فأغلبها يقوم على أساس العاطفة والتطرف، ذلك أنّ اللغات السّامية اجتازت مراحل كثيرة في التطور قبل أن تصل إلى الحالة التي أتيح للعلماء معرفتها فبعدت بذلك كل لغة عن النقطة الأولى التي ابتدأ منها تطورها[4].

كما أنه لا يعقل أن يظل الشعب السّامي الأول محتفظا بوحدته الاجتماعية أو حبيسا في منطقة واسعة من الأرض أمدا طويلا[5].

---

[1]- دروس اللغة العبرية: 13، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1/254-255

[2]- ينظر: علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 120.

[3]- تاريخ اللغات السامية: 06 – 07 .

[4]- اللغة العبرية وآدابها، محمد التونجي، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1983م: 16، وينظر: فقه اللغة: 12.

[5]- ينظر: فقه اللغة: 11.

غير أنه من المسلّم به الآن لدى معظم علماء اللغة من العرب والمستشرقين أن اللغة العربية بقيت محتفظة بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك، أي لغة سامية أخرى، والسبب في هذا يرجع إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين، وبقائها في منطقة مستقلة ومنعزلة، فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى، ولم يُذلّل لها سُبُل الامتزاج بغيرها إلا قليلا[1]. وبالجملة "لم يدّعِ أحدٌ من العلماء أنه توصّل إلى تشخيص لغة– سام– وتمكّن من معرفة اللغة التي تحدث بها مع أبيه– نوح– أو مع أبنائه الذين نَسلوا هذه السّلالة السامية"[2].

5. القَرابَة اللّغوية:

كثيرا ما يتردد لفظ القرابة في مؤلفات المستشرقين والدارسين في مجال اللغات السامية وفقه اللغة المقارن، فما معنى القرابة اللّغوية؟ وكيف يتمّ الحكم على لغة ما أنّها قريبة من هذه اللغة أو تلك مثلا، وعلى أي أساس يمكن قول ذلك ؟

[1]- ينظر: فقه اللغة: 12.

[2]- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 255/1

1.5.مفهوم القرابة اللّغوية:

القرابة في اللغة اسم مشتق من قرُب الشّيء، بضمّ، يقرُب قُرْبا وقُربانا أي الدنوّ من دنا، فهو قريب، والقُرْب نقيض البُعد، ومنه القرابة والقُربى: أي الدُّنُوُّ في النّسَب، والقُربى في الرّحِم، وهي في الأصل مصدر، وما بينهما مَقْربَة ومقرُبة ومقرِبة أي قَرابَة.[1]

أما اصطلاحا، فالقرابة اللّغوية مصطلح مجازي لا يتضمن "توالُدا" أو "أُبُوّةً" أو "أُمومَة" أو غير ذلك بالمعنى الفسيولوجي لهذه المصطلحات وإنما ذلك الاستمرار التاريخي لمجموعة معينة من اللغات المنحدرة من أصل واحد.[2]

وصلة القرابة التي تقرّرها الدّراسة اللّغوية المقارِنة ليست إلا صِلةً نسبيةً[3].

وبناءً على ما سبق يمكننا القول إن القرابة اللّغوية هي تلك العلاقة التي تربط لغة بأخرى أو بمجموعة من اللغات، شرط أن تكوّن عائلة لغوية واحدة يجمعها أصل واحد، انبثقت كلّها منه بمقتضى التشابه العام الذي يتجلى في مختلف مستويات اللغة، في الأصوات والصرف والتركيب النحوي للجمل، والمفردات والدلالة.

[1]- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، مادة (قرب): 662/1 و 665.

[2]- ينظر: علم اللغة: مقدمة القارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1999: 205.

[3]- ينظر: المرجع نفسه: 206.

"والعلاقات القائمة في داخل «عائلة» لغوية ما، هي في الأغلب علاقات مضطردة من النّواحي الصوتية والفونولوجية و النّحوية والدلالية"[1]، وقد تأكّد لدى أغلب الباحثين عرَبا ومستشرقين أن القرابة اللّغوية بين الساميات مطّردة اِطّرادا ثابتا تحكمه قوانين صوتية ولغوية عامة.

2.5. القرابة اللّغويّة بين اللّغات السّامية في نظر اللّغويين العرب:

إنّ فكرة القرابة بين اللغات لم تكن من الأفكار المبتكرة أو المحدثة في الفكر اللّغوي الإنساني، أو غير المتداولة التي لم تُعرف إلا في القرن التاسع عشر الميلادي في أوربا، أو عندما اكتشفت أوجه الشبه بين السّنسكريتية واللّغتين اللاّتينية واليونانية كما هو شائع "وإنما كانت هذه الفكرة تتردد بصورة أو بأخرى في الفكر اللّغوي الإنساني"[2].

ولعلّ الأسطورة التي ذكرتها التوراة في الإصحاح الحادي عشر من سِفر التكوين عن تبلبل الألسنة لا تُصوِّر رغبة الإنسان في تفسير ومعرفة أصل اللغة فحسب، وإنما تصور أيضا طبيعة العلاقة بين اللغات وصلة القربى بينها من حيث انحدارها من أصل واحد تفرعت عنه، وهي الفكرة الأساسية في القول بالعائلة اللغوية الواحدة لعدد من اللغات بناءً على أوجه الشبه بينها[3].

وإذا لم يكن للعرب اهتمام بالساميين أو بأنسابهم، ولا بتصنيف الشعوب القديمة في مؤلفاتهم، فإن هذا لا يعني عدم معرفتهم بهم أو بلغاتهم، و ذلك لامتزاجهم بهم، واختلاطهم الكبير بتلك

[1]- علم اللغة: 206، وينظر: مدخل إلى اللغة، محمد حس عبد العزيز، دار الفكر العربي، ط2، د.ت: 255

[2]- ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 2003: 115

[3]- ينظر: المرجع نفسه: 115.

الأقوام، خاصة بعد انتشار الإسلام، وامتداد رقعته في مشارق الأرض ومغاربها، ودخول أقوام غيرِ عربيةِ الأصلِ إلى هذا الدّين الجديد.

وإذا تفحصنا مُصَنّفات العرب القدامى اللغوية فلا شك أننا سنجد إشارات تدل على أنهم "لم يكونوا- أو بعضهم على الأقل- يجهلون القرابة اللغوية بين لغات المجموعة السامية"[1]، فقد كان "بعضهم يعرف العلاقة بين العربية وبعض هذه اللغات- أي اللغات السامية- وإن لم تُثمِرْ هذه المعرفة عندهم في الدّرس اللغوي"[2].

فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ) يُشير في "كتاب العين" أن الكنعانية أخت العربية أي هي من العائلة نفسها التي تنتمي إليها العربية، وذلك في قوله: "وكنعانُ بنُ سام بن نوح إليه يُنْسَبُ الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تُقارِب العربية"[3].

فكلمة تَقارَب تدلّ على القُرْب والقَرابة، ومن معاني صيغة "تَقَارَبَ": المشاركة؛ أي المشاركة في الانتماء إلى وحدة الأصل وهو لغة سام، و قد بيَّنّا معنى القرابة فيما سبق.

ويبدوا أن الخليل مُدْرِكٌ بحسّه الدّقيق ما بين العربية والكنعانية من تشابه صوتيّ وصرفيّ ونحويّ ودلاليّ، وإن لم يَذْكُر ذلك صَراحَةً؛ لأنه في معرض التأصيل لمعاني الكلمات، وليس لدراستها تاريخيّا،

[1]- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ/1980م: 464.

[2]- فصول في فقه اللغة: 42 – 43 .

[3]- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003: 4/ 52.

ثم إن الدّراسات اللغوية المقارِنة لم يُتَحْ لها النّمُوُّ لأنها لم تجد التّربة الملائمة لها"[1]. فالحركة اللغوية كانت لا تزال في بدايتها وإنْ كان هناك إشارات لوجود بذور لها.

والحكم بالمشابهة يقتضي المعرفة بالمشبَّهِ والمشَبَّهِ به، فاهتدي الخليل إلى الحكم بأن اللغتين متقاربتان مشتركتان في انتمائهما إلى أصل واحد يجمعُهُما. ويبدو أنّ حُكْم الخليل بشأن قرابة الكنعانية للعربية قد وُضِعَ في مَحَلّهِ وبالمفهومِ الذي وُضِعَ لَهُ.

ولعل ما جاء به ابن حزم الأندلسي (ت.456ه) يبدو أكثر صراحة من غيره، لأنه على وعي كبير بقرابة اللغات، إذ كان يعرف العبرية و السريانية، و اللاتينية إلى جانب لغته العربية، معرفة ناضجة نضج الحركة اللغوية والعلمية آنذاك.

فقد كان مُولَعًا بتفحُّصِهِ الفروق اللغوية و اللهجية التي كان يسمعها حيثما حلّ و ارتحل، وهداه تدقيقه إلى أن السريانية و العبرانية و العربية كانت لغة واحدة، إذ يقول: "إن الذي وقفنا عليه، وعَلِمْناه يقينًا، أن السريانية والعبرانية والعربيّة التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حِمْيَر، واحدة. تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش، كالذي يحدث من الأندلسي، إذا رام نغمة أهل القيروان، و من القيرواني إذا رام لغة الأندلسي، ومن الخرساني إذا رام نغمتهما "[2]، ويتابع بقوله: "فمن تدبّر

[1]- اللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، يحي عبابنة، مكتبة مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003: 20.

[2]- ينظر: نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1969: 25، ودراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط 1، 2003: 29.

العربية والعبرانية والسريانية، أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا، من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل"[1].

فابن حزم يفرّق ههنا بين العربية الجنوبية التي يطلق عليها لغة حِمْيَر، و بين العربية الشمالية التي نسميها لغة مُضَر وربيعة، ويؤكد أن العربية والعبرية والسريانية من أرومة واحدة، وأن الهجرات قد أحدثت التغير اللغوي بين اللغات، وهذا ما يوافق تمام الموافقة ما يقول به الباحثون المعاصرون في اللّغات السامية[2].

وبالرغم من توفّر المادّة اللّغوية و تنوّعها لدى اللغويين العرب القدامي إلاّ أنّهم "لم يستخدموا هذه المعرفة استخداما مثمرا في دراساتهم اللغوية المختلفة"[3]، ومثل تلك الإشارات وغيرها لم تدفع إلى البحث اللغوي المقارن، فالواقع " أنّ مجرد المعرفة باللغات السامية لا يعني قيامَ بحثٍ مقارِن"[4].

[1]- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400هـ- 1980م: 1/ 31-32.

[2]- ينظر: اللغة العربية عبر العصور: 17، ودراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة: 30.

[3]- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: 464.

[4]- اللغة العربية عبر العصور: 16 – 17 .

6. أهم خصائص اللغات السامية و صفاتها المشتركة:[1]

تختص اللغات السامية عن غيرها من اللغات الأخرى في بعض أحوالها بجملة من الميزات والخصائص نجمل أهمها فيما يأتي:[2]

- إنّ الأصل السامي في اللغات السامية يتألف غالبا من ثلاثة صوامت مختلفة، أي ما يُعرَف بالأصول في الدراسة الصرفية نحو: أكل- אכל وكتب- כתב وفتح- פתח،.... الخ. ويشدّ عن هذا وجود كلمات من أصل ثنائي مثل هذه الحروف: من-מן ومع-עם، والضمائر هو: הו، هم: הם، وبعض أسماء الذّوات: يد: יד ودم: דם إلى غير ذلك.
- لا تكاد توجد كلمات تشتمل على أكثر من أصل واحد، في حين أن هذا النوع يكثر في اللّغات الأخرى.
- إنّ اللّغات السامية تولي للصوامت أهمية كبيرة بخلاف الصوائت، و يتجلى ذلك في الدلالة والنطق والرّسم. إنّ أهمية الصوائت ترتكز على بناء اللغة وتركيب موادها اللغوية الثلاثية الأصول،"خاصة إذا علمنا أنّ اللغات السامية من أكثر اللغات اعتمادا على الاشتقاق، فلم يكن يهمها أن تُدوّن

[1] – سنمثّل لهذه الخصائص بألفاظ من اللّغة العبرية فقط في مقابل اللّغة العربية دون ذكر باقي اللغات السامية الأخرى نظرا لمعرفتنا المتواضعة بالعبريّة.

[2] – ينظر: تاريخ اللغات السامية: 14 – 17، وفقه اللغة: 12-17، ودروس اللغة العبرية: 19-20، و فصول في فقه اللغة: 45- 46.

الصوائت أولا مادام المعنى العام للكلمة يربطها بالأصوات الصامتة"[1]. فالصوائت مهمتها توجيه المعنى الأساس أو العام إلى الخاص ضمن دلالة الأصل الثلاثي بحسب الصّيغة التي توضع فيها[2].

- ليس للفعل في معظم اللغات السامية إلا زمنان، فعل انتهى زمنه وهو الماضي وفعل لم ينته زمنه (المضارع أو الاستقبال والأمر) ولا يوجد في العبرية فعل مساعد "Auxiliaire".
- إن علامات الإعراب كانت موجودة قديما في اللغات السامية وهي من أهم مميزاتها.
- إنّ لأغلب الكلمات في اشتقاقها ترجع إلى أصلٍ فعلي حتى في الأسماء الجامدة والألفاظ الدّخيلة التي تسرّبت في اللّغات الأجنبية، فقد أخذت هذه الكلمات هي الأخرى مظهرا فعليا.
- تتميز هذه اللغات باحتوائها على الأصوات الحلقية خاصة العين(ע) والحاء (ח) وأصوات الإطباق.
- تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية غالبا ما يحدث بإضافة تاء ת أو هاء ה إلى المذكر مثل: امرأة طويلة: אישה גדולה.

تتشابه هذه اللغات في كثير من المفردات الدالة على أعضاء الجسم نحو:

الكلمة بالعربية	مقابلها في اللغة العبريّة	منطوقها العبري
رَأس	ראש	رُوش
رِجْل	רגל	رِجِل
عَيْن	עין	عَين
بَطْن	בטן	بُطِن

[1]- الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، أحمد هبو، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1984: 80.

[2]- السابق:80، وعلم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن: 194.

والضمائر نحو:

الكلمة بالعربية	مقابلها باللّغة العبرية	منطوقها العبري
أنا	אני	أَني
أنتَ	אתה	أَتّا
أنتِ	את	آتْ
أنتم	אתמ	أَتِّم
أنتنّ	אתן	أَتّن
هو	הו	هو
هي	הי	هِي
نحن	אנחנו	أَنْخْنُو

وصلة القرابة مثل:

الكلمة بالعربية	مقابلها باللغة العبرية	منطوقها العبري
أب	אבא	أَبا
ابن	בן	بِنْ
أَخ	אח	آحْ
أُخت	אחות	أَحوت

وألفاظ الحياة الشائعة في الأمم السامية نحو:

رَحْمَة	רחמנות	رَحمَوت
رُوح	רוח	رُوح
رِيح	ריח	رِيَح
ساعَة	שעה	شاعَا
سَفِينَة	ספינה	سَفينا
سِكّينِ	סכין	سَكين
سَلام	שלום	شَلُوم
سُوق	שוק	شُوق
شَمْس	שמש	شِمِشْ
طَبِيعَة	טבע	طِبَع
ظِل	צל	تْصِلْ
سَنَة	שנה	شَنَا

7. أوجه الخلاف بين اللغات السامية:

لما تفرعت اللغات السامية عن أصلها بانتشار شعوبها و تفرقهم في مناطق شتى، استقلت كل منها بخصائص مختلفة، هذه الخصائص منحت لكل واحدة من هذه اللغات طابعها المميز. حسب بعد أو قرب كل لغة من أصلها، ومن وجوه الخلاف التي ذكرها الدارسون نذكر ما يلي:[1]

- **الأصوات:**

الصوامت العربية أكثر من صوامت اللغات السامية الأخرى، في حين أن صوائت العبرية مثلا أكثر منها في العربية. فأصوات الذال و الغين، والضاد، و الظاء لا وجود لها في العبرية كفونيمات مميزة كما في العربية. وما يرد بالثاء في العربية يُنطق شينا في العبرية، وأغلب ما يأتي بالسين في العبرية يأتي شينا في العربية و الحبشية و العكس بالعكس. على حين أن البابلية لا وجود للعين و لا للقاف ولا للسين من بين أصواتها.

- ❖ **علامة التعريف:**

هي في العربية- أل- أول الكلمة، وفي العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة حرف- الهاء- ה- في أول الكلمة أيضا، أما في السبئية والسريانية فهي حرف- ن- وحرف- آ- على الترتيب في نهاية الكلمة. وأما في البابلية الآشورية و الحبشية فلا وجود لأداة التعريف فيها مطلقا.

[1]- ينظر: تاريخ اللغات السامية: 19 – 20، و فقه اللغة: 12 – 17، و الآداب السامية: 7- 8.

❖ **علامة الجمع:**

ففي العربية الواو والنون للرفع، والياء والنون للنصب والجر في آخر الكلمة للدلالة على جمع المذكر العاقل، والألف والتاء تضاف آخر الكلمة أيضا للدلالة على جمع المؤنث العاقل، ثم هناك جمع التكسير لغير ذلك. أما العبرية فتستخدم الياء والميم لجمع المذكر، والواو والياء المؤنث، في حين أن الآرامية تستعمل حرفي الياء والنون.

❖ **المعجم اللغوي:**

يتجلى وجه الاختلاف في بعض الأسماء التي كانت تدل على معان شائعة عند جميع الشعوب السامية، ويتضح ذلك الاختلاف إذا قورنت كل لغة من هذه اللغات بغيرها من الفصيلة ذاتها.

8. أهمّ مميزات الخط السامي قبل تطوره:

تعتمد الأبجدية السامية على اثنين وعشرين حرفا، يمثل كل شكل كتابي منها فونيما واحدا، أي أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة، وغير دالة في ذاتها. ومن مميزات الكتابة السامية ما يلي:[1]

* هي كتابة منفصلٌ بعضها عن بعض.

* تُكتب من اليمين إلى اليسار.

* مرتبة ترتيبا **أبجديا**، وسميت بالأبجدية لأنها تبتدئ بحروف: **أ، ب، ج، د**، و المنظمة وفق الترتيب الآتي:

[1]- ينظر: تاريخ علم اللغة منذ نشاتها حتى القرن العشرين، جورج مونان، مطبعة جامعة دمشق- سوريا، د.ط، 1972: 73-74، وفقه اللغة:31 والأبجدية:74-46، وعلم اللغة العربية: 159-160.

عربي	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت
عبري	א	ב	ג	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת

* إنها كتابة تفتقر إلى رموز للصوائت.

* إن الخصائص المشتركة في كل هذه اللغات هي الخصائص التي يفترض الباحثون أنها موروثة عن اللغة السامية الأولى التي خرجت منها كل اللغات السامية.

خلاصة:

إنّ فكرة القرابة اللغوية ليست مجهولة في الفكر اللغوي العربي القديم، فصلات القرابة بين العربية واللغات السامية الأخرى التي كشفها البحث التاريخي اللّغوي المقارن، والذي تأصّل في العصر الحديث تبدو جذورُها آخذة في الامتداد إلى البدايات التي نهض بها أوائل اللّغويين العرب.

الفصل الأوّل

مفاهيم لسانية حول البنية والكلمة

أوّلا: مفهوم البنية في الدّراسات اللسانية:

لا بدّ أن تستند أيّة فعالية معرفية إلى أسس تعطي هذه الفعالية سماتها العامة، وتعمل على تجذير محتواها وتعميقه، لتُسهم في تشكيلها وتحديد خصائصها والإطار العام لها، كما تسهم في تنظيم حركتها وعلاقاتها.

تُشتقّ البنيوية من البنية باعتبارها منهجاً شاملاً، أو طريقة بحث في مكونات الواقع وكشف علائق هذه المكونات وتفاعلاتها، تطمح لكي تسجل إضافة حقيقية في مضمار المعارف الإنسانية، وهي بذلك تستند إلى مفاهيم أساسية تحدد طبيعتها ومنطلقاتها، وترسم حركتها ومساراتها. ويمكننا أن نجد ثلاثة مفاهيم أساسية، تشكل في علاقاتها وتفاعلاتها الإطار العام للبنيوية، هي: البنية والنظام والوظيفة[1].

1. مفهوم البنية: (La structure)

ومن الدلالات اللغوية لمصطلح البنية تشتق كلمة (بنية) في اللغة العربية من الفعل الثلاثي (بنى)؛ وتعني البناء أو الطريقة، «بنى البنّاء البناء بنيا وبناء وبنىً، مقصور، وبنيانا وبنية وبناية، والبناء: المبنيّ، والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع..،والبِنية والبُنية: ما بنيته وهو البِنى والبُنى.... يقال بِنية، وهي مثل رِشوة كأن البِنية الهيئة التي بني عليها مثل المِشية والرِكبة.... والبنيان: الحائط»[2]. وتدلّ البِنية في

[1]- ينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية، يوسف حامد جابر، مجلة الموقف الأدبي- مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 294، تشرين الأول 01:1995.

[2]- ينظر: لسان العرب، مادّة: (بنى)، المجلد 15: 93.

المعجم المحيط على هيئة البناء ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها، وفلان صحيح البنية"[1]. كما تدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء أو الكيفية التي شيد عليها[2].

هناك فروق جوهرية بين البنية والبناء، فالبنية صفة دالّة على الهيئة التي تنتظم وفقها العناصر؛ أي الموادّ داخل البناء، وتجمع البنية على بِنى وبُنى وبنيات، أمّا البناء وهو الشيء المبني فكأنّه موصوف ويُجمع على أبنية وأبنية[3].

وفي النحو العربي تتأسس ثنائية المعنى والمبنى على الطريقة التي تبنى بها وحدات اللغة العربية، والتحولات التي تحدث فيها. ولذلك فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فكل تحول في البنية يؤدي إلى تحول في الدلالة، والبنية موضوع منتظم، له صورته الخاصة ووحدته الذاتية؛ لأن كلمة (بنية) في أصلها تحمل معنى المجموع والكل المؤلف من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ويتحدد من خلال علاقته بما عداه[4].

وتبقى اللسانيات الحديثة في اصطناعها لهذا المفهوم وفيّة لدوسوسير الذي كان يعبّر عن ذلك بمصطلح النسق أو النظام (système) ولم يكن يصدع بمصطلح البنية (structure) على حدّ تقرير جون بياجي وجمهور الدارسين الذين أجمعوا على أنّ سوسير في إلحاحه على نظامية الاستعمال

---

[1]- ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، مادة (بنى): 92.

[2]- ينظر: لسان العرب، مادة (بنى)، المجلد 15: 94.

[3]- ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي، يوسف وغليسي، مجلّة الدّراسات اللغوية، العدد 60، 2010، تصدر عن مختبر الدّراسات اللغوية، جامعة منتوري- قسنطينة: 21.

[4]- ينظر: البنية والبنيوية، عبد الله أحمد جاد الكريم حسن:01.
http://www.alukah.net/literature_language/0/99621/

اللغوي، قد سمى (نسقا) ما سماه خَلَفُه (بنية)[1]. والواقع أن هذا الإجماع المطلق تنفيه محاضرات دوسوسير ذاتها؛ إذ تصطنع بحرفية واضحة مصطلحي: البنية (Structure) والبناء (Construction) في سياق استثنائي[2].

لم تنل أية ظاهرة معرفية من الاهتمام والدراسة قدر ما ناله مفهوم البنية في القرن الحالي، حيث أصبح هذا المفهوم يحتل مكان الصدارة في مختلف الدراسات الإنسانية الحديثة، سواء كانت هذه الدراسات نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو لغوية أو رياضية وغيرها. وأصبحنا نجد الباحثين العاملين في إطار هذه المفهومات يتحدثون عن بنية نفسية وأخرى رياضية ومنطقية وثالثة لغوية.. الخ. مما يشير إلى أن مفهوم البنية لم يعد يقتصر على الدراسات اللغوية وتشعباتها وإنما امتد ليشمل مختلف العلوم الإنسانية دون استثناء. وإن كان هذا المفهوم قد انطلق بالمستوى الذي نراه من خلال البحوث الجادة المكثفة والمعمّقة في علوم اللغة وتفريعاتها، والتي اغتنت بها مؤخراً، الدراسات الأدبية بمختلف فروعها واتجاهاتها. حتى إننا نرى أيضاً علماء اللغة يتحدثون عن بنى صوتية وأخرى تركيبية وثالثة دلالية. ولكل من هذه البنى الكلية بنى أخرى فرعية، منها ما يتعلق ببنية المفردة، ومنها ما يتعلق بالبنية الوظيفية... الخ[3].

[1]- ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية: 16

[2]- نفسه: 16.

[3]- ينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية: 15.

والبنية أي (Structure) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Structura) من الفعل (strure) بمعنى (construire).[1]

ويعدّ (كلود ليفي شتراوس)، زعيم البنائية الفرنسية، ومؤسس النظرية البنيوية في العلوم الاجتماعية، وأول من طبقها في ميدان الأنتربولوجيا، فشملت المجتمع والفكر والثقافة، فمنهم من يرى أن: الفكر البنيوي كله يمكن أن يتحدد بأعمال شتراوس، بل وهنا كمن غالى وأكد القول بأنّ: البنيوية ما هي إلا ليفي شتراوس، وقد توسع في نظرته للبنائية لتشمل الكون بأسره؛ لأنه يرى أن البنيوية مجرد منهج يمكن تطبيقه على أيّ نوع من الدراسات[2].

فالبنية في نظر شتراوس "مجرد طريقة أو منهج يمكن تطبيقها في أي نوع من الدراسات تمامًا؛ كما هي بالنسبة للتحليل البنيوي المستخدم في الدراسات والعلوم الأخرى"[3]. فشتراوس يحدد البنية بأنها "نسق يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولاً في باقي العناصر الأخرى"[4] .

[1]- Dictionnaire Etymologique du Français, J. Picoche. le Robert, Paris, 1994: 162 – 163 .

[2]- ينظر: المنهج البنيوي ،بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، الزواوي بغورة، دار الهدى للنشر، ط1، الجزائر، 2002: 147.

[3]- ينظر: إبراهيم السعافين وعبد الله الخياص، مناهج تحليل النص الأدبي، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1993: 68- 69.

[4]- علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأديب) عز الدين المناصرة، عمان، دار مجلاوي، ط1، 2007: 540.

ثمّ يأتي عالم النفس السويسري (جان بياجيه) ليبيّن أن البنية "نظام تحويلات له قوانينه من حيث إنه مجموع، وله قوانين تؤمن ضبطه الذاتي"[1]. فالبنية هي علاقات العناصر الداخلية في إطارها، ودخولها في نظام هو الذي يحفظ لها استقرارها، ويضمن لها حركتها وتفاعلاتها داخل النظام ذاته، ويتيح لها أن تتوازن وتتعالق مع بنى أخرى تحكمها أنظمة خاصة بها[2]. ويمكننا أن نكتشف طبيعة هذه البنية بنتيجة التحليل الدقيق لموقع العناصر التي تتشكل منها البنية، ولطبيعة العلاقات التي تقيمها حركة هذه العناصر، وبقدر النشاط الفعال الذي تمارسه هذه العناصر بدخولها في علاقات بعضها مع بعض، بقدر ما تمتلئ البنية غنى وحيوية[3]. وهذا ما أشار إليه (بياجيه) عندما قال: «تبدو البنية مجموعة تحويلات، تحتوي على قوانين كمجموعة- تقابل خصائص العناصر- تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو تستعين بعناصر خارجية»[4].

ويمكن أن نعرف البنية بأنها ليست صورة الشيء أو هيكله أو عناصره أو أجزاءه أو وحدته المادية أو شيئيته الموضوعية ولا حتى التعميم الكلي الذي يربط أجزاءه[5].

كما أن البنية ليست ذاتية ولا موضوعية، ولا هي مادية أو مثالية، وهي ليست كامنة في العقل وليست انعكاساً لشيء في الواقع على عقل الإنسان، وليس لها وجود متعال، وليس لها وجود ذاتي أو

---

[1]- البنيوية: جان بياجيه: ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت- باريس ط3، 1982: 81، وينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت لبنان، ط3، 1983: 188.

[2]- ينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية:01.

[3]- نفسه:01.

[4]- البنيوية: جان بياجيه: 8، وينظر: مشكلة البنية زكريا إبراهيم- دار مصر للطباعة- د.ط. د.ت: 33.

[5]- ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية:17.

تجريبي أو موضوعي أو وضعي. فالبنية، في واقع الأمر، شبكة العلاقات التي يعقلها الإنسان ويجردها ويرى أنها هي التي تربط بين عناصر الكل الواقعي أو تجمع أجزاءه، وهي القانون الذي يتصور الإنسان أنه يضبط العلاقات بين العناصر المختلفة. وهذا القانون هو الذي يمنح الظاهرة هويتها ويضفي عليها خصوصيتها. ويتم التعرف على البنية من خلال علاقة التعارض والتشابه بين العناصر المختلفة ويطلق عليها قوانين التركيب[1].

إنّ العناصر المشكلة للبنية محكومة دائماً بقوانين صارمة ترسخ نظام هذه العناصر، وتضفي على هذا النظام خصائص كلية. والبنية لا يمكن التعرف إليها إلا من خلال العلاقات التي تحكم عناصرها ذاتها، وليس من خلال هذه العناصر منفصلة. وهذا ما يؤكد ضبط البنية استناداً إلى حركتها الذاتية وإلى تحولاتها. فالتحوّلات لا توجد أبداً إلا عناصر تنتمي للبنية ذاتها، وتخضع لقوانينها وتحافظ عليها، ولا تعود إلى ما هو خارج حدودها. وبهذا المعنى نجد أن البنية تنغلق على ذاتها. وهذا ما دفع (لالاند) لكي يقدم في معجمه تعريفاً للبنية يؤدي إلى الفهم المشار إليه، إذ يقول: «إن البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكن أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه". وهذا التعريف يصح على جميع البنيات مهما كان نوعها»[2].

إن العناصر المشكلة للبنية محكومة دائماً بقوانين صارمة ترسخ نظام هذه العناصر، وتضفي على هذا النظام خصائص كلية. والبنية لا يمكن التعرف إليها إلا من خلال العلاقات التي تحكم عناصرها

[1]- البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية:17.

[2]- ينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية:02.

ذاتها، وليس من خلال هذه العناصر منفصلة. وهذا ما يؤكد ضبط البنية استناداً إلى حركتها الذاتية وإلى تحولاتها. فالتحولات لا توجد أبداً إلا عناصر تنتمي للبنية ذاتها، وتخضع لقوانينها وتحافظ عليها، ولا تعود إلى ما هو خارج حدودها. وبهذا المعنى نجد أن البنية تنغلق على ذاتها. وهذا ما دفع (لالاند) لكي يقدم في معجمه تعريفاً للبنية يؤدي إلى الفهم المشار إليه، إذ يقول: "إن البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكن أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه". وهذا التعريف قد يصح على جميع البنيات مهما كان نوعها[1].

وبالرغم من وجود بعض الاختلافات بين البنيويين وعلماء اللسانيات حول تصور البنية ومعرفة نظامها وخصائصها، غير أنهم يتفقون حول الخطوط العامة التي تندرج البنية في إطارها، بمكوناتها وعلاقاتها. حيث نجد عالم اللسانيات (أنطوان مييه) يعرّف الجملة على أنها مجموعة أصوات تجمع بينها علاقات قواعدية، وهي مكتفية ذاتياً ولا تتعلق بأية مجموعة أخرى قواعدياً فالجملة هنا؛ بنية قادرة بعلاقاتها الذاتية أن تستمر وتتواصل وتتفاعل بطريقة تحفظ لها فعاليتها. وإن كان (مييه) ينبه إلى الشكل المادي للجملة بكونها مجموعة أصوات، والتي تعني في الأصل مجموعة ألفاظ، أو مجموعة حروف، تشكّل الكلمات التي تشكل بنية الجملة ذاتها[2].

ثم نجد زعيم حلقة كوبنهاجن الألسنية (هييلمسليف) يشير إلى أن البنية كيان خاص ذات ارتباطات داخلية؛ وهذا ينفي عنها أيضاً أية علاقة مع عناصر خارجية لا تنتمي إليها. أو لا تنضوي

[1]- نفسه :02.

[2]- ينظر: المرجع السابق:02.

في نظامها. وهذا ما دفع (هيلمسليف) للقول باستقلالية البنية. وهذه الاستقلالية تؤكد على أن عملية تحليلها يجب أن تتم من خلال علاقات عناصرها دون أية اهتمامات خارج هذا الإطار. وهذا ما يدفع إلى الحديث عن خصائص البنية التي تسمح لها بالاحتفاظ بقدراتها الذاتية داخل نظامها الداخلي المحكم[1].

2. خصائص البنية:

لقد حصر جان بياجي مميّزات البنية في ثلاث عناصر نذكرها كالآتي:[2]

أ. **الكلية:** وتعني أن البنية تتكون من عناصر داخلية، تقوم بينها علاقات، وتحكمها قوانين تميزها عن غيرها والعلاقات التي تقوم بين عناصر البنية لترسخ في النهاية مفهوم البنية لا تنتهي عند حد معين، وإنما هي تتواصل بشكل مستمر لتكوين مزيد من البنيات التي لا تنضاف إلى البنية الأساسية بشكل تراكمي، وإنما تتمفصل معها في علاقات تنبثق في الأصل، من مقدرة البنية الهائلة على التحول إلى بنى أخرى متعلقة معها، وفقاً لقوانينها الذاتية، ودون أن تفقد أياً من خصائصها. مع الإشارة إلى أن البنية تتكامل بحركة عناصرها وتحولاتها، وأن أي قطع لحركة هذه العناصر هو قطع لحركة البنية ذاتها وخلخلة لنظامها[3].

ب. **التحوّلات:** وتعني حركة البنية المستمرة، أو حركة عناصرها، ونفي مظاهر السكون عنها، وذلك لكي تلبي الرغبة بما يتفق وإنتاج عدد لا نهائي من البنى (الجمل) انسجاماً مع الحاجات

[1]- المرجع نفسه: 02.

[2]- البنيوية جان بياجيه: 8-16، وينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية: 02.

[3]- ينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية:03.

الاتصالية للتعبير. ولو لم تكن البنية قادرة على ذلك، لفقدت اللغة حيويتها وانكفأت على ذاتها ثم تحجرت، دون أن تكون قادرة على التعبير عن أية فعالية إنسانية متنامية. وتعد النظرية التوليدية والتحويلية في علم اللغة، والتي أسس لها "شومسكي" أفضل ما يعبر عن خاصية التحولات[1].

ج. **التنظيم الذاتي (الضّبط الذّاتي)**: أي إنّ البنية كيان عضوي متسق مع نفسه منغلق عليها مكتنف بها، فهي كل متماسك له قوانينه وحركته وطريقة نموه وتغيره.

إن خواص البنية التي تم ذكرها، هي خواص دائمة ومشتركة لأية بنية من البنى، وتعد بمثابة القانون العام الذي يحكم عمل مختلف البنى مهما كانت طبيعتها. ويمكن أن نشير هنا إلى أن العالم الاجتماعي البنيوي (كلود ليفي ستروس) كان قد رأى أن النماذج المصوغة من العلاقات الاجتماعية والتي تستحق أن يطلق عليها تسمية بنية، يجب أن تلبي حصراً شروطاً محددة، منها: اتصاف البنية بطابع النظام، لكونها تتشكل من عناصر يستتبع تغير أحدها تغير العناصر الأخرى، وأن مجموعة التحولات التي يشكل كل منها نموذجاً معيناً يجب أن تشكل مجموعة من النماذج، مع النظر إلى أن تغيير أي عنصر من عناصر النموذج يجب ألا يمر دون إثارة ردود فعل على هذا التغيير[2].

[1]- ينظر: نفسه: 03.

[2]- ينظر:المرجع نفسه:04.

أما الشرط الأخير فيتعلق ببناء النموذج ذاته، بحيث يتوجب بناؤه بطريقة يتمكن عمله من تسويغ جميع الوقائع الملاحظة[1]. وهذا ينسجم مع خواص البنية وطبيعة حركتها وعلاقاتها وقوانينها، من حيث اتصاف البنية بالكلية والتحول والضبط الذاتي[2].

وتبعاً لهذا التصور البنيوي، كان دوسوسير يمثل نظام اللغة بلعبة الشطرنج، ويقارب بينهما بوصف "لعبة الشطرنج تحقيقا اصطناعيا لما تقدمه لنا اللغة بشكل طبيعي"[3]، حيث إننا أمام نظامين متشابهين، فكما أنه لا قيمة لقطعة الشطرنج في ذاتها، وإنما قيمتها مرتبطة بموقعها على الرقعة، كذلك تتحدد قيمة الكلمة في النظام اللغوي بمقابلتها مع الكلمات الأخرى، وفي كلتا الحالين، نحن أمام نسق مؤقت يتغير من وضعية إلى أخرى، بيد أن قاعدة كل نسق كانت موجودة قبل بداية اللعبة ذاتها، وتظل مستمرة بعد كل نقلة من كل جولة في اللعبة...[4].

وهذا الكلام لا يكاد يختلف في شيء عن الفكرة التي وضّحها عبدالقاهر الجرجاني في نظريته "النظم" وأقرّها، قبل محاضرات دوسوسير بقرون عدّة، إذ سلب اللفظة المفردة من مزيتها الذاتية، وأرجع كل ذلك إلى السياق المعنوي التركيبي الذي ينتظمها؛ ذلك لأنّ "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة. وأن الألفاظ تثبُتُ لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة

[1]- ينظر: مشكلة البنية، زكريا إبراهيم، القاهرة، دار مصر للطباعة:78.

[2]- ينظر: المفاهيم الأساسية للبنيوية:04.

[3]-Cours de Linguistique Générale, Ferdinand de Saussure, Éditeur: Charles Bally, Albert Sechehaye et Albert Riedlinger, Maison d'édition Payot, Paris, 1971: 141.

[4]- ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدّراسات الأدبية واللسانية العربية: 17-18.

معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر"[1].

وقد استشهد الجرجاني لذلك بكلمات محدّدة في أبيات مختلفة، منتهيا إلى أن اللفظة الواحدة تبدو مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع مغاير، إذ يقول: وأنك "تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلمات بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماك، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حَسُنت حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف، واستحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا"[2].

لا فرق بين (نظم) الجرجاني وبين نسق سوسير (Système) من هذه الناحية، فكلاهما يؤدي مفهوم (البنية) هنا؛ حيث يتحدد مفهوم العنصر بشبكة العلاقات التركيبية التي تنتظم هذا العنصر مرتبطا بالعناصر الأخرى في الشبكة ذاتها.[3]

إذا كان كل ذلك هو مفهوم مصطلح (Structure)، فإنّ هذا الحدّ المصطلحي نفسه قد انتقل إلى الكتابات العربية بكيفيات لغوية مختلفة، تقترب حينا من مفهومه الغربي، وتنأى عنه حينا آخر،[4] لكن المفاهيم تختلط أكثر فأكثر نظرا لتعدّد الرؤى لدى الباحثين والدّارسين العرب، ولا تخرج

[1]- ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني،شرح وتعليق: محمد التنجي، ط3، دارالكتاب العربي، بيروت، 1999: 54.
[2]- ينظر: نفسه: 55.
[3]- ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدّراسات الأدبية واللسانية العربية:19.
[4]- ينظر: نفسه: 19-20.

تلك المرادفات الاصطلاحية على محيط المفهوم المركزي للبنية، فقد ترجم المصطلح إلى مسمّيات عدّة نحو: بِنية- هيكل- بناء- بنيان- هيكل- تركيب- نظم إلى غير ذلك.

3. البنيوية: (Structuralisme)

لقد اختلف الدارسون والنقاد في تبيان مفهوم البنيوية، حتى البنيويون أنفسهم نجدهم يوردون لها تعريفات مختلفةً، وهي في معناها الواسع: "طريقة بحث في الواقع، ليس في الأشياء الفردية بل في العلاقات بينها وهذا ما ذهب إليه جان بياجه وغيره. ويرى (ليونارد جاكسون) أن البنيوية هي القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات، والعقول، واللغات، والأساطير، بوصف كل منها نظامًا تامًا، أو كلاً مترابطًا، أي بوصفها بنيات، فتتم دراستها من حيث أنساق ترابطها الداخلية، لا من حيث هي مجوعات من الوحدات أو العناصر المنعزلة، ولا من حيث تعاقبها التاريخي"[1].

وتعدّ البنيوية (Structuralism) بأنها مذهب من المذاهب التي سيطرت على المعرفة الإنسانية في الفكر الغربي، يعني الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكونة له. ويعرف أحيانًا باسم البنائية، أو التركيبية.[2]

ويرى أقطاب هذا التوجه (بياجيه) أن المثل الأعلى للبنيوية هو السعي إلى تحقيق معقولية كامنة عن طريق تكوين بناءات مكتفية بذاتها، لا نحتاج من أجل بلوغها إلى الرجوع إلى أية عناصر

[1]- ينظر: البنية والبنيوية، عبد الله أحمد جاد الكريم حسن:01.

[2]- ينظر: النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980: 187- 188، وينظر: البنية والبنيوية:01.

خارجية. وعليه، فقيمة الشيء- من وجهة نظر البنيوية- ليس بذاته بل بعلاقاته بغيره؛ فلو لم يكن الأمر كذلك لما اختلفت وجهات النظر في النص الواحد، وكانت النتيجة واحدة، في حين نجد للنص الواحد مجموعة نصوص تتشكل، فيخرج لكل شخص نص مستقل مختلف عن غيره، وهذا دليل على أن الشيء ليس له قيمة بذاته بل قيمته بالعلاقات مع غيره، فالسمة الأساسية للبنيوية هو: الاهتمام بالعلاقات القائمة بين الأشياء والتي تبين من خلالها قيمة الشيء، وعدم الاعتراف بالفردية والاستقلالية[1]. وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللغة عامة وعلم الأسلوب خاصة؛ حيث استخدمها العلماء أساسًا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلاً لدراسة النص دراسة لغوية. وكل ظاهرة – تبعاً للنظرية البنيوية – يمكن أن تشكل بنية بحد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية... وهكذا[2].

4. البنيوية اللغوية:

تعدّ البنيوية اللغوية نظرية علمية تقوم على سيطرة النظام اللغوي على عناصره، وتحرص على الطابع العضوي لشتى التغيرات التي تخضع لها اللغة. وأما علم اللغة البنيوي: فيشير إلى التحليل اللغوي الذي يسعى إلى تأسيس نظم واضحة للعلاقات بين الوحدات اللغوية في البنية السطحية[3].

[1]- ينظر: قضية البنيوية دراسة ونماذج، المسدي، دار أمية بن عروس، تونس، 1991: 370.

[2]- ينظر: البنية والبنيوية:01.

[3]- نفسه:01.

5. اللسانيات البنيوية:

وهي المنهجية النظرية التي تَعُدّ اللسان بنية؛ أي: مجموعة من العناصر التي تقيم علاقات شكلية فيما بينها. وهي علم يقوم على أساس أن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن بقية العناصر في النظام اللغوي. وهي (أي: اللسانيات البنيوية) نظرية تطبق المنهج الوصفي في دراسة اللغة، فتنظر إليها على أنها وحدات صوتية تتجمع لتكون وحدات مورفولوجيةً صرفيةً لتكون هذه بدورها عبارات وتراكيب وجملاً[1].

[1]- ينظر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، عمان، الأردن، دار الشروق، 2002: 15-20، وللتفصيل في المسألة ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، ط2، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب 1982م، ومدخل إلى علم اللسان الحديث، عبد الرحمن حاج صالح، الجزائر، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد 4، 1973- 1974م.

6. البنية عند دي سوسير:

لا يمكن تعريف البنية عند سوسير إلا بالرجوع إليها بوصفها بناء أو نظاماً، أي بالرجوع إلى علاقاتها الداخلية (الدال والمدلول) بدلا من علاقاتها الخارجية (سياق اجتماعي، تاريخي) لأنها توظف حسب تناقضاتها الداخلية. وعلى الرغم من أن دي سوسير نفسه لم يستخدم كلمة "بنية"، وإنما استخدم كلمة "نسق" أو "نظام"، إلا أن الفضل الأكبر في ظهور المنهج البنيوي في دراسة الظاهرة اللغوية يرجع إليه هو أولاً وبالذات[1].

نستخلص مما سبق أن البنيوية قد أثارت جدالا واسعًا بين الدارسين، وواجهت الكثير من الاعتراضات، وإن أبرز هذه الاعتراضات تتعلق بتعريف البنيوية للأدب بأنه جسد لغوي، أو مجموعة من الجمل كما يرى رولان بارت، وكما يقول شكري عزيز الماضي: «كون اللغة مادة الأدب لا يعني بحال أن الأدب هو اللغة فالحجر هو مادة التمثال لكن التمثال ليس مجرد حجر، ومن العبث أن نعرّف التمثال بأنه جسد حجري»[2].

[1]- البنية والبنيوية:01، وينظر: مشكلة البنية، زكريا إبراهيم: 47.

[2]- ينظر: في نظرية الأدب، شكري عزيز الماضي، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1986: 192.

ثانيا: مفهوم الكلمة بين علماء العربيّة والدّرس اللّساني الحديث:

1. مفهوم الكلمة في الدراسات اللّسانية:

إنّ اللغة نظام يتكوّن من عدّة أنظمة، وهي مجموعة من العلامات والرموز تتكوّن بدورها من أصوات يُحدِثها أعضاء النطق الإنساني، وتدركها الأذن. وهذه الأصوات تأتلف بطريقة مخصوصة في شكل كلمات ذات معاني خاصة بهذه اللغة أو تلك، ثمّ جمل، فعبارات إلى ما فوق ذلك، وكلّ هذا يصبّ في نظام واحد متكامل ومتناسق هو ما يسمى بالنّظام اللّغوي.

وتأخذ الكلمة في هذا النظام مكانة خاصّة؛ إذ انفردت باهتمام خاصّ من علماء اللغة قديما وحديثا، فظلّوا ينظرون إليها لفترة طويلة في شكلها المكتوب، كالنّصوص اللغوية التي كانوا يدرسونها ويحلّلونها في إطار ما يُعرف عند الغربيين بفقه اللغة (Philologie)، إذ «يتناول هذا العلم غالبا دراسة النّصوص اللغويّة وتحليلها ومعرفة دلالات ألفاظها من النّواحي التّاريخيّة المقارنة»[1].

وبالرّغم من وضوح مفهوم الكلمة في أذهان النّاس إلاّ أنّ علماء اللغة المحدثين لم يسلّموا بهذا التصوّر للكلمة، كما يتمثّل في أذهان النّاس وإنّما نظروا إليها من وجهة النّظر العلميّة المجرّدة، ومن ثمّ اختلفت نظرتهم للكلمة عن نظرة علماء فقه اللغة، بل عن نظرة النّاس جميعا؛ لأنّهم وجّهوا دراساتهم للّغة المنطوقة دون اللغة المكتوبة. ولذلك «لم يسلّموا بادئ ذي بدء بفكرة الكيان المستقلّ للكلمة، ورأوا أن للكلمة جوانب متعدّدة يمكن النّظر إليها. فمن الجائز مثلا النّظر إليها على أنها سلسلة من

[1]- فصول في فقه اللّغة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1977: 09.

الأصوات أو على أنها عنصر نحوي أو وحدة من وحدات المعنى، وحينئذ تبرز مشكلة استقلال الكلمة في صور مختلفة، وذلك تبعا للحالة الخاصّة التي تكون عليها»[1].

1.1. مفهوم الكلمة في التراث اللّغوي عند العرب:

لقد حظي موضوع أقسام الكلام بعناية الكثير من الدارسين إذ يُعدّ من الموضوعات الأولى التي طُرحت في دراسة نشأة النحو العربي، فتناولوه بالنقد والتحليل، ولا يكاد يوجد كتاب من كتب النحو والصرف دون أن يبدأ به علماء اللغة، لما له من أهمية في فهم الأبواب والمسائل النحوية التي يتصدى لها.

1.1.1.الكلمة عند النحاة العرب:

إذا حاولنا التعرّف على تصوّر علماء العربية القدماء لماهية الكلمة وجدنا أنّ سيبويه (ت.180ه) لم يحاول أن يضع تعريفا للكلمة، وإنما بدأ كتابه بتقسيم أجزاء الكلام مباشرة، فالكلم عنده «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»[2]. وهو هنا ينظر إلى الكلمة من الجانب النّحوي أو الوظيفي، على أساس أنّ كتابه في النّحو وليس في علوم اللغة كما كانت معروفة في عصره.

ويبدو أنّ سيبويه قد أثّر فيمن بعده من النّحاة فيما يتصل بمفهوم الكلمة، فالمبرّد (ت285ه) يقتفي أثر سيبويه في حديثه عن الكلام دون الكلمة، فالكلام عنده اسم وفعل وحرف جاء لمعنى

[1]- الكلمة: دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط2، 1998: 16.

[2]- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار صادر، بيروت: 6/1.

أيضا[1]، غير أنه يستند إلى استقلال الكلمة في تحديد ماهيتها فيقول: «فأقلّ ما تكون عليه الكلمة حرف واحد، ولا يجوز لحرف واحد أن ينفصل بلفظه لأنه مستحيل»[2].

ويمثّل لما قصده بالكلمة التي على حرف واحد بضمير المتكلّم أو المخاطب أو الغائب، حيث تبرز فكرة الاستقلال الدّلالي كسمة من سمات الكلمة عنده.

أمّا الزّمخشري (ت.338ه) فيعرّف الكلمة بقوله: «هي اللّفظة الدّالة على معنى مفرد بالوضع»[3]. ويتعرّض ابن يعيش (ت.643ه) لهذا التعريف بصدد شرحه للمفصّل فيوضّح حدود تصوّره للكلمة إذ يقول: « إنّ اللّفظ جنس للكلمة وذلك لأنه يدلّ على المهمل والمستعمل، فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو "صص" و"كق" ونحوهما. فهذا وما كان مثله لا يسمّى كلمة لأنّه ليس شيئا من وضع الواضع، وإنّما يسمّى لفظة؛ لأنّه جماعة حروف ملفوظ بها، وعلى ذلك فكلّ كلمة عنده لفظة، وليس كلّ لفظة كلمة... ولو قال –يقصد الزّمخشري– عرض أو صوت لصحّ ذلك»[4].

[1]- ينظر: المقتضب، المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، 1385ه: 2/1.

[2]- المصدر نفسه: 26/1.

[3]- المفصّل في علم العربية، الزّمخشري، دار الجيل، القاهرة، د.ط، د.ت: 06.

[4]- شرح المفصّل، ابن يعيش، الطبعة المنيرية، القاهرة، د.ت:18/1-19.

فجوهر الكلمة عند الزّمخشري هو الصّوت وقصد المعنى كما فهم ابن يعيش ثمّ يعرض بعد ذلك لفكرة استقلال المعنى صدد كلامه عن المعنى المفرد؛ إذ يرى أنّ لفظة الرّجل أو الغلام مثلا ممّا هو معرّف بالألف واللّام يدلّ على معنيين مستقلّين هما التّعريف والمعرّف ما يعادل كلمتين في الواقع[1].

فالكلمة إذن عند الزّمخشري كما فهمها ابن يعيش لا بدّ أن تتوافر فيها ثلاثة شروط هي: الصّوت، وقصد المعنى أو الوضع، ثمّ الاستقلال بدلالة محدّدة[2].

أمّا السّيوطي (ت.911هـ) فيرى أنّ: «الكلمة لغة تطلق على الجمل المفيدة»[3] وهذا الإطلاق ينكره النّحويون، ثمّ يعرّف الكلمة بأنها: «قول مفرد مستقلّ أو منويّ معه»[4]ويقصد بالمنويّ معه الإشارة إلى الضمير المستتر نحو: قُمْ وذهبَ.

وبالرّغم من أنّ السيوطي يُلحّ على فكرة استقلال الكلمة دلاليّا إلّا أن هذا التصوّر للكلمة متأثّر إلى حدّ كبير بوظيفتها النّحوية ما جعله يتصوّر هذا الضمير المستتر يدخل ضمن نطاق الكلمة.

غير أنّ ابن مالك (ت672هـ) كان قد لخّص لنا موقف النّحاة تقريبا من مفهوم الكلمة في ألفيته حينما قال:[5]

كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كاستَقِم ❁ واسمٌ وفعلٌ ثمّ حرفٌ الكلِم
واحدُهُ كلمةٌ والقولُ عَمْ ❁ وكِلْمَةٌ بها كَلامٌ قَدْ يُؤَمْ

[1]- شرح المفصّل، ابن يعيش: 19/1.
[2]- الكلمة: 21
[3]- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت، د.ت،: 3/1.
[4]- نفسه: 3/1.
[5]- متن الألفية، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، المكتبة الشعبية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت: 2.

فهو هنا يفرّق بين مصطلحات أربعة شغلت النحاة، وهي الكلمة والكلِم والكلام والقول، ويهمنا هنا تصوّره للكلمة، فهو يرى أنّ الكلام هو اللّفظ المفيد، ولا يكون مفيدا إلا إذا كان مركّبا، وليس معنى هذا أنّه ينفي وجود الكلمة، وإنما يرى كما رأى غيره من النحاة أنّ للكلمة وجودا مستقلّا، ولكنها ذات معنى جزئيّ، إذ هي وحدة الكلام، وتصوّره للعلاقة بين الكلمة والكلام ينبع أساسا من رؤيته النحوية للكلمة دون خصائصها اللغوية[1].

ومن هنا نستخلص بأنّ الكلمة في تصوّر النّحاة عبارة عن صوتين؛ صائت وصامت أو أكثر، وتدلّ على معنى مستقلّ مفرد، أي أنّ تصوّرهم للكلمة يقوم على أصول ثلاثة هي:[2]

- الصّوت.
- الاستقلال.
- الدّلالة المفردة أو الجزئية.

غير أنّ هذا التصوّر وإن كان يتفق مع بعض آراء اللّسانيين المحدثين الذين حاولوا وضع تعريف للكلمة في كل اللّغات، إلّا أنّ هناك بعض الجوانب الهامّة التي أغفلها القدماء أو اختلطت عليهم عند تصوّرهم للكلمة، وهذه الجوانب نجملها كالآتي:[3]

- أنهم لم يفرّقوا بين الجانب الصّوتي والجانب الوظيفي للصوت، واعتبروهما شيئا واحدا.
- أنّهم لم يفرّقوا بين الدّلالة الوظيفية للكلمة ودلالتها الاجتماعية، رغم إدراكهم للكلّ منهما.

[1] – ينظر:الكلمة: 22.

[2] – نفسه: 22.

[3] – نفسه: 23

- لم يفرّقوا بين وجود الكلمة من حيث هي كلمة وبين وجودها من حيث كلمة تقتضيها معاني النّحو، ولعلّ هذا ما جعل السّيوطي يعدّ الضّمير المستتر من الكلمات.

2.1.1. الكلمة عند علماء المعاجم العرب:

حينما نستقرئ المعاجم العربية القديمة لا نكاد نعثر على تعريف نظري للكلمة وإنّما نلحظ من الطريقة التي رُتّبت بها أنّ أصحابها أدركوا جانبين هامين في طبيعة الكلمة وهما الجانب الصّوتي والجانب الدّلالي. ومن ثمّ رتّبوا معاجمهم تقريبا إما على اللفظ وإمّا على المعنى. ولذلك نجد قسمان رئيسان من المعاجم هما:[1]

أ. معاجم الألفاظ.

ب. معاجم المعاني.

ويمكن بلورة الطرق التي رُتّبت بها الكلمات في معاجم الألفاظ في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:[2]

أ. طريقة الترتيب المخرجي للأصوات، ويمثّلها كتاب العين للخليل بن أحمد (ت175هـ).

ب. طريقة الترتيب الألفبائي.

ج. طريقة الترتيب حسب الأبنية والصّيغ.

وفي كلّ الأحوال إنّ الهدف الأساسي من صناعة المعجم عند القدماء يتّجه إلى الاهتمام بالجانب الدّلالي.

[1]- الكلمة: 23.

[2]- ينظر: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1977: 204، والبحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988: 136.

أمّا الخليل فقد استند في حصره للكلمات اعتمادا على ثقافته اللّغوية وخبرته الصّوتية في معرفة التجمّعات الصّوتية المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية[1]. ومعنى هذا أنّ الخليل قد حكّم القوانين الصوتية إلى جانب المادّة اللغوية المسموعة في معرفة الكلمة العربية وحدودها، غير أنّه لم يحاول وضع تعريف نظري لها، وإنّما اعتمد على الواقع العملي[2].

وأمّا أصحاب المعاجم الأخرى، فلا نكاد نعثر لديهم «على تحديد واضح لماهية الكلمة، وأكثرهم يردّد كلام الخليل فيما يتّصل بالجانب الصّوتي منها. كما بدأ معظمهم من مدوّنات لغوية سواء أكانت على شكل معاجم تامة الخلق والترتيب أم على شكل رسائل لغوية».[3]

ويعرّف ابن منظور (ت.711ه) الكلمة في مادّة (كلم) بقوله: «الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلّفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بأكملها، وخطبة بأسرها»[4]. وهذا التعريف للكلمة لا يكاد يختلف كثيرا عما قال به النحاة.

[1]- ينظر: البحث اللغوي عند العرب: 137.

[2]- ينظر: الكلمة: 25.

[3]- نفسه: 25.

[4]- لسان العرب، ابن منظور، مادّة (كلم): 524/12.

3.1.1. الكلمة عند علماء البلاغة العربية:

أمّا البلاغيون العرب فقد نظروا إلى الكلمة من ناحية قيمتها الجمالية والتعبيرية، وعلى الرغم من أنّ علماء البلاغة المحدثين يرفضون الخوض في القيمة الجمالية للكلمة لما في ذلك من البعد عن الموضوعية العلمية[1]، إلّا أنّ «قضيّة الكلمة ودلالتها وقيمتها في التعبير قد استغرقت علماء البلاغة العربية أمدا طويلا، فيما تعرف في تاريخ البلاغة العربية بقضية اللفظ والمعنى، بما لها من صلة بقضية الإعجاز العلميّ»[2].

فالكلمة عند علماء البلاغة العرب تتميز عن غيرها أحيانا من حيث هي دالة عن معنى، وهي كذلك ذات قيمة جمالية وتعبيرية من حيث هي صوت، فإذا كانت غير متنافرة الأصوات أحدثت في الأذن موسيقى عذبة تساعد على تذوّق المعنى وتوصيله إضافة إلى قدرتها التعبيرية الموحية.

ومن هنا كانت دراسة الكلمة عند البلاغيين على اختلاف مناهجهم ونظرتهم تتصل بجانبين هامين من جوانبها هما:[3]

1. أصوات الكلمة وعلاقة هذه الأصوات بعضها ببعض.
2. دلالة الكلمة وقيمتها من الناحية الجمالية والتعبيرية في حالة الإفراد والتركيب.

فهذا ابن سنان الخفاجي (ت.466هـ) من أوائل البلاغيين العرب الذين اهتمّوا بالنواحي الصّوتية والدّلالية للكلمة بما لها من صلة بمفهوم البلاغة والفصاحة، فقد أقام كتابه على أساس التفرقة

[1] -Linguistics, Cristal ,David, Penguin Books, London, 1974: 62-63 .

[2]- الكلمة: 26.

[3]- نفسه: 26.

بين مفهوم البلاغة والفصاحة، ولذلك يقول: « والفرق بين الفصاحة والبلاغة أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلّا وصفا للألفاظ مع المعاني، ولا يقال في كلمة واحدة لا معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإنْ قيل فصيحة»[1].

ومع أنّ علماء البلاغة العرب لم يسلموا كلّيا بالفرق بين البلاغة والفصاحة كما تصوّرها ابن سنان إلّا انّه حاول أنْ يحدّد المفهوم الدّقيق لفصاحة الكلمة فقال: « إنّ الفصاحة على ما قدّمنا، نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدّة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة الألفاظ بحسب الموجود منها، تأخذ القسط من الوصف وبوجود أضدادها تستحقّ الإطراح والذّم»[2]. ثمّ أخذ يقسّم تلك الشروط ويذكر حدود فصاحة الكلمة المفردة حسب تصوّره. وعليه فالقاعدة العامة للفصاحة كما سلّم بها كثير من علماء البلاغة بعد ابن سنان تجمع في عبارة: خلوص الكلمة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي أو الصّرفي[3].

إنّ تصوّر ابن سنان للكلمة ومن حذا حذوه يجمع تلك الجوانب التي تصدّى لها من قبله من النحاة والمعجميين والتي تتمثل في: الصوت والصيغة والدّلالة والاستقلال.

[1]- سرّ الفصاحة، ابن سنان محمّد عبد الله بن محمد بن سعيد، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، 1954: 55-56.

[2]- نفسه: 60.

[3]- ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1932: 24.

ثمّ نجد مثل هذا التصوّر للكلمة عند عبد القاهر الجرجاني رغم هجومه على فكرة فصاحة اللّفظة المفردة التي نادى بها ابن سنان في مواطن كثيرة من دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، إذ يرى أنّ مردّ الفصاحة إلى النّظم أو ما نسمّيه الأسلوب وخصائصه وطريقة تركيبه لا إلى الكلمة المفردة[1].

فماهية الكلمة عند الجرجاني أصوات ودلالة، أوهي صورة ذهنية عن طريقها نتعرّف على الوجود الخارج عن اللّغة، فيقول: «فلو أنّ الألفاظ خلت من معانيها حتّى تتجرّد أصوات وأصداء، وحروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أنّه يجب فيها ترتيب وتنظيم، وإنّما هي وصوت تصوّته سواء»[2].

الكلمة إذا عند علماء البلاغة العرب لها وجود واضح بعيدا عن اللغة المكتوبة، فهي أصوات ذات دلالات وصيغ، بل هي كما قال الجرجاني رمز لما في خارج اللّغة، غير أنّهم لم يحاولوا جميعا وضع تعريف نظري للكلمة، كما لم يحاولوا النظر في ماهيتها بعيدا عن اللغة العربية، إذ أنّ تصوّرهم مرتبط بهذه اللغة، ولعلّ في ارتباط اللغة العربية بالدّين هو ما جعل للدّراسات اللغويّة والبلاغيّة العربية خصوصية تنفرد بها عن بقية الدّراسات اللّغوية والبلاغيّة العربية خصوصية تنفرد بها عن بقيّة الدّراسات اللغويّة الأخرى[3]، ولذا لم يحاول علماء اللغة أو البلاغة تجاوز تلك الخصوصية والنّظر في ماهية الكلمة من حيث هي عنصر لغوي، ورغم هذا كلّه لا نستطيع إغفال تصوّرهم الواضح للكلمة كما سبق وأن رأينا.

[1]- ينظر: دلائل الإعجاز: 38، 42، 68، 232، 359، 262.
[2]- دلائل الإعجاز: 337.
[3]- الكلمة: 29.

2. ماهية الكلمة عند المحدثين (غرب وعرَب):

إذا مضينا في تتبّع التعريفات التي وضعت للكلمة من قبل اللّسانيين المحدثين الغربيين والعرَب وجدنا عددا منها متضاربا مع بعضها، ومنها ما أثار عاصفة من الجدل في بيئة علماء اللغة المعاصرين.

1.2. الكلمة في نظر علماء اللّسان الغربيين:

لقد حاول بعض علماء اللّغة المحدثين وضع تعريف للكلمة بحيث ينطبق هذا التعريف على كلّ اللّغات. آخذين في الحسبان وجهات النّظر المختلفة، سواء من النّاحية الصّوتية أم الصّرفية، أم النّحوية، أم الدّلالية. ومن ثمّ تعدّدت التّعريفات؛ وواجه كلّ تعريف نقدا من علماء اللّغة على اختلاف مدارسهم[1].

ولعلّ أشهر من عرّف الكلمة من علماء اللّغة المحدّثين هو العالم الأمريكي **بلومفيلد** (Bloomfield)، الذي قال:« الكلمة هي أصغر صيغة حرّة »[2]، ومعنى هذا أنّ الكلمة عنده هي أصغر وحدة لسانيّة دالّة يمكن النّطق بها معزولة، كما يمكن استعمالها لتركيب جملة أو كلام، ويجب أن تتكوّن من مورفيم حرّ (Morphèmes libre) على الأقلّ[3]، ومع ذلك فإنّنا نجد في كلّ اللّغات كلمات لا ينطبق عليها هذا التعريف، ففي اللّغة الإنجليزية مثلا نجد عناصر لغوية مثل: "a" و"the"

[1] - The word as linguistic, Kramsky, Jiri, Unit.Mouton, The Hague, Paris, 1959:17.
[2]-Dictionary if Language and Linguistics, Hartmann end Stork, F.,C, London, 1972: 256; Voir: Dictionnaire de la linguistique, Georges Mounin, Presse Universitaires de France, 1er édition: 1993: 221.
[3] -Dictionnaire de la linguistique, Georges Mounin: 221.

لا تستعمل بمفردها قطّ، ومثل ذلك في اللّغة الفرنسيّة بالنّسبة للضمير "je" الذي لا يستعمل في معظم الأحيان بمفرده، وكذلك حروف الجرّ وبعض الضمائر في اللّغة العربية.

أمّا العالم الإنجليزي "**فيرث" Firth**، فقد اعتمد في تحديده للكلمة على التّقابل الاستبدالي، أي أنّ استبدال الأصوات ذات الصّفات المميّزة في الكلمة بغيرها، أو إضافة هذه الأصوات أو حذفها يؤدّي إلى وجود كلمات جديدة. وعلى هذا النحو يؤدّي تغيير أي عنصر من عناصر الكلمة إلى خلق كلمة جديدة ذات دلالة مختلفة، واللّغة الإنجليزية من اللّغات التي يسهل فيها تطبيق نظرية الاستبدال بين الأصوات. فكلمة pin مثلا قد تصبح طبقا لهذه النّظرية bin أو pan أو pit. فإذا أضفنا إليها صوتا جديدا فقد تصبح spin، أمّا الحذف فيحوّلها إلى in وهكذا[1]. ومن الممكن إيراد أمثلة لهذا النوع من التّقابل الاستبدالي في اللّغة العربية في نحو "قال" التي تصبح "جال" أو "صال"... إلخ.

وإذا تتبّعنا بعض تعريفات الكلمة لدى علماء اللّغة المحدثين والمعاصرين نجد التعريف الذي قدّمه العالم **ترنكا** (Trnka) الذي قال إنّ الكلمة عبارة عن وحدة يمكن إدراكها عن طريق فونيمات (Phonèmes)، وهي قابلة للإبدال ولها وظيفة دلالية[2]، وهذا التعريف يقترب إلى حدّ كبير من تعريف "**فيرث**".

[1] – ينظر: دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة: د.كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975: 45.

[2] - Kramsky : 21.

وعرّف "**ماتيسيوس**" **(Mathesius)** الكلمة بقوله: «إنّها أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأيّ وحدات أخرى»[1].

بينما يرى "**فاشيك**" **(Vachek)** إنّ الكلمة هي «جزء من الحدث الكلامي له صلة بالواقع الخارج عن اللّغة، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم، ويتغيّر موضعها بالنسبة لبقيّة الحدث الكلامي»[2].

وعرّفها "**أنطوان مييه**" بقوله: «تحدث الكلمة من ارتباط معنى ما بمجموع ما من أصوات قابل لأن يستعمل استعمالا نحويا ما»[3].

وعلى الرّغم من تعدّد التعريفات على هذا النحو إلاّ أنّ علماء اللّغة وجدوا أنّ كلّ تعريف غالبا ما يهمل بعض الخصائص اللّغوية وغير اللّغوية للكلمة. كما لا ينطبق على كلّ اللّغات على اختلاف عائلاتها وخصائصها. ومن ثمّ اتّجه بعضهم وجهة أخرى في محاولة الوصول إلى تعريف علميّ دقيق للكلمة، وذلك عن طريق فحص التّعريفات السابقة وغيرها، وحصر الأخطاء التي تضمّنتها جميعا. فوجدوا أنّ هذه الأخطاء غالبا ما تكون أحد الأمور الأربعة الآتية، أو كلّها معا وهي:[4]

1- إعطاء أهميّة مبالغ فيها أحيانا للملامح الصّوتية أو الملامح الدّلالية دون النّظر في طبيعة العلاقة المعقّدة بين الصّوت والدّلالة.

---

[1]- Kramsky: 21.

[2]- نفسه: 21.

[3]- اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصّاص، مكتبة الإنجلو المصريّة، القاهرة، 1950: 124.

[4]- ينظر: الكلمة: 18.

2- عدم تقدير أهميّة علاقة الكلمة بالجملة وعلاقة الجملة بالكلمة.

3- عدم الفصل بين خصائص الكلمة من النّاحية اللّغوية وبين أهميتها من الناحية الدّلالية.

4- الخلط في تعريف الكلمة واللّغة في حالة تطوّر Dynamique، وبينها وهي في حالة استقرار أو الثبات Statique.

وعلى هذا أخذت فكرة وضع تعريف جامع مانع للكلمة تتراجع، وحلّ محلّ ذلك فكرة وضع معايير عامّة يتوخّاها كلّ من يتصدّى لتحديد ماهية هذا الصّوت المعقّد الذي يسمّى الكلمة، وهذه المعايير هي:[1]

1) الإدراج ⟵ (Insertion)

2) الإبدال ⟵ (Substition)

3) التعاقب ⟵ (Sequence)

4) الاستقلال ⟵ (Independence)

5) التركيب الفونيمي ⟵ (Phonemic Structure)

6) الجانب غير الفونيمي ⟵ (Non-Phonemic)

غير أنّ هذه المعايير لا يمكن أن تطبّق على كلّ اللّغات أحيانا بنفس الدّرجة أو الطّريقة بل تظلّ تحمل في طيّاتها ملامح لغة معيّنة، ومن المسلّم به أنّ الاختلاف في تركيب أيّ لغة ينعكس أيضا على الوحدات اللّغوية لهذه اللّغة، وخاصّة الوحدات ذات التركيب المعقّد مثل الكلمة أو الجملة، ومعنى

[1] - Kramsky : 18.

هذا أنّ مثل هذه المعايير إذا ما طبّقت فسوف تؤدّي إلى تعريف خاص للكلمة في كلّ لغة على حدة، دون تعريف نظري جامع لماهية الكلمة في كلّ اللّغات، وهو ما يسعى إليه كلّ علماء اللّغة[1].

أمّا علماء المعاجم الغربيين فقد انطلقوا من وجهة نظر مختلفة لوجهة نظر علماء اللّغة إذ من المعروف أنّ مهمّة المعجم اللّغوي الأولى هي بيان وشرح معاني الكلمات، لذلك فإنّ علم المعاجم (Lexicography) يُولي أهميّة خاصّة لدراسة الكلمة سواء من ناحية المبنى أم المعنى، نظرا لأهمّيتها في العمل المعجمي ؛ إذ أنّ معظم المعاجم كما نرى، ترتّب على أساس الكلمات المفردة، ولذلك لم يتورّط علماء المعاجم كثيرا في محاولة البحث عن تعريف نظري للكلمة، كما فعل علماء اللّغة، وإنّما انصرفوا إلى تحديد ماهيتها من الناحية العملية، لأنّ علم المعاجم علم عملي في أكثر جوانبه، ولذلك انطلقوا من مفهوم الكلمة، كما يتصوّرها كلّ شخص قادر على التحكّم في لغته. وقالوا إنّ كلّ إنسان يعرف على الأقلّ من الناحية العملية ما هي الكلمة، وما هي الجملة، حتى لو لم يكن في مقدوره وضع تعريف نظري وعلمي لهما[2].

وعلى كلٍّ، إن الإدراك الحقيقي لماهية الكلمة يتوقّف إلى حدّ كبير على إدراك بعض الأشياء المحيطة بها أو المتّصلة بها، سواء في النّظام اللّغوي أم العالم الخارجي. ولذلك فإنّ المتكلّم بأيّة لغة لا يوجد أدنى صعوبة في إدراك حدود الكلمة؛ لأنّه يستعملها كما اختزنها في ذاكرته من خلال مواقف

[1] – الكلمة: 18.

[2] -Manual of Lexicography, Zgnata, Ladtalev, Monton, The Hague, Paris, 1971: 21.

مختلفة ومتعدّدة لكي يشير بها إلى أشياء محدّدة وموجودة في خارج اللغة، بل إنّه يستطيع أن يستعمل هذه الكلمات في بناء تركيب وجمل يعرف حدودها تماما[1].

ولهذا سلّم علماء المعاجم الغربيين بوجود الكلمات من حيث هي علامات، وهي أيضا جزء من النّظام اللغوي لأيّة لغة، كما يستعملها ويدركها المتكلّم بهذه اللغة ؛ ولذلك قالوا إنّنا لا نستطيع أن نتجاهل وجود شيء اسمه الكلمة، سواء في علم المعاجم أو علم اللغة، لسبب بسيط وهو أنّ كلّ متكلّم بلغة ما لديه فكرة واضحة ومحدّدة عن الكلمة يستوي في ذلك من يعرف القراءة والكتابة أو الذي لا يعرفها[2].

2.2. مفهوم الكلمة لدى اللّغويين العرب المحدثين:

أمّا علماء العربية المحدثون فلا نجد تعريفا محدّدا للكلمة فيما كتبوه ونشروه في بحوثهم اللغوية. ولعلّ تعريف تمّام حسّان في كتابه (مناهج البحث في اللغة) هو التعريف الوحيد –فيما نعلم– الخاصّ بالكلمة العربيّة.

يعرّف تمّام حسّان الكلمة العربيّة بأنّها«صيغة ذات وظيفة لغوية معيّنة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تُفرد أو تُحذف أو تُحشى أو يُغيّر موضعها أو تُستبدل بغيرها في السّياق، وترجع مادّتها إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد»[3]. وعلى الرّغم من خصوصيّة هذا التعريف، يبدو أنّ تمّام حسّان يتّخذ من وجود الكلمة داخل السّياق معيارا لتعريفها؛ لأنّها كما

[1] -Manual of Lexicography: 21-23.

[2]- ينظر: الكلمة: 20.

[3]- مناهج البحث في اللغة، تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1973 :226.

قال: تُفرد عن السّياق أو تُحذف عنه أو تُستبدَل فيه، إضافة إلى استقلالها باعتبارها وحدة من وحدات المعجم. أمّا المعيار الصّوتي والدّلالي فلا يكادُ يذكر عنه شيئا في تعريفه، وكأنّه يتناول الكلمة المكتوبة أكثر من المسموعة.

ليس للكلمة إذن حدّ عامّ يمكن تطبيقه على كلّ اللغات ومع ذلك فهناك لغات كما يقول "فندريس" (Vandryes) يسهل فيها تحديد الكلمة كوحدة لا تتجزّأ. بينما هناك لغات تذوب فيها الكلمة على نحو ما في الجملة، بحيث لا يمكن تحديدها مثل اللغة الفرنسية أو التركية وبعض اللغات الإفريقية. أمّا اللغات السّامية واللغات الهنديّة الأوربية القديمة مثل السّنسكريتية، أو الإغريقيّة القديمة، فللكلمة فيها استقلال واضح يظهر في كثير من جوانبها الصّوتيّة والصّرفيّة والدّلاليّة[1]. وما من شكّ في أنّ الكلمة العربيّة تتمتّع أيضا بهذا القدر من الاستقلال الصّوتي والصّرفي والدّلالي.

ولعلّ مردّ هذا الخلط والتشتّت في تعريف الكلمة يعود في الأساس إلى «كون ماهية الكلمة متعدّد الأبعاد والجوانب فالكلمة ذات متميزة بملامحها الصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية والصواتة... الخ، ومن أجل رصد هذه السمات وهذا التميز تعددت النظريات والمقاييس للفصل بين ما يمكن معالجته في التركيب أو المعجم أو الصرافة أو الصواتة، مدرجة معالجة الكلمة داخل هذا المكون أو ذاك، فمن اللغويين من اعتبر معالجة الكلمة، بما في ذلك مختلف قواعد تكوينها من محض اختصاص المكون المعجمي، ومنهم من استدلّ على تركيبية هذه القواعد، وفريق ثالث أنكر أن تكون

[1]- اللغة، فندريس،: 122-124.

ضوابط البناء من الصنف الأول أو الثاني، بل إنه دافع عن طبيعتها الصرفية، وبموازاة مع هذا يدور النقاش حول استقلال الصرافة أو عدم استقلالها عن التركيب والصواتة أو عن المعجم»[1].

إنّ هذا التّباين والتشتّت في وجهات النّظر يعود إلى طبيعة الكلمة التي تشكّل موضوعا تتجاذبه العديد من العلوم التي تناولتها بالبحث والدّراسة ومنها علم الصّرف وعلم التركيب وعلم الدّلالة وعلم المعاجم وعلم الأصوات وغيرها. ومن هنا حاول بعض علماء اللغة جاهدين تحديد مجال الكلمة وهذا بالنظر إلى البنية المورفولوجية للكلمة تارة أو بالنظر إلى موضع الكلمة من التركيب الذي ترد فيه تارة أخرى، أو بالنظر إلى دلالة الكلمة ومعناها[2].

وعليه يمكننا القول: إنّ علماء اللغة المحدثين والمعاصرين قد أخفقوا في وضع حدّ عام للكلمة في اللغات الإنسانيّة، ويرجع ذلك إلى أنّ لكلّ لغة خصائصها الذّاتيّة التي تختلف بها عن اللغات الأخرى، وهي قضية أدركها علماء اللّغة إدراكا تامّا، ورغم بديهيتها مضوا في محاولاتهم لوضع حدّ عالميّ للكلمة، ومن ثمّ تعارضت تلك المحاولات وكثُرت تلك التعريفات وتضاربت بل إنّ بعضهم قد يئس وشكّ في قيمة الاعتراف بشيء اسمه الكلمة، واعتبرها بعضهم خرافة علم اللغة.[3]ومع ذلك فالأغلبية من هؤلاء العلماء يستعملون الكلمة ويتحدّثون عنها في دراسة اللغة كشيء موجود محدّد، له كيان ذو سمات أساسية محدّدة بعضها يتّصل ببنية الكلمة وبعضها يتّصل بالمعنى مثل:

[1]- ينظر: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، عبد القادر الفاسي الفهري، ط1، دار توبقال للطباعة والنّشر، الدّار البيضاء، المغرب: 37.

[2]- المرجع السابق: 37.

[3]- A short History of Linguistics, Robins, London, 1969: 193.

أ) الجانب الصّوتي.

ب) الصيغة والوظيفة.

ج) الاشتقاق.

د) النّطق والكتابة.

هـ) دلالة الكلمة.

و) رمزيّة الكلمة.

الكلمة إذن في نهاية المطاف مبنى ومعنى[1]، لكلّ منهما سماته وخصائصه التي بها نستطيع أن نتعرّف على الكلمات، ولعلّ محاولة وضع تعريف جامع مانع للكلمة تتراجع أمام الدّراسة الدّقيقة لهذه الجوانب جميعا، فهي أولى بالاهتمام والدّرس من محاولة وضع تعريف عام للكلمة، مهما بلغت دقّته فسيكون شأنه شأن التعريفات دائما، ليس بجامع أو مانع، وإنّما سنجد دائما شيئا لم يضمّه هذا التعريف. إنّ دراسة هذه الجوانب السابقة بما لها من صلة بالكلمة، قد تعين إلى حدّ كبير على تصوّر ماهيتها بشكل عام، وهي أمر- لا شكّ- له أهمّية بالغة في الدّرس اللغوي.

وبعد تلكم المفاهيم التي تمّ عرضها لمصطلحي البنية والكلمة، سنحاول فيما يلي الوقوف على البنية الصوتية للكلمة سواء في العربية أم في العبرية، وذلك بتفكيكها إلى أصغر مكوّناتها؛ أي الصوامت والصوائت ودراسة مخارجها وصفاتها إلى غير ذلك.

[1]- الكلمة: 31.

الفصل الثاني

البنية الصّوتية للكلمة بين العربية والعبريّة

تمهيد:

إنّ علم الأصوات (La phonétique) فرع من اللّسانيات (La linguistique) وهو ذو أهمية كبيرة بالنسبة إلى بقية المجالات في دراسة اللغة؛ إذ يُعدّ المنطلق القاعديّ في مستويات البحث اللّساني لأيّ لغة وعليه تبنى الدّراسة اللّغوية في ترتيب تصاعديّ بدءًا من المستوى الصوتي إلى المستوى الصّرفي إلى النّحوي فالدّلالي، ومن الصعب أن يكون الباحث لغويا دون أن تكون لديه معرفة متينة في علم الأصوات.

يهتم علم الأصوات بدراسة أصوات الكلام المنطوق، وينقسم هذا العلم قسمين:[1]

أ. علم الأصوات (Phonétique) ويدرس الأصوات اللغوية منفردة خارج سياقها التركيبي دون النظر في قيمتها أو دلالتها أو وظائفها؛ إذ يتناول مخارج هذه الأصوات في اللغة المدروسة، وصفاتها وتقسيمها على صوامت وصوائت في إطار تجريدي، وهو الأساس الذي تبنى عليه الدراسة الوظيفية لتلك الأصوات.

ب. علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) (Phonologie): ويدرس وظائف أصوات لغة معينة في التركيب وقيمتها للكشف عن أثرها بحسب موقعها في السلسلة الكلامية وما يحدث فيها من

[1]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو جان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي- عربي: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، د.ط، 1969 : 17، ومعجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، ط1،بيروت، 1982: 210، 212، التفكير اللغوي بين القديم والحديث: 174، 176، وعلم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، 2000: 65-66، 67-69، وعلم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت:23-24، وعلم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1992: 24، ومناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 111.

تغييرات صوتية قد تؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة والسياق، كما يدرس بنيتها المقطعية والنبر والتنغيم والفواصل الصوتية.

وعليه ينبغي الإشارة إلى أنّ كلاّ من الفونيتيك والفونولوجيا متكاملان ومتداخلان ولا يمكن الفصل بينهما.

1. الصوت اللغوي وكيفية حدوثه:

تختلف الأصوات التي تدخل في عملية التواصل اللساني الإنساني عن غيرها؛ إذ هناك أصوات لغوية وأصوات غير لغوية كالصفير والأنين والحفيف وغيرها، وللتمييز بينهما لا بدّ من التمييز بين: الصوت بمفهومه العام والصوت اللّغوي.

1.1. تعريف الصوت اللغوي:

لغة: ورد في لسان العرب "صوَّت يُصوِّت تصويتا، فهو مصوّتٌ، وذلك إذا صوّت بإنسانٍ فدعاه. ابن السّكّيت: الصّوتُ صَوْتُ الإنسان وغيره. والصّائِتُ: الصّائِحُ"[1]. وجاء في المعجم الوسيط:الصوت: الأثر السمعيّ الذي تحدثه تموّجات ناشئة من اهتزاز جسم ما. والصّوت اللّحن. يُقال: غنّى صوتا، (وهو مذكّرٌ، وقد أنّثه بعضهم). والصّوت الذِّكر الحسن... والجمع أصوات[2].

اصطلاحا: يُعَدُّ الصوت اللّغوي المظهر المادّيّ للّغة، ويوصف بأنّه لغويّ حتىّ لا يختلط بالأصوات غير اللّغويّة التي تصدر عن غير الإنسان «فالكلمة لا تتكوّن إلّا من أصوات لغويّة بالمعنى

[1]- لسان العرب: مادة (صوت): 57/2.

[2]- ينظر: المعجم الوسيط:220/1 .

المصطلح عليه، وهذا الاصطلاح هو الذي يفرّق بين لغة ولغة، فكلّ قوم اصطلحوا على مجموعة من الأصوات يعبّرون بتأليفها عن أغراض»[1].

فالصّوت اللغوي صوت إنساني يصدر إراديا عن أعضاء النطق، ويتطلّب أوضاعا محدّدة وحركات معينة لهذه الأعضاء[2] وهذا الصّوت لا يخرج من جهاز النطق مسترسلا دون عوارض، بل يتمّ تعديله بقدر ما يصاحبه من حركات الفم، فيتحوّل إلى صوت ذي أثر سمعي مفهوم لدى المتلقّي يتّصل بآخر فتتكوّن كلمة ذات معنى خاص تتصل بأخرى لتكوّن جملة ذات دلالة ورسالة معينة.[3]

ويُعدُّ هواء الزّفير بالنسبة للإنسان المادة الخام لأي صوت لغوي إذ ينشأ «من ذبذبات مصدرها الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيُحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات، حتى تصل إلى الأذن»[4].

ولم يخرج القدماء في تعريفهم للصّوت اللّغوي عن المحدثين عموما، فهذا الجاحظ (ت.255هـ) يعرّفه فيقول: «هو آلة النطق والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات

[1]-المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، د.ط، 1400هـ/1998م: 26.

[2]- ينظر: علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي محمد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1998: 27.

[3]- ينظر: علم اللغة العام (الأصوات)، كمال بشر: 64، ومناهج البحث في اللغة: 71، وأسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1983: 38.

[4]- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط4، 1971: 08، وينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 27، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، مطابع اليقظة، بيروت، 1978: 254.

اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلّا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف»[1].

أمّا ابن جني ت(ت.392ه) فقد عرّفه بقوله «عرَض يخرج مستطيلا متّصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته...»[2].

2.1. كيفية حدوث الصّوت اللّغوي:

حينما يستعد الإنسان للكلام العادي، يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلاً، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر أعضاء النطق، وتواصل عضلات البطن تقلصها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى، فإذا فرغ منها فإن عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعدادًا للنطق بالجملة التالية وهكذا[3].

[1]- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1968، 58/1.

[2]- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوقيفية، القاهرة: 19/1.

[3]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر:111.

وتختلف العملية الكلامية عن التنفس العادي، في أن الثاني يتم بصورة صامتة في العادة؛ لتحرك تيار الهواء دون عوائق، أما في العملية النطقية فلا يمر الهواء معها حرّا طليقا، وإنما يصادفه في اندفاعه إلى الخارج أنواع من الضغط والكبح والتعويق[1].

ويوضح ماريو باي كيفية إنتاج الأصوات اللغوية بقوله: «فالرئتان تقومان بوظيفة المنفاخ الذي يوفّر التيار الهوائي الذي يعتبر المادة الخام لإنتاج الأصوات اللغوية. هذا التيار الهوائي يتجه إلى أعلى خلال القصبة الهوائية ويواجه تضاريس مختلفة من التقبضات والانسدادات. وبمجرد أن يغادر الهواء الأوتار الصوتية والحنجرة يمكن له أن يتجه إما إلى الفم أو إلى الأنف اللذين يقومان بوظيفة حجرتي رنين»[2].

ويوضح أحد الدارسين عملية إنتاج الصوت اللغوي بقوله: «إن الهواء الخارج من الرئتين، إما أن يصادف مجراه مسدودًا سدّا تامًا، عند أية نقطة في الجهاز النطقي ما بين الحنجرة والشفتين. وإما أن يصادف في طريقه تضييقا في المجرى، لا سدًا فيه، بحيث يسمح هذا التضييق للهواء بالمرور، ولكن هذا الهواء يحتك بنقطة التضييق هذه»[3].

معنى ذلك أن الصوت اللغوي يحدث عند عملية الزفير، وذلك في أثناء خروج الهواء من الرئتين، حيث لابد من أن يعترضه عضو أو عضوان من أعضاء النطق يتحكمان في مروره، فيمنعانه من المرور

[1]-المرجع السابق: 112

[2]- أسس علم اللغة، ماريو باي:77.

[3]- المدخل إلى علم اللغة، محمد حس عبد العزيز، دار الفكر العربي، ط2، د.ت: 28.

منعا تامًا، ثم ينفتح الانسداد بشكل مفاجئ، وربما يواجه الهواء تضييق لا انسداد، فيخرج محتكّا بالأعضاء التي تمّ عندها التضييق، كما أن الهواء في عملية الزفير يخرج بشكل دفعات هوائية كل دفعة تكون مقطعا صوتيا.

نلاحظ أن كيفية خروج الهواء تحدّد صفات الأصوات الخارجة من مواضعها، كما أن العوائق التي يمر بها الهواء لها دور في تحديد تلك الصفات.

يتوقف إنتاج الأصوات اللغوية إذن على وجود شيئين: النَّفَسُ والعَارِضُ[1]، أما النَّفَس فيتحصل من هواء الزفير، وأما العارض فيتأتى من تحريك أعضاء النطق، ويمكن أن يحدث ذلك في أي نقطة من آلة النطق، وقد يكون العارض بغلق مجرى النفس ثم فتحه، وقد يكون بتضييقه فيمر الهواء من خلال منفذ ضيق ينتج عنه صوت مسموع. وعملية إنتاج الأصوات اللغوية لا تتم في الغالب بحركة عضو واحد من أعضاء الجهاز النّطقي كما سبق الذّكر، فهناك عدد من الحركات التي تؤدي إلى إنتاج الصوت، ومن ثم قيل: إن عملية إنتاج الصوت اللغوي عملية معقدة[2]، ولكي ندرك حقيقة هذه العملية علينا الوقوف عند العوامل التي تُسهِم في إنتاج الصّوت اللغوي، وتمنحه جَرْسَهُ المميّز له، وتلك العوامل ثلاثة أهمّها:

أ. حالة الوترين الصوتيين عند إنتاج الصوت: وذلك بتذبذبهما إذ ينتج صفة الجهر، أو بتباعدهما من غير تذبذب، وينتج عن ذلك الهمس في الصّوت.

[1]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 19.

[2]- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:08.

ب. موضع اعتراض النَّفَس في جهاز النطق، وتتحدد بموجبه مخارج الأصوات، بدءاً، وانتهاء بالشفتين، من تجويف الحلق.

ج. كيفية اعتراض النَّفَس في ذلك الموضع، وتتحدد بموجبه صفات الحروف الأخرى، من شدة ورخاوة وإطباق وانفتاح وغنة وتكرير وغير ذلك.

تُصنّف الأصوات اللّغوية التي تتكوّن منها الكلمة في الدراسات الصوتية كما هو معلوم من حيث نوعها إلى قسمين كبيرين: قسم للصوامت (Consonnes) وآخر للصوائت (Voyelles).

فإذا صادف الهواء الصادر من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز عائق يمنع عبوره كليا أو جزئيا إلى الخارج في موضع ما، عُرف الصوت الناشئ بهذا الوصف بالصامت نحو: /ب/،/ت/،/ج/ ومثلها في العبرية /ב/، /ת/،/ג/ إلى غير ذلك. وقد أطلق العرب مصطلح "الحروف الأصول" على تلك الصوامت التي منها يتكون جذر الكلمة، وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتا، يدخل فيها الواو والياء غير المدّيتين. بينما في العبرية فعددها اثنان وعشرون صوتا صامتا.

أما إذا خلى مجرى الهواء من أي اعتراض يؤدي إلى احتكاك مسموع، وخرج الصوت حرّا طليقا سُمِّي ذلك بالصائت ويُعرف في العربية بالحركات؛ كالفتحة والضمة والكسرة. إضافة إلى أصوات المدّ الواو والألف والياء؛ ما يُعرف بحروف العلة في التراث العربي نحو: قال، يقول، قيل. وفي العبرية يوجد أكثر من ذلك سنرى تفصيلها لاحقا[1].

[1]- ينظر: المعجم الحديث عبري- عربي، ربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1992: 73-76.

إذن فأساس التمييز بين الصوامت والصوائت يعتمد على عنصر جوهري في تصنيفهما إلى زمرتين اثنتين، وهو وجود الاحتكاك الذي يحدث جراء ذلك الاعتراض أو الإعاقة في موضع ما بالنسبة إلى الزمرة الأولى، أي الصوامت، وخلوه من أي اعتراض أو احتكاك يُذكر بالنسبة إلى الزمرة الثانية، أي الصوائت، وسنتولّى في هذا الفصل الدراسة المقارنة لأصوات اللغتين العربية والعبرية بنوعيها الصّوامت والصوائت.

أوّلاً: الأصوات الصّامتة:

من المميّزات الصوتية للصّوامت عموما أنّه حين إطلاقها إماّ أن تلقى سدّا محكما في مخارجها أو تضييقا؛ ومعنى ذلك أنّ الهواء يمرّ عبر الحنجرة باتجاه الفم محاولا الخروج، فإذا اعترضه معترض أو وقفة أو ضيّق مجراه دُعي الصّوت المنبعث صامتا.

❖ **الصوامت العربية:**

1-مخارج الأصوات الصامتة العربية:

المخرج هو مكان النطق الذي يحدث فيه الاعتراض بالحبس أو التضييق من قِبل أعضاء النطق حين النطق بالأصوات الصامتة[1]، وقد وزّع علماء الأصوات المحدثون مخارج الأصوات الصامتة العربية على عشرة مخارج حسب ما دلّت عليه التجارب الحديثة وذلك على النحو التالي:[2]

1) **المخرج الشفهي**: ويسمى الصوت الخارج من الشّفتين شفهيّا أو شفويا، وتحقيق ذلك بتقريب المسافة بينهما أي بين الشفتين بالاستدارة أو إقفالهما في طريق الهواء، والأصوات الصادرة من هذا المخرج هي: الباء /**ب**/ والميم /**م**/ والواو/**و**/.

2) **المخرج الأسناني**: ويُنطَق عند اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا، والأصوات الصادرة منه هي: الثاء /ث/ والذال /ذ/ والظاء /ظ/.

3) **المخرج الأسناني اللّثوي**: ويسمى الصوت الخارج منهما أسنانيًا لثويا وذلك عند اتصال طرف اللسان مع الأسنان العليا ومقدمة اللسان باللثة (وهي أصول الثنايا) حين خروجه، ويضمّ هذا المخرج أكثر الصّوامت عددا من باقي المخارج الأخرى وهي: الدال/د/، والضاد/ض/، والتاء/ت/، والطاء/ط/، والزاي /ز/، والسين/س/، والصاد/ص/.

[1]- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: 84، وينظر: ومبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، 2002: 93.

[2]- ينظر: السابق: 84-85، ودروس في علم أصوات العربية:22-23، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1985: 30-31.

4) **المخرج اللثوي**: ويتحقّق الصّوت الصادر من هذا المخرج إذا اتصل طرف اللسان باللثة حين خروجه، وأصواته هي: اللام/ل/، والراء/ر/، والنون/ن/.[1]

5) **المخرج الغاري**: ويسمى الصوت الخارج منه غاريا إذا اتّصل طرف اللسان أي مقدّمته بالغار وهو الجزء الصلب المخزّز الذي يلي اللّثة، والأصوات الصادرة منه هي: الشين/ش/، والجيم/ج/، والياء/ي/.

6) **المخرج الطّبقي**: ويسمى الصوت الخارج منه طبقيًا إذا اتّصل مؤخرة اللسان بالطبق (وهو الجزء الرخو من مؤخّر سقف الحنك) والأصوات الصادرة منه هي: الكاف/ك/، والغين/غ/، والخاء/خ/.

7) **الصّوت اللّهوي**: ويسمى الصوت الخارج من اللّهاة لهويا، حين اتصال مؤخرة اللسان باللهاة، ويمثّله صوت القاف /ق/.

8) **المخرج الحلقي**: ويسمى الصوت الخارج منه حلقيا، ويخرج حين تضيق منطقة الحلق ويمثّله صوتان، هما: العين/ع/، والحاء/ح/.

[1]- يرى الد. كمال بشر أن المخرج الرابع والخامس متقاربان؛ فجعل اللام والنون من الأصوات الأسنانية الثوية، والزاي، والسين، والصاد من الأصوات اللثوية، ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: 183-184.

9) **المخرج الحنجري**: ويسمى الصوت الخارج منها حنجريا، إذا خرج عند إقفال الوترين الصوتيين أو تضييقهما في قاعدة الحنجرة، والأصوات الصادرة من هذا المخرج صوتان، هما: الهمزة/ء/، والهاء/هـ/.

ومما سبق نلاحظ أن اللسان هو العامل المشترك في إخراج معظم الأصوات الصامتة فهو مرّة يوضع بين الأسنان، أو يتصل باللثة، أو بالغار، ومرة أخرى ترتفع مؤخرته لتتصل باللهاة، أو بالطبق أو لتضييق ذلك المخرج، إلا أنه لا توجد أصوات تخرج منه وحده[1].

2- صفات الصّوامت العربية:

توصف الأصوات الصامتة من خلال النظر إليها من زوايا ثلاث هي:[2]

أ: كيفية خروج الهواء والعوائق التي تواجهه في أثناء النطق.

ب: وضع الوترين الصّوتيين من حيث الاهتزاز من عدمه.

ج: تحرُّك مؤخر اللّسان أو انخفاضه في أثناء النّطق.

[1]- ينظر: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، فدوى محمّد حسّان، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2011: 32.

[2]- مناهج البحث في اللغة:86، ومبادئ اللسانيات:119

أ. كيفية خروج الهواء:

إذا نظرنا إلى الطريقة التي يتمّ بها خروج الهواء عند النّطق بالصّوت الصّامت في مخرج ما فإنه ينتج لنا الأنواع الآتية:[1]

1) **الأصوات الشّديدة أو الانفجارية:** وعددها ثمانية هي: (الباء والتاء والدّال والضاد والطّاء والكاف والقاف والهمزة).

ويوصَف الصّوت بالشّديد أو بالانفجاري إذا صادف في مجرى خروجه عائق يمنعه من المرور ثمّ يزول هذا العائق بسرعة فجائية فيندفع الهواء بشدّة مُحدِثا جرسا انفجاريا.

2) **الأصوات الاحتكاكية أو الرخوة:** وعددها ثلاثة عشر صوتا: (الفاء والثاء والذال والظاء والزاي والسين والصاد والشين والغين والخاء والعين والحاء والهاء).

وتوصف هذه الأصوات بالاحتكاكية إذا صادف مجرى الهواء عند مخارجها تضييقا لا سدّ فيه محدِثا احتكاكا.

3) **الصوت المركّب:** ويتمثّل في صوت **الجيم** العربية /**ج**/. "ومعنى التركيب في هذا أنّ نطق الصّوت يستلزم طريقتين من طرق النطق؛ أولاهما الشّدّة أو الانفجار، والثانية الرّخاوة أو الاحتكاك"[2].

[1]- ينظر: مناهج البحث في اللغة:86 -88، ومبادئ اللسانيات: 119-123.

[2]- مناهج البحث في اللغة: 103.

لكنّ انفصال العضوين الذين يخرج منهما الهواء في حال نطق هذا الصوت لا يكون سريعا مفاجئا كما في الأصوات الشديدة بل انفصالا بطيئا؛ وتأتي هذه المرحلة بعد الانفجار مباشرة فتسمح للهواء المسبِّب لذاك الانفجار بأن يحتكّ بالعضوين الذين هما في طريق التباعد البطيء احتكاكا شبيها بما يصاحب الأصوات الرّخوة لإنشاء صوت الجيم العربية[1].

4) **الأصوات المائعة:** وعددها ستّة هي: (الواو والياء واللام والراء والميم والنون). وتسمّى أيضا بالأصوات المتوسّطة التي بين الشّدّة والرّخاوة، وتخرج هذه الأصوات حين يُترَك مجرى الهواء كما هو دون إقفال أو تضييق، فلا يحدُث احتكاك في موضع النّطق، بل يحدث انحراف لمجرى الهواء من خلال نقطة السّدّ فيغيّر الهواء مجرى آخر لخروجه كما في النون والميم واللام والرّاء، أو يمرّ الهواء دون انحباس أو احتكاك مسموع لخلوّه من المعيقات كما في الواو والياء[2].

ب. وضع الوترين الصّوتيين:

تنقسم الأصوات على أساس وضعية الوترين الصوتيين من حيث الاهتزاز من عدمه قسمان:[3]

1. **الأصوات المجهورة:** وهي تلك الأصوات التي حين النطق بها يُصاحبها اهتزاز وتذبذُب في الوترين الصّوتيين ممّا يزيدها وُضوحا في السّمع. والأصوات المجهورة كما أقرّها الدّرس الصّوتي

[1]- ينظر: نفسه: 78.

[2]- ينظر: مناهج البحث في اللغة: 103. وأثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم: 33-34.

[3]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 25. ومناهج البحث في اللّغة: 88-89. والأصوات، كمال بشر: 184، والمدخل في علم الأصوات المقارن، صلاح حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005-2006: 45 – 46.

الحديث عددُها خمسة عشر صوتا صامتا هي: الباء والواو والميم والذال والظاء والزاي والدال والضاد و الجيم و الياء واللام والنون والعين والغين.

2. **الأصوات المهموسة:** وهي التي لا يهتزّ معها الوتران الصّوتيان في أثناء النّطق بها وعددُها ثلاثة عشر صوتا صامتا هي: (الفاء والثاء والسين والصاد والتاء والطاء والشين والكاف والخاء والقاف والكاف والخاء والقاف والحاء والهاء والهمزة)[1].

ج. **وضع مؤخرة اللّسان** من حيث تحرّك مؤخّره من انخفاضه في أثناء النّطق:

وبناءً على هذه النقطة الثالثة توصف الأصوات الصّامتة بحالتين:[2]

- **أمّا الحالة الأولى** فتسمى بالأصوات المفخّمة، وهي التي ترتفع مؤخّرة اللّسان عند النّطق بها تجاه الطّبق أو الحنك الأعلى، وتتمثّل في الأصوات التالية: (الطاء والظاء والصّاد والضّاد) وهذه تسمى بالمطبَقة وهي الأكثر تفخيما، تليها الأقلّ تفخيما هي (القاف والغين).

- **وأمّا الحالة الثانية** فتسمّى بالمرقّقة؛ إذ تنخفض مؤخّرة اللّسان بعيدا عن الطّبق حال النّطق بالصّوت وهي ماعدا الأصوات المفخّمة، أي باقي الأصوات غير المفخّمة.

[1]- لقد عدّ بعض المحدثين الهمزة لا هي بالمهموسة ولا هي بالمجهورة، يُنظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:91، علم اللغة العام : 175.

[2]- ينظر: مناهج البحث في اللغة: 89-90، ومبادئ اللسانيات: 167-168.

❖ **الصوامت العبرية:**

1. مخارج الصوامت العبرية:

يقسم اللغويون المهتمون باللغة العبرية مخارج أصوات العبرية الاثنين والعشرين إلى خمسة مخارج صوتية تكوّن حروف اللغة العبرية هي:[1]

أ. **الحلقية:** وتشمل أربعة أصوات هي: א (أَلِف)، ח (حيت)، ה (هي)، צ (عَيِين).

ب. الحنكية: وتظمّ أربعة أصوات أيضا هي: ג (جيمل)،י (يود)، כ (كاف)، ק (قوف).

ج. اللسانية: وهي خمسة أصوات: ד (دالت)، ט (طيت)، ת (تاق)، ל (لامد)، נ (نون).

د. الأسنانية: ويطلق عليها اسم الصفيرية وهي: ז (زايين)، ס (سامخ)، ש (شين)، שׂ (سين)، צ (تصادي)، ר (ريش).

هـ. الشفوية: وهي أربعة أصوات: ב (بيت)، ו (فاف)، מ (مَيِيم)، פ (pé).

2. المميزات النطقية للصوامت العبرية:

اللغة العبرية لغة شرقية لا يستطيع نطقها نطقا صحيحا سوى أبناء الشرق. وطبيعي أن يكون نطق الطوائف اليهودية الشرقية أضبط وأقرب إلى الصواب. فاللغة العبرية، كاللغة العربية، تحتوي

[1]- ينظر: الكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر المطبعة التجارية الكبرى، مصر، 1926: 81، واللّغة العبرية وآدابها، محمد التونجي، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1983: 48، ودروس اللغة العبرية، ربحي كمال: 70.

أحرفا حلقية وأحرف إطباق يعسر على الغربيين نطقها نطقا صحيحا، فينطقون العين همزة، والحاء خاء، والطاء تاء، والقاف كافا، والصاد (צ) تسادي محاكاة لحرف (Tsé) من الأبجدية الألمانية[1].

- صوت ال ר (ريش) الذي يقابل منطوق صوت الراء العربية نجده يحقّق كالغين نطقيا على لسان أغلب اليهود الوافدين، فيلحق هذا الصوت المجموعة الحلقية أحيانا[2].

- في الأبجدية العبرية خمسة أحرف يتغير شكلها إذا وقعت في آخر الكلمة ويجمعها قولك (صنفكم) (צנפכם) وقد وردت في جدول رموز الأبجدية[3].

- توجد في العبرية ستة أحرف هي (בגדכפת) تنطق على طريقتين في حالة الإعجام والإهمال. ويجمع هذه الأحرف قولك (بجد كفت). فتنطق بيت ב (ب)، وجيمل ג (guimol) جيم مصرية، ودالت ד (د)، وكاف כ (ك)، وبي פ (p)، وتاق ת (ت) إذا كانت معجمة، أي إذا كان في داخلها نقطة.

- وتنطق البَيت (ב) vit (V) ذا الوصف الاحتكاكي، والكاف (כ) خاء والبي (פ) فاء في حالة الإهمال. وهذا هو النطق السائد لدى اليهود الشرقيين.

- تتوزع مخارج اللغة العبرية على خمسة أصناف حسب ما ورد إلينا هي: الحلقية والحنكية واللسانية والأسنانية والشفوية. في حين أنّ العربية يتوزع مخارج أصواتها إلى أكثر من ذلك.

---

[1]- ينظر: دروس اللغة العبرية: 69 -70.

[2]- المرجع نفسه: 80.

[3]- نفسه: 80.

- يدخل صوت القوف (ק) الذي يتحقّق نطقه كالكاف العربية مع شيء من التفخيم لدى غالبية العبرانيين ضمن المجموعة الحنكية في العبرية، في حين أنّه لهَوي في العربية.
- أغلب الصوامت العبرية تتشابه في نطقها مع صوامت العربية؛ أي أن طريقة إخراجها واحدة ماعدا البعض منها كما سبق الذكر، بالرغم من اختلاف ما ورد إلينا في تصنيف مخارجها.

ثانيا: الأصوات الصّائتة:

إنّ أساس التمييز بين الصوامت والصوائت كما بيّنّا سابقا يعتمد على عنصر جوهري في تصنيفهما إلى زمرتين اثنتين، وهو وجود الاحتكاك الذي يحدث جراء ذلك الاعتراض أو الإعاقة في موضع ما بالنسبة إلى الزمرة الأولى، أي **الصوامت**، وخلوه من أي اعتراض أو احتكاك يُذكر بالنسبة إلى الزمرة الثانية؛ أي **الصوائت**، وهذا الذي سنتولاه بالدراسة ههنا، وقد تنوّعت تسمياتها لدى الدارسين والباحثين في هذا المجال بالحركات والمصوّتات والصّوائت والعِلل وأصوات المدّ واللين إلى غير ذلك.

1- ماهية الصوائت:

الصّوائت اللّغوية وحدات صوتية منطوقة تصحب الحروف الصوامت. وتدرَك بحاسة السّمع كسائر الأصوات وتتموضع تموضعا خاصّا مع كلّ صائت. وتحدث عن طريق مرور الهواء المنبعث من الرّئتين بالوترين الصّوتيين فتحصل نغمة حنجريّة. وللسان أوضاع مختلفة في أثناء النّطق يمرّ الهواء بها،

وتتشكّل معه منطقة التجويف الفموي بطرق تتميّز بها كلّ حركة عن غيرها من غير أن يعترض على الهواء المنبعث من الرّئتين شيء آخر[1].

ويقدّم الإمام الرّازي (ت.604ه) تعريفا عامّا للصّوائت فيقول:«الحركة صوت مخصوص يوجد عقيب اللّفظ بالحرف»[2]. ويصف المحدثون الصّوائت بأنّها «صوت مجهور يحدث في أثناء النّطق به أن يمرّ الهواء حرّا طليقا خلال الحلق والفم. دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل. ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا»[3]. وأنّها صوت مفرد غير مركّب، ينتُج بحدّ أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحدّ أدنى من الاحتكاك الذي يحصل في الحروف[4].

ولما كانت الصّوامت سواكنا في الأصل لكونهنّ أصواتا مجرّدة قابلة للتّكييف والتحريك جيء بهذه الصوائت ليتمكّن من النّطق بالحروف وبناء الكلم منهنّ[5]؛ لأنّ الحرف السّاكن لا يجري فيه الصّوت، فإذا حُرّك انبعث الصّوت في الحركة ثمّ انتهى إلى الحرف[6].

---

[1]- ينظر: دراسة السّمع والكلام، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1401ه: 193-204.

[2]- التفسير الكبير، فخر الدين الرّازي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1411ه: 47/1.

[3]- علم اللغة العام: الأصوات، كمال بشر، دار المعارف، مصر، د.ط،1980: 105.

[4]- ينظر: أسس علم اللّغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1982: 78-81.

[5]- ينظر: الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، مصر، ط2، 1402ه: 241/4-242، واللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمام حسّان، دار الثقافة، الدّار البيضاء: 70-71.

[6]- الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت: 130/3، وسرّ صنّاعة الإعراب، ابن جنّي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1985: 1/6-8 و17-27.

2- تصنيف الصوائت:

تُصنّف الصوائت غالبا في الدراسات اللغوية الحديثة وفق الاعتبارات الآتية:

2-1- حسب موضع اللسان داخل الفم:

لا شك أن المرونة والحركة التي يتميز بها اللسان عن أعضاء النطق كلها هي التي مكنته من أن يتخذ عدة أشكال وأوضاع لها أهمية قصوى في إنتاج الصوائت. فإذا تجمع اللسان في مقدم الفم أسفل الحنك الصلب أو الغار تكونت الصوائت الأمامية. وإذا تكتل أقصى اللسان في مؤخر الحلق عند الطبق (اللين) حدثت الصوائت الخلفية. أما إذا انخفض اللسان في قاع الفم مقابل الغار تكونت الصوائت الوسطى[1].

2-2- حسب درجة انفتاح مخارج الصوائت:

وتوصف الصوائت بأنها متسعة أو منخفضة إذا كانت المسافة بين اللسان والحنك الأعلى كبيرة. أمّا إذا ضاقت هذه المسافة، بحيث لا يمكن أن يبلغ هذا الضيق حدّ التأثير في إعاقة الهواء أو احتكاكه، عرف الصائت الذي ينتج بهذا الوصف بالضيّق.

[1]- ينظر: اللغة، فندريس:46. ودروس في علم أصوات العربية: 143،144. والألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1981: 39، 41.

وبين هاتين الدرجتين من الانفتاح توجد درجات أخرى تمثلها صوائت مختلفة بحيث تقترب من ذلك الاتساع وذلك الضيق ولا تتعداهما[1].

2-3- حسب ارتفاع اللسان أو انخفاضه في الفم:

إذا كان اللسان عند نقطة إنتاج الصائت منحدرا إلى قاع الفم وُصف الصوت منخفضا؛ لأن اللسان ينخفض عند مخرجه في الفم. ويكون الصائت مرتفعا إذا وصف عكس ذلك[2].

2-4- حسب شكل الشفتين:

تتخذ الشفتان في حين النطق بالصوائت أوضاعا مختلفة إلى جانب وضع اللسان:[3]

1) وضع الاستواء مع صوائت الفتح.

2) وضع الانفراج مع صوائت الكسر.

3) وضع الاستدارة مع صوائت الضم.

[1]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية:145. وعلم اللغة العام- الأصوات، كمال بشر، 1980: 144. والألسنية العربية:41.

[2]- ينظر: مبادئ في علم اللسانيات الحديث، شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2003: 207-208.

[3]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 143-144. وفي الأصوات اللغوية:34-35، والألسنية العربية:39-40.

2-5- حسب كمية الصوائت:

تُقسّم الصوائت في أغلب اللغات عند معظم الدارسين من حيث الكم الزمني قسمين: قصيرة و طويلة.[1]

ويبدو أنه كان في السامية « نظام حركي بسيط جدا ينحصر في ثلاث حركات تجيء كل واحدة منها إما طويلة وإما قصيرة ويمكن تصوير هذا النظام هكذا: /a/i/o/:

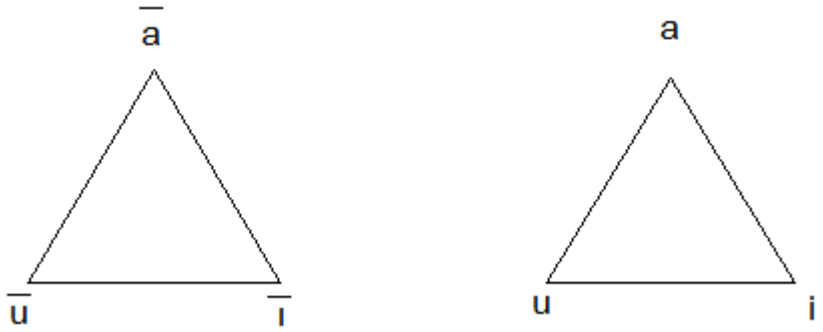

وهو نفسه ما نجده قارا في اللغة العربية، وهذا النظام الأساسي لا تكاد تخلو منه أي لغة من اللغات الإنسانية المعروفة.

3- مقاييس الصوائت:

تلعب الصوائت دورا كبيرا في التمييز بين اللغات، فهي التي تحدد طبيعة أي لغة من حيث نطقها وتركيبها.

[1]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 145-146، و 148-149. و في الأصوات اللغوية:37-38.

وقد وجد الدارسون صعوبة كبيرة في تمثيل الصوائت تمثيلا صوتيا مضبوطا في جهاز النطق على عكس الصوامت.ثم إن اختلافها من لغة إلى أخرى ووضوحها، وعلو قوة الرنين فيها، وكثرة دورانها في الكلام يجعل محاولة النطق بها من قبل الأجنبي شاقا عسيرا يحتاج إلى جهد كبير لصعوبة وصفها، على خلاف الصوامت التي يشترك في نطقها كثير من اللغات[1].

هذه العوامل وغيرها جعلت العلماء والباحثين يجتهدون في استنباط مقاييس عامة بها تُقاس كل لغة وتُنسب إليها، فكان من ذلك ما قام به دانييل جونز إثر تجاربه الدقيقة في هذا المجال، إذ تم اقتباس هذه المقاييس من عدد من اللغات المشهورة لتتوافق فيها أي لغة من اللغات[2].

وانتخبت فيها ثمانية صوائت، فأصبحت مقاييس رئيسية يُعوّل عليها في الدراسة الصوتية ولا سيما في تعلم اللغات.

ونظرا لأهمية اللسان في تشكيل الصوائت كما ذكرنا من قبل، تم تحديد المقاييس بناء عليه ووِفق محورين، المحور العمودي أو خط العرض، والمحور الأفقي أو خط الطول.

ففي المحور العمودي من اللسان أو خط العرض جزآن، جزء أمامي وجزء خلفي:[3]

أما الأوّل، فيخص مقدمته بما فيها وسطه وما يقابله من وسط الحنك أو الغار ويتكون فيه أربع نقاط تمثل أربعة صوائت تأتي على درجات متفاوتة في الارتفاع صوب الحنك.

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:29-31، وعلم اللغة العام – الأصوات: 137.

[2]- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:31- 32، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985: 125، وعلم اللغة العام – الأصوات:139.

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:31- 32، و علم اللغة العام – الأصوات:139.

- فأعلى نقطة يمكن أن يصل إليها اللسان في اتجاه الغار بحيث يبقى المجال متسعا نوعا ما لخروج الهواء دون إحداث أدنى احتكاك ممكن رُمز إليها بالرمز (i) وتمثل الكسرة المرققة في العربية. ولكن لو زاد ارتفاع اللسان ههنا عن حده سُمع الحفيف، فيخرج الصوت من دائرة الصوائت إلى محيط الصوامت.

- وأدنى نقطة يمكن تحديدها من الجزء الأمامي للسان فهي حين يصل إلى قاع الفم، وذلك لإنتاج الفتح المرقق (a).

وأما الآخر–أي الجزء الخلفي من اللسان أو أقصاه– فيختص به حين يتجه إلى ما يقابله من أقصى الحنك أو الطبق اللين.

وتتشكل في هذا الجزء من اللسان أربع نقاط يمثل أعلاها ارتفاعا الرمز (u)، ولو تعدى اللسان حال النطق بهذا الصوت مخرجه لدخل إلى منطقة الصوامت لاحتمال حدوث الاحتكاك[1].

ويُرمز لأدنى نقطة يصلها أقصى اللسان إلى قاع الفم (أي الحنك السفلي) بالرمز (a) وهي تمثل الفتحة المفخمة.

[1]– ينظر: المرجعين السابقين والصفحات نفسها.

وبين أعلى نقطة وأدناها من الجزء الأمامي للسان والخلفي منه، يوجد مقياسان آخران، متعاقبان هما(e وɛ)، بين (i وa)، ثم (وo) بين (وu) وتُقرأ من اليمين إلى اليسار على الترتيب.

وبهذا يتكون لدينا ثمانية صوائت هي مقاييس معيارية تمثل كل اللغات.

والشكل الآتي يوضح مواضع الصوائت المعيارية* وأرقامها المعروفة بها: [1]

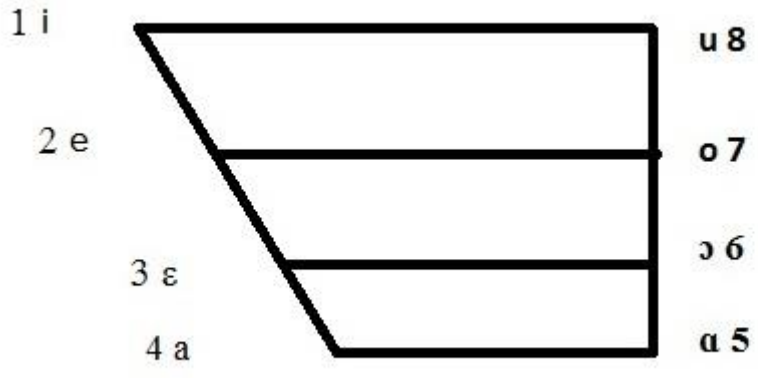

- الصوت(i) رقم 1 ⟵ تمثله الكلمة الفرنسية (si)
- الصوت (e) رقم 2 ⟵ تمثله الكلمة الفرنسية (thé)
- الصوت (ɛ) رقم 3 ⟵ تمثله الكلمة الفرنسية (même)
- الصوت (a) رقم 4 ⟵ تمثله الكلمة الفرنسية (la)

* قدم دانييل جونز في القرن العشرين أشهر عمل، و هو وضع نظام متكون من ثمانية صوائت رئيسية تمثل كل اللغات وأطلق عليه اسم الصوائت المعيارية، ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 102 و125، وعلم اللغة العام–الأصوات، كمال بشر: 139.

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 33، ودراسة الصوت اللغوي: 126-127، والأصوات، كمال بشر: 139-143، ومبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور:90

- الصوت (ɑ) رقم 5 ←تمثله الكلمة الفرنسية(pas)

- الصوت (ɔ) رقم 6 ←تمثله الكلمة الألمانية (somme)

- الصوت (o) رقم 7 ← تمثله الكلمة الفرنسية (rose)

- الصوت (u) رقم 8 ← تمثله الكلمة الألمانية (gut)

4- الطبيعة الصّوتية للصوائت العربية وتنوعاتها النطقية:

اعتمدنا في دراستنا لهذه الصوائت على أساس عامل موقع اللسان من الفم، فصنفناها إلى أمامية وخلفية كما يأتي:

4-1.الصوائت الأمامية:

رأينا فيما سبق أن الصوائت الأمامية هي تلك الأصوات التي يتجمع مقدم اللسان بما فيه وسطه نحو الطبق الصلب أو الغار. وهي في العربية صوتان اثنان، فونيم الكسر وفونيم الفتح، وتتنوع منطوقات كل فونيم إلى تحقيق مجموعة من الأصوات الفرعية تدعى في الدراسة الصوتية الحديثة باسم الألوفون (ALLOPHONE)[1].

[1]- الألوفون: مصطلح صوتي يراد به الصورة الصوتية أو النطقية المحققة للفونيم في السياق، ولكن تغييره لا يؤثر في المعنى، ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور:76.

4-1-1. فونيم الكسر:

الكسرة في العربية تتكون بارتفاع مقدمة اللسان قليلا نحو الغار فيكون المنفذ واسعا لا يعيق مرور الهواء عبره، إذ يخرج حرا طليقا، دون أي احتكاك يذكر. وتتخذ الشفتان وضعا منفرجا بحيث تكون زاويتا هاتين الشفتين مسحوبتين إلى الوراء[1].

وهذا الوصف للكسرة العربية أقرب إلى الصائت المعياري رقم (1) أو يكاد ينطبق مع فرقين اثنين:[2]

1. إن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعا منه مع المعيارية رقم (1)، فالكسرة العربية إذن حركة ضيقة، ولكن بدرجة أقل من المعيارية.
2. إن أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلا؛ أي إن أعلى نقطة في مقدم اللسان حين النطق بالكسرة العربية تكون خلف أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان حال النطق بالحركة المعيارية رقم (1). فالكسرة إذن صائت أمامي ولكن ليس بالدرجة التي توصف بها هذه الحركة المعيارية، نحو: فُتِح، رُفِع، دعِم.

[1]- ينظر: علم اللغة العام-الأصوات-، كمال بشر: 140.

[2]- ينظر: الأصوات، كمال بشر: 151.

أنواع الكسر:

إن النطق الفعلي لفونيم الكسر يتحقق بعدد من التأديات الصوتية المتنوعة بحسب السياق الذي يرد فيه، إذ نجد ما يلي:

أ. الكسر بين الطول والقصر:

يُقصد بطول الصائت وقصره المدى الزمني الذي يستغرقه نطق الصائت. أي ما يُعرف عند علماء الأصوات المحدثين « بالكمية الصوتية ويطلق هذا المصطلح على المدة التي تبقى فيها أعضاء النطق في الموضع اللازم لإنتاج صوت ما»[1]. فمدة النطق بالكسرة الطويلة أو الياء المدية أطول زمنا من زمن النطق بالكسرة القصيرة كما في قولنا بيع، وبع.

إنّ ياء المد في بيع أدت معنى مختلفا عن المعنى الذي أدته الكسرة في بع، إذن إن التقابل بين الصائت الطويل والآخر القصير أدى إلى تغيير في المعنى وفي الصيغة أيضا، وإن وقع كلا منهما في موقع الآخر.

ومعنى هذا أن كلا منهما فونيم مستقل، فالعربية جعلت من المدّ الزمني للصائت عنصرا مميّزا بأتمّ معنى الكلمة، إذن إن كل صائت له إحدى الصفتين: الطول أو القصر[2].

[1]- معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، د.ت: 235، وينظر: مصطلحات الكمية الصوتية في تراث العرب الصوتي، المهدي بوروبة، عن مجلة المصطلح، مجلة علمية أكاديمية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، العدد3، 2005: 18-26.

[2]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي:282، وفي الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية: 37-38، والصوتيات والفونولوجيا: مصطفى حركات، دار الآفاق الجزائر، د.ط، د.ت: 273.

وإضافة لهذا الكلام لقد أثبتت الدراسة التشريحية أن الخلاف بين الصوائت الطويلة والقصيرة لا يكمن في الزمن أو الكمية فحسب، وإنما في الكيفية أيضا، إذ إن موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين مختلف قليلا عن وضعه في أثناء أداء الصوت الآخر كما يتضح من الشكل الآتي:[1]

/ i/ الكسرة القصيرة
/ī/ الكسرة الطويلة

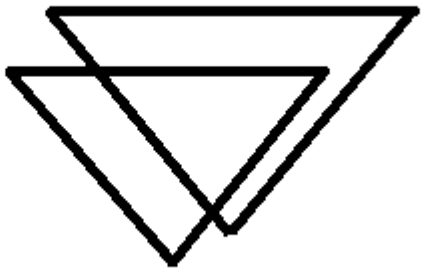

وقد تقصُر الصوائت القصيرة عن زمنها العادي إلى أدنى زمن ممكن فتصبح قصيرة للغاية لا يخرجها عن وظيفتها مختلسة أي إنها تنطق مخطوفة لا يستطيع تمييزها إلا حاذق.

والاختلاس مصطلح صوتي تراثي يراد به الانتقاص من الزمن الطبيعي للصائت، نحو قول سيبويه« وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قوله: يضربها ومن ما منُك، يسرعون اللفظ، ومن ثَمّ قال أبو عمرو في قوله تعالى: ﴿...فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ...﴾ **[البقرة: 53]**.

ويَدُلُّك على أنها متحركة قولهم: من مَأمَنِكَ، فيتبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون»[2].

[1]- ينظر: الأصوات اللّغوية، عبد القادر عبد الجليل:201.

[2]- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة- مصر، ط2، 1982: 202/4.

وأما الرَّوْم فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الصائت[1] أو جزء منه.

ويُعرّف اللغويون الروم بأنه «حركة مختلسة "مُخفاة" بضرب من التخفيف، وهي أكثر من الاشمام لأنها تسمع»[2].

فنحن إذن أمام صائت قصير جدا له ما للصائت القصير العادي، لأنه يُسمع. وقد أورد سيبويه ما يبين أن هذا الصوت بقي محتفظا بقدرته على أداء دوره في النسيج المقطعي، قال:« وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلسة»[3].

إذ أنها تعامَل معاملة الصوائت من نحو الضمة والكسرة والفتحة[4].

ومن ناحية أخرى قد يطول زمن النطق بالصائت الطويل عن زمنه الطبيعي إلى زيادة في امتداده النطقي وذلك في ظروف خاصة... ولا سيما في أثناء قراءة القرآن الكريم فتتحول إلى صوائت طويلة للغاية قد يبلغ مداها عدة ثوان[5].

[1]- ينظر: أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998 :133، والأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس:158.

[2]- ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أشرف على تصحيحه: الأستاذ علي محمد الضباغ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط، د.ت:121/2.

[3]- نفسه:121/2.

[4]- ينظر: في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد:173.

[5] - ينظر: دروس في علم الأصوات العربية: 150-154. والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربي، بيروت، ط1، 1971: 31-38.

إن هذه التغيرات النطقية في كمية الصوائت لا تمثل فونيمات مستقلة، إذ أن درجة الطول قد نشأت بسبب السياق، ولقد استطاع الباحثون أن يميزوا طائفة من العوامل التي تسبب طولا أو قصرا مختلسا في الصوائت أهمها:[1]

1) طبيعة الأصوات المجاورة للصائت في السياق.

2) درجة النبر[2] ونوعه.

3) تطرف الصوائت.

4) بعض الحالات النفسية.

تتفاوت الصوائت إذن من حيث الطول أو المدى الزمني، إذ يمكن ملاحظة أربع درجات من الطول من أصل درجتين أساسيتين ومميزتين.

- فهناك صوائت قصيرة جدا كالذي رأيناه في الرَّوْم والاختلاس متفرعة عن الصوائت القصيرة.
- وهناك صوائت طويلة جدا ازدادت طولا على زمنها الطبيعي المتفرعة عن الصوائت الطويلة.

[1]- ينظر: في الأصوات اللغوية:41/40.

[2]-مبادئ اللسانيات:116، وينظر: مناهج البحث في اللغة:194، والأصوات اللغوية:170، ودراسة الصوت اللغوي:188.

ب. الكسر وتنوّعه بين الترقيق والتفخيم:

إن الأصوات لا تَسلَم من تأثير السياق فيها فكما إن هناك عوامل جعلت من الصوائت تزداد طولا وتقصر زمنا عن مداها الطبيعي كذلك قد تتدخل أسباب أخرى تجعلها مفخمة تارة ومرققة تارة أخرى.

والظاهر أن الأصوات العربية من حيث الترقيق والتفخيم ثلاثة أقسام:[1]

1. أصوات مفخمة على الدّوام: وهي أصوات الاستعلاء السبعة المجموعة في عبارة "قظ خص ضغط" ولكن مراتب تفخيمها متفاوتة.
2. أصوات تفخم وترقق: وهي اللام والراء.
3. أصوات مرققة دوما: وهي باقي الأصوات، والصوائت ليست بمعزل عن تأثير السياق فيها بسبب طبيعة الأصوات المجاورة لها «لكن آثار هذا التأثير لا يظهر في الكتابة»[2]. فهي«لا توصف بترقيق ولا بتفخيم، بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقا وتفخيما»[3].

وبناءً على هذا، فإن الكسرة العربية قصيرها وطويلها، يتنوع النطق بها بين الترقيق والتفخيم، لأنه يلحقها ما يلحق الصوامت التي تكتنفها، وبهذا تكون الكسرة على ثلاثة أضرب، كما يظهر

[1]- ينظر: علم اللغة العام، الأصوات: 152. والمختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع، عبد الحليم محمد الهادي قابة، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2002: 52.

[2]- في الأصوات اللغوية 280.

[3]- النشر في القراءات العشر:215/01.

في الشكل الآتي:[1]

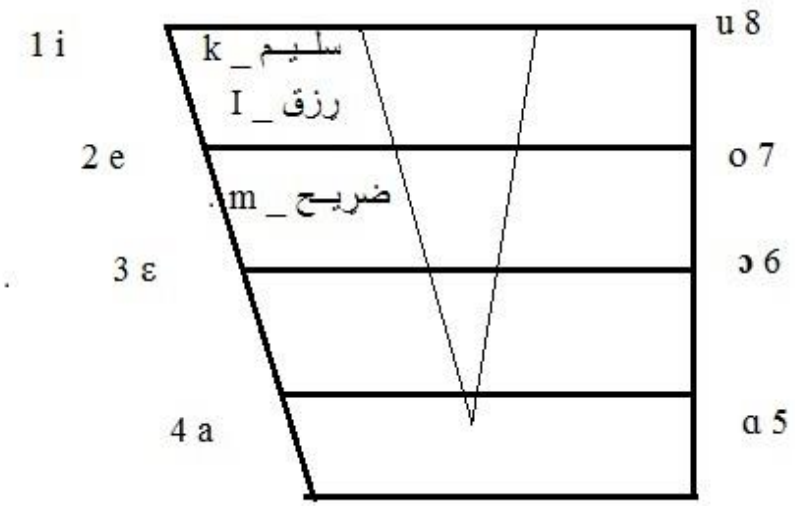

يتبين من الشكل أعلاه ما يلي:

- الكسرة المرققة إذا جاورت الأصوات المرققة نحو(سليم) وعلامتها /i/ هي أقرب إلى الصائت المعياري رقم (1) ورمزها K «من حيث أمامية اللسان ودرجة ارتفاعه، ومن حيث تقدم أو تأخر أعلى نقطة من هذا الجزء المرتفع».[2]

- الكسرة الوسطى (التي بين التفخيم والترقيق) وعلامتها /i/ وموقعها في منطقة دانيال جونز رقم (ا) ورمزها I نحو قولنا قسم، وذلك إذا تبعت أصوات: ق خ غ.

- أما الكسرة المفخمة مثل ضريح: وعلامتها /e/ وموقعها في الصائت المعياري رقم (2) ورمزها m ولكنها تختلف عنها في شيئين واضحين هما:

[1]- علم اللغة العام-الأصوات- كمال بشر: 153. والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل:210.

[2]- علم اللغة العام-الأصوات- كمال بشر: 153.

- **الأول**: مقدم اللسان أقل ارتفاعا مع الكسرة العربية منه مع المعيارية (1).
- **الثاني**: أعلى نقطة في الجزء الأمامي من اللسان مع الكسرة المفخمة تبعد إلى الوراء عن أعلى نقطة مع المعيارية رقم (1) فهي من حيث درجة علو اللسان تعد في المركز الوسط بين الضيقة ونصف الضيقة، ولكنها لا تزال حركة أمامية وتكون الكسرة مفخمة إذا جاءت بعد أحد أصوات الإطباق المفخمة: الصاد والضاد والطاء والظاء.

4-1-2. فونيم الفتح:

وحين النطق بالفتح يهبط الجزء الأمامي من اللسان إلى أقصى حد ممكن مع ارتفاع خفيف في وسطه، إذ يبقى الفم مفتوحا بشكل متسع. وحجرات الرنين فيه كبيرة، وتكون الشفتان في هذه الحال متخذة وضع الاستواء والانبساط[1]. لذا توصف الفتحة بأنها صائت قصير، وأمامي ومنبسط (مستو) وفموي، لأن جزءا من اللسان يرتد إلى الخلف حتى يسد التجويف الأنفي، ويبقى خروج الهواء من الفم فقط، وهذا الوصف ينطبق على الفتحة المرفقة في العربية الفصحى.

والفتحة أكثر الصوائت انفتاحا وهي بذلك صائت متسع إذ يحدد هذا المجال بأسفل نقطة من قاع الفم يمكن الوصول إليها[2].

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 209، وعلم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، أزمنة للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، 1998: 338-339، وعلم اللغة العام- الأصوات: 140، ومبادئ اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2000: 60.

[2]- ينظر اللغة، فندرييس: 1950: 46، وفي الأصوات اللغوية:29.

وهذا الوصف لصائت الفتح يخص الفتحة المرققة ذات الرقم (4) من الصوائت المعيارية، ورمزها /a/.

والفتحة العربية « أقرب ما تكون إلى الصائت رقم (4) ورقم (5) أو هي بينهما من حيث جزء اللسان، فأعلى نقطة من اللسان حال النطق بالفتحة العربية هي وسطه. ولكنهما مع ذلك ليست صائتا مركزيا أو وسطى بالمعنى الخاص بالصائت المعياري التاسع. فاللسان مع الفتحة العربية يكاد يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه. فهي إذن صائت متسع كما ذكرنا من قبل ولكن لا تبلغ في هذا مبلغ الصائتين المعياريين رقم (4)، ورقم (5)»[1].

أنواع الفتح:

أ. الفتح بين زمني الطول والقصر:

إنّ العرب القدامى اعترفوا بأن الصوائت على نوعين من حيث الطول والقصر، إذ إن الفتحة الطويلة والفتحة القصيرة كلاهما فونيمين مميزين يؤديان معنيين مختلفين نحو قولنا: قتل وقاتل فالفتحة الطويلة في داهم من حيث المدى الزمني الذي يشعر به السامع وكذا معنى اللفظين وكما رأينا في طول صائت الكسر بأن اختلاف الصائت الطويل عن القصير ليس اختلافا في الكمية حسب وإنما حتى في الكيفية وإن كان ذلك الاختلاف طفيفا فكذلك الطول في صائت الفتح.

[1]- ينظر علم اللغة العام- الأصوات:152.

كما يظهر في الشكل أدناه:[1]

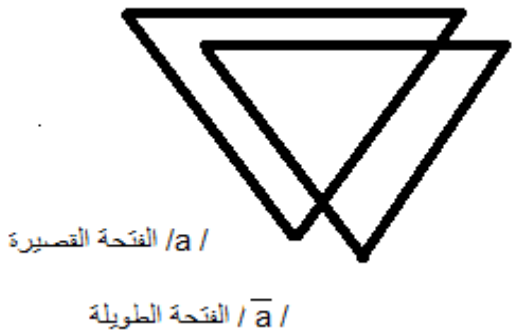

ومن أبرز التنوعات النطقية للفتح في العربية ما ذكره سيبويه في معرض حديثه عن الأصوات الفرعية (المستحسنة في قراءة القرآن والشعر)، إذ يقول: «ويكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم تعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة... وهذه الأصوات... لا تتبين إلا بالمشافهة»[2]. وما يهمنا من هذا الحديث صوتان هما:

– الألف التي تمال إمالة شديدة (الإمالة)، وألف التفخيم، وسنعالجهما على الشكل التالي:

[1]– ينظر: الأصوات اللّغوية، عبد القادر عبد الجليل:201.

[2]– الكتاب سيبويه: 432/4.

ب. الفتح بين الترقيق والتفخيم: ومن بين تنوّعاته:

أوّلاً: الإمالة:

الإمالة في اللغة من مَيَل، "والمَيْل: العُدول إلى الشيء والإقبالُ عليه"[1]، وفي الاصطلاح عُرِّفت بأنها:« عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ومخرج الياء، وبحسب بُعدها تكون خفتها»[2]. ويمكننا من خلال هذا استنتاج ما يلي:[3]

1. إن الإمالة في حقيقتها ليست إلا صورة من صور نطق الألف، أو صورة من صور الفتحة، ولا تحمل أي قيمة فونيمية خاصة بها.

2. إن درجة إمالة الألف تختلف من سياق إلى آخر شدة وخفة، لكننا على أي حال نستطيع تحديد درجتين أساسيتين من درجات الإمالة:

أ- إمالة قصيرة: نشأت نتيجة النحو بالفتحة إلى الكسرة، ومن الممكن أن نرمز إليها بالرمز (e) وذلك من نحو الإمالة في الكبَر ومن الصغَر، ومن المحَاذر.

ب- إمالة طويلة: نشأت نتيجة النحو بالألف نحو الياء، ومن الممكن أن يرمز لها بالرمز(é).

[1]- ينظر: لسان العرب، مادة: (ميل):636/11.

[2]- ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت: 2 /54، وفي الأصوات اللغوية، المطلبي: 162.

[3]- ينظر: في الأصوات اللغوية: 163.

وقد عرف المحدثون صوت الإمالة بأنه صوت « يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار، ارتفاعا يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج إلا أنه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة ».[1]

فالإمالة تقريب صوتي بين الصوائت، ومعناها الاتجاه بالصائت قصيرا كان أو طويلا إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قرينَيْه[2].

ومعنى إمالة الألف الانتحاء بها نحو الياء «انتحاء خفيفا كأنه واسطة بين الياء والألف»[3]، فهي ليست ألفا خالصة ولا ياء خالصة، إنما هي« حالة ارتكازية وسطى» ولا يجوز معها إلا الترقيق[4].

وللإمالة دواعٍ وأسباب مختلفة ومتنوعة فصّل فيها القدماء- نحاة وقراء- وكذا المحدثون، فلا داع لتفسيرها ههنا لأن هذا يدخل ضمن الدراسة الوظيفية (الفونولوجية).

فالإمالة ظاهرة لهجية مطلقة تصيب جميع الفتحات الطويلة (على أنه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة، والفتحات الطويلة الواقعة آخرها ما لم يطرأ عليها مانع من موانع الإمالة[5].

[1]- المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي:42/1.

[2]- ينظر الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 306-307.

[3]-اللمع في العربية: ابن الجني، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1985: 311

[4]- ينظر النشر في القراءات العشر:ج90/2.

[5]- دروس في علم الأصوات العربية:58.

ثانياً: ألف التفخيم:

التفخيم يخص الفتحة الطويلة أو الألف حسب التعبير القديم، ويكمن في اتجاه اللسان إلى مؤخرة الفم أي نحو الحنك الرخو، فينتقل الجرس من الفتحة إلى الصائت (o) كما هو الشأن في النطق المفخم للكلمات الآتية (زكاة وصلاة وحياة)[1].

وهذه الأصوات لم تستقل يوما ما لتعبر عن قيم فونيمية خاصة بها بل بقيت صورا نطقية فحسب، تميز لهجة عن لهجة أخرى من غير أن تثير إشكالا دلاليا أو صرفيا[2]، وتنشأ هذه الأصوات الفرعية من جراء تعامل الأصوات الأساسية فيما بينها وفي سياقات نطقية متنوعة ومتعددة.

4-2. الصوائت الخلفية:

وتتمثل في الضمة العربية بنوعيها الطويل والقصير.

فونيم الضّمّ:

ويتكون هذا الصائت في العربية حين يصبح أقصى اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين واللهاة، وحجرة الرنين الفموية مع وضعٍ ضيّقٍ للسان إلى حد ما، بحيث يكون هناك

[1]- ينظر: في الأصوات اللغوية: 168-170، و علم اللغة العام- الأصوات-: 153.

[2]- ينظر: دروس في علم أصوات اللغة العربية: 163.

متسع في مجرى الهواء دون أن يؤدي إلى أي نوع من الاحتكاك، ثم يتابع الهواء سيره إلى الشفتين اللتين تأخذان شكلا مستديرا لتشكل الضم[1].

والضمة العربية أقرب ما تكون من الحركة المعيارية رقم (8) أو هي مثلها مع فرقين:[2]

الأول: إن الجزء الخلفي من اللسان حين النطق بالضمة حركة ضيقة ولكن ليس بالدرجة التي تصل إليها المعيارية في ذلك.

الثاني: إن أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان تنحو نحو الأمام قليلا أو بعبارة أخرى، إن أعلى نقطة في الجزء الخلفي من اللسان مع الحركة العربية(الضمة) تكون أمام أعلى نقطة في هذا الجزء نفسه حال النطق بالمعيارية رقم (8). ومع ذلك فالضمة العربية حركة خلفية، لكنها لا تبلغ مبلغ المعيارية رقم (8) في هذا الشأن.

للضم أنواع نطقية متفرعة عنه كما رأينا مع قرينيه الفتح والكسر.

- الضمة العربية القصيرة قد تزداد قصرا في مواضع معينة أثناء الأداء الكلامي لها في السياق، وقد يزداد النوع الطويل من الضم عن مداه الزمني أضعافا مضاعفة، لكن من دون تغيير في المعنى.
- الضم بين الترقيق والتفخيم: الضمة العربية يتنوع نطقها بين التفخيم والترقيق في ظروف سياقية

[1]- ينظر: علم اللغة العام-الأصوات –كمال بشر: 140.

[2]- ينظر: نفسه: 152.

خاصة- شأنها شأن الفتحة والكسرة-، إذ نجدها على ثلاثة أضرب كما يظهر لدينا في الشكل الآتي:[1]

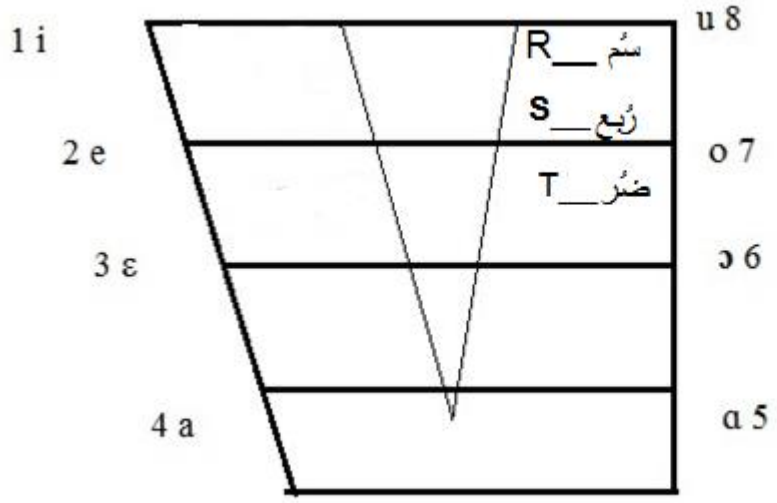

- الضمة المرققة وعلامتها /u/ وموقعها أقرب إلى صائت دانيال جونز المعياري رقم (8) ورمزه R.
- الضمة الوسطى وعلامتها /u/ وموقعها قريب إلى صائت دانيال جونز المعياري رقم (8) ورمزه S.
- الضمة المفخمة وعلامتها /o/ أقرب إلى صائت دانيال جونز المعياري رقم (7)، ورمزه T.

- وعلى هذا المسار فإن الصوائت العربية من حيث الناحية الوظيفية ستة وهي: الفتحة والفتحة الطويلة والضمّة والضمة الطويلة، والكسرة والكسرة الطويلة.

[1]- الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 210-211.

- أما من حيث الجانب النطقي فهي أكثر من ذلك، يكون موقعها على المخططات السابقة كالآتي:[1]

– الكسرة المرققة والوسطى والمفخمة تبدأ من رقم 1 وباتجاه الرقم 3.

– الفتحة المرققة والوسطى والمفخمة تبدأ من رقم 4 وباتجاه الرقم 6.

– الضمة المرققة والوسطى والمفخمة تبدأ من رقم 7 وباتجاه الرقم 8.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول إن الصوائت العربية لا تربو عن أكثر من ستة فونيمات؛ ثلاثة قصيرة تمثلها الكسرة والفتحة والضّمّة، وثلاثة طويلة هي الياء المدية وألف المدّ والواو المدّية، وما عدا ذلك فيُعد من قبيل التنوعات النطقية (Des Allophones) التي ليس لها أي قيمة فونيمية، وهذه الصّوائت مع قلّة عددها تعادل جميع الصوامت من جهة أهميتها في تحوير المعاني وتغيير الدلالات؛ لذلك فهي شطر اللغة ولا يمكن تكوين كلمة بدونها.

[1]– ينظر: الأصوات اللغوية:112.

5- الطبيعة الصّوتية للصوائت العبرية:

قسّم علماء اللغة العبرية الصوائت إلى تقسيمات عدة، فهذا يهودا بن داوود حيوج المشهور عند العرب بأبي زكريا يحي يحدد في كتاب "الأفعال ذوات حروف اللين" الحركات السبع المشهورة بالسبعة ملوك وهي: פתח (بتاح) وחמץ (قماص) وסגול (سيجول) וצ'רה (صيري) וח'ר'ק (حيريق) וחולם (حولام) ושורוק (شوروق).[1]

غير إنه كان اختزل في كتاب سابق الصوائت السبعة إلى ثلاثة رئيسية إذ يقول: «وأصل هذه السبعة حركات ثلاثٌ منها الشوروق:שורוק والحيريق: ח'ר'ק والبتاح: פָּתָח». وذلك تلقاء ثلاث حركات طبيعية موجودة في العالم وهي الحركة من الوسط، والحركة إلى الوسط، والحركة حول الوسط.

أما الحركة من الوسط، فحركة النار المرتفعة من الأرض بطبعها نحو الفلك، وهذه حركة الשורוק في الكلام لأن الآلة الفاعلة له ترفعه إلى العلو، وأما الحركة التي هي إلى الوسط، فهي حركة الحجر يُرمى به في الهواء فيُرفعُ قسرًا بغير طبعه حتى إذا بلغ النهاية التي تناهت إليها القوة الدافعة له هوى سُفْلاً بطبعه، وهذه هي حركة الח'ר'ק في الكلام لأن الآلة الفاعلة له تدفعه إلى الأسفل، وأما الحركة التي حول الوسط، فهي كحركة الفلك المستدير حول الأرض، وهذه هي حركة الפתח في الكلام لأن الآلة الفاعلة له تذهب به إلى الاستدارة»[2].

[1]- ينظر: أصول النحو العبري ومصادره العربية:72-120 من مجلة اللغات والحضارات الشرقية، نظر وتطبيق: مجلة الجمعية المغربية للدراسات الشرقية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد: 120، ط1، 2005.

[2]-ينظر: أصول النحو العبري ومصادره العربية:72.

وتجب الإشارة هنا إلى أنّ حيوجا كغيره من النحاة اليهود قد استعار نظام الصوائت من النظام الطبري الذي كان شائعا كذلك في المغرب والأندلس[1].

إنّ الصوائت الثلاثة، الفتحة والضمة والكسرة، هي الصوائت الأصيلة في اللغة العبرية، وإن كان الخط يُصوِّرُ لكل واحدة منها رسوما مختلفة حَسَبَ الأوجه السياقية[2].

إن الخط العبري خط فوناتيكي يهتم بالأوجه اللفظية التي تتجلى عليها الأصول الصوتية[4]، ويبدو هذا التمييز واضحا بين الصوائت الأصلية والصوائت المتفرّعة عنها حين يقول بن جناح: «فهذه الثلاث حركات هي أمهات وأصول جميع الحركات والباقية بناتٌ وفروع لها أعني أن الחולמ (حولام) وקמץ (قماص) متفرعان من الשורוק إذ الضم له ثلاثها كالجنس وهي أنواعه إلا أن بعضها فوق بعض وذلك أن الשורוק فوق חולמ، والחולמ فوق קמץ والסגול الذي هو פתחקמץ متفرع من פתחגדול إذ حركتُهُ في النطق به ممالة إلى الפתח»[3].

كما يتحدّث عن أصل الחולמ والקמץ؛ « وأما الصيري צ'רה فتفرع عن الח'ר'ק، ذلك أن مخرجه متوسط بين مخرج الפתח ومخرج الח'ר'ק وكان عندي أقرب إلى الח'ר'ק لأني رأيتهم

[1]- ينظر: دروس اللغة العبرية، ربحي كمال:66.

[2]- ينظر: أصول النحو العبري ومصادره العربية:73.

[3]- نفسه:73.

كثيرًا يستعملون الצ'רה مكان الח'ר'ק ويجرونه مجراه في الأفعال المستقبلية المحذوفة. وإن قيل أن الצ'רה متفرع من الח'ר'ק، والפתח جميعا لتوسُّطه بينهما كان ذلك حسنًا فاعلَمْه»[1].

إنّ الملاحظة الأساسية التي يمكن إبداؤها بخصوص الصوائت السبعة إلى ثلاثة هي أن هذا الاختزال، وإنْ صُنِّفَ حسب مقتضيات فيزيولوجية، فإنه يقوم على أسس فلسفية محضة، وما يتعلق بها من منطق أرسطي وفيزيائي وعلم الفلك[6].

إن هذا الأمر لا يمنع من القول إن ابن جناح اقتفى في تصنيف الصوائت أثر النحاة العرب. فقد حاول بعض اللغويين العرب تفسير وجود الصوائت مستدلاّ باستدلالات منقولة من علم الفلك فجاء تفسيرها كالقول الآتي:« وأما الحركات الثلاث فقد قيل أنها مشاكلة للحركات الطبيعية، فالرّفعُ مشاكل لحركة الفلك لارتفاعها، والجرُّ مشاكلٌ لحركة الأرض لانخفاضها، والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها»[2].

كما اعتمد ابن جناح في اختزال الصوائت السبعة إلى ثلاثة على مفهومين فلسفيين هما الأصل والفرع، وهما معا من المفاهيم الأساسية التي قام عليها النحو العربي[3].

وخلافا للتقسيم الذي يقوم على الصوائت السبعة أو ذاك الذي أُختُزل إلى ثلاثة صوائت أصيلة حتى يحاكي صوائت اللغة العربية، فإن يوسف قمحي، وهو من نحاة القرن الثاني عشر، يختزلُ الصوائت

[1]- ينظر: أصول النحو العبري ومصادره العربية: 73.

[2]- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، د.ت: 3/ 158-159.

[3]- ينظر: المرجع السابق: 73.

السبعة إلى خمسة، كما هو الشأن في اللغات الرومانية، ويميز الصوائت الطويلة والصوائت القصيرة إذ يقول:«اعلم أن الحركات خمسٌ طويلة وخمسٌ قصيرة:

1) حركة قصيرة تُقرأ بتاح.

2) حركة طويلة تسمى قماص.

3) حركة قصير تسمى سيجول.

4) حركة طويلة تسمى صيري.

5) حركة قصيرة تسمى حيريك قطان.

6) حركة طويلة تسمى حيريك جدول.

7) حركة قصيرة تسمى حولام قطان.

8) حركة طويلة تسمى حولام جدول.

9) حركة قصيرة تسمى قبوص شفتييم وهي شُروق بلا واو.

10) حركة طويلة وهي شوروق بالواو.

وهذه الحركات العشر، بعضها طويل والبعض قصير، القماص متفرع عن البتاح، والصيري متفرع عن السيجول، والحيريك جدول متفرع عن حيريك قطان، والحولام جدول متفرع عن حولام قطان، والشوروق بالواو متفرع عن شوروق بدون واو واسمه قُبُّوص شفاتييم»[1].

وعن هذا التقسيم الأخير أخذ نحّاة العبرية المحدثون تصنيفهم للصوائت بعد تعديله. وقد زيدت على ذلك صوائت أخرى مثل ما يسمى بالصوائت المركبة، وشفاناع، وسيأتي تفصيلها في مكانها.

1. التعريف بصوائت اللغة العبرية:

تنقسم صوائت اللغة العبرية من حيث الكم الزمني إلى صوائت صُغرى (أي قصيرة) وكبرى (أي طويلة) وبيانها كالآتي:[2]

[1]- أصول النحو العبري ومصادره العربية: 74-75.

[2]- ينظر: دروس اللغة العبرية:78-81، واللغة العبرية وآدابها: 50-51، والكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، 1926: 62 و83.

أ. **الصوائت الصغرى (القصيرة)**:התנועות הקטנות (هتنوعوت هقطانوت)

الصائت	اسمه	نطقه العبري	الهمزة مشكولة به	معناه	نطقه بالفرنسية
—	פתח	بتاح	א	فتحة	LA
—	סגול	سيجول	א	كسرة ممالة	VEÈLÉ
—	ח'ד'ק קטן	حيريك قطان	א	كسرة عربية	SI
—	חולם קטן	حولام قطان	א	ضمة مفخمة	CHOSE
—	קבוץ	قبّوص	א	ضمة عربية	BLOC

ب. **الصوائت الكبرى (الطويلة)**:התנועות הגדולות (هتنوعوت هجدولوت).

الصائت	اسمه	نطقه العبري	الهمزة مشكولة به	معناه	نطقه بالفرنسية
—	קמץ	قماص	א	ألف مد	LA
—	צ'רה	صيري	א	ياء ممالة	VEÈLÉ
—'	ח'ר'ק גדול	حيريك جدول	א	ياء طويلة (مد)	STYLE
—ו	חולם גדול	حولام جدول	א	واو طويلة مفخمة (مد)	ROSE
—ו	שורוק	شوروق	א	واو ممدودة	POUPEE

وهناك ما يسمى في العبرية بالصوائت المركبة:התנועות המרכבות (هتنوعوت همركبوت) أي أنها مركبة من رمزين(رسما): سكون | — | يردُفُهُ صائت آخر؛ إما فتح قصير مثل: **א** أو كسرة ممالة إمالة قصيرة (سيجول) مثل: **א**، أو فتح طويل مثل: **א** كما هو مبيّن في الجدول أدناه:

الصائت	اسمه	نطقه العبري	الهمزة مشكولة به	معناه	نطقه بالفرنسية
—	חטף פתח	حطاف[1] بتاح	א	فتحة جد قصيرة	LA
—	חטף סגול	حطاف سيجول	א	كسرة ممالة	ÉL
—	חטף קמץ	حطاف قطان	א	فتحة مفخمة قريبة من الضم	LO

والتركيب ههنا، لا يُقصد به ذلك الصوت المركّب من صوتين، الناجم عن عمليتين عضويتين يُنتجهُما الجهاز النطقي لتكوين فونيم معين، وإنما هو مجرد إضافة إشارية في الرسم لا النطق المركب.

والثابت في النظام الصوتي للغة العبرية أنه «لا يجوز أن يأتي السكون وحده تحت حرف من حروف الحلق א-ה-ח-ע بل يجب أن يكون هذا السكون الواقع تحت حرف حلقي مصحوبا إما بحركة القماص هكذا: (אֲ)... وإما بحركة البتاح هكذا (אַ)... وإما بحركة السيجول هكذا (אֱ)... وفي هذه الحالة يأخذ الحرف الحلقي حركة الحرف الذي قبله سواء أكانت قماصا أم بتاحا أم سيجولا»[2].

ومعنى هذا أنه إذا وُجد أحد أصوات الحلق تلك في موقع ساكن فيه وجب تصويتُه بالصائت نفسه الذي حُرّك به الصوت الذي قبله سواء أكان قماصا أم بتاحا أم سيجولا. مثل:

ח←מחרת ← (ماحُورَاتْ) أي الغد.

ע ← 'עלה ← (يَعَلِهْ) أي يعلو.

ע ← העב'ד ← (هِعُبيد) أي شغّل.

[1]- حطاف (חטף) أي خطف، أنتُزِعَ، ضبط (الحرف الصامت) بحركة الحَطَاف، ومنهנחטף، أي خُطف، ضبط بالحطاف. ينظر: المعجم الحديث، عبري- عربي، ربحي كمال، دار العلم للملايين، ط1، 1985: 166. ويبدو أن الحطاف صائت أُنتُزِع جزءٌ من زمنه فأصبح مخطوفا مختَلَساً مداه الزمني.

[2]- دروس اللغة العبرية، ربحي كمال: 81.

ولعلّ هذا التركيب حديث الوضع؛ لأن « الأصل في هذه الحركات أن تكون شَفَا (أي سكون SCHWA) ولكن لما كان النطق بها صعبا وخصوصا على الأوروبيين فقد وضع علماء اللغة العبرية مع ذلك حركة أخرى لتسهيل النطق باللفظ. ومنها ما هو شاذ فيأتي الحرف بشفا وحْدَهُ مثل: **'חמד** أي يشتهي، فهذا أسهل لفظا من **'חמד**»[1].

ويضاف إلى ما سبق ما يسمى في اللغة العبرية بالسكون المتحرك **שואנע** (كذا) ويُنطق بهذا السكون كالكسرة الممالة المختَلَسَة أو المخطوفة، ويأتي متحرّكا في الأحوال الآتية:[2]

1. في أول الكلمة مثل: **שמעדבר'** (أي اسمعْ قولي).
2. إذا التقى صامتان ساكنان في وسط الكلمة كان أوّلهما ساكنا والثاني متحرّكا مثل: **'כתבו** (يكتبون).
3. إذا جاء الصامت ساكنا بعد صائت طويل (حركة كبرى) موقوف عليها بالمدة المعروفة بالميتغ (**מתג**) هكذا: (**א**) مثل: **אכלה** (أي أكلَتْ).
4. إذا وقع السكون تحت حرف مشدد أي في داخله نقطة مثل: **שבר'** (أي كسّري).
5. إذا تجاور مِثْلانِ أولهما ساكن فإنه يُحرّك مثل: **הללו** (أي هلّلُوا).

[1]- الكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر:83.

[2]- ينظر: دروس اللغة العبرية:80.

إنّ هذا الصُّوَيت لا يمثل فونيما قائما بذاته في اللغة العبرية، لكن له حضور في النسيج المقطعي للعبرية إذ يدخل في تكوين قممٍ لمقطع ما، أينما حلّ نحو:

/ה/ל/לו/ ⟵HALELOU بدلا من /הל/לו/ ⟵HAL/LOU

والواقع إن كلا من هذه الأصوات:[1]

- שוה⟵الذي ينطقه اليهود مرة סגול وأخرى צ'רה مختصرين زمنهما.
- חטף־פתח⟵ [א] المنطوق كالفتحة القصيرة جدا.
- חטף־סגול⟵ [א] وينطق تماما كالسيجول، لكن أقل منها زمنا.
- חטף־קמץ⟵ [א] وينطق كالضمة (חולם) القصيرة.

لا تعدّ فونيماتٍ مستقلةٍ في اللغة العبرية، وإنما يُستعان بها تجنّبا للنطق بالصوت صامتا. فهي في حقيقة وضعها تدل على أن الأصل في صوامتها الإسكان لا التصويت.

[1]- ينظر:

Les voyelles et leur(s) secret:26 ;
http://www.homenordnet.fr/vfraboulanger/cours%20grammaire/cgh.1.les%20signes/13.les%voyelles.pdf

2. مخارج الصوائت العبرية وصفاتها وتنوعاتها النطقية:

إنّ علم الأصوات الحديث للغة العبرية يميّز بين اثني عشر صائتا. ستة قصيرة وأخرى طويلة من جنسها.

ولدراسة الصوائت العبرية صوتيا سنأخذ الأساس الذي يصنف الصوائت إلى أمامية وخلفية، وهو الأساس نفسه الذي اتبعناه في دراسة صوائت اللغة العربية.

1.2. الصوائت الأمامية: والصوائت الأمامية في اللغة العبرية تتمثل في:

חִ'רִ'ק - צֵ'רֶה - סֶגוֹל - פַּתַח - קָמָץ.

1.1.2. فونيمات الكسر وتنوعاتها: للكسر في اللغة العبرية أنواع:[1]

- الكسرة الصريحة القصيرة ← הִ'רִ'קְקָטָן[א]
- الكسرة الصريحة الطويلة ← הִ'רִ'קָגָדוֹל [א]
- الكسرة الممالة الطويلة أو (الشديدة)← צֵ'רֶה [א]
- الكسرة الممالة القصيرة أو (الخفيفة)← סֶגוֹל [א]

[1]- مدونتي في دروس اللغة العبرية، ألقاها الأستاذ شكري كازي ثاني لطلبة الماجستير شعبة اللسانيات العربية، 2004.

أ. **الكسرة الصريحة (ה'ר'ק) = (i) و (Ī)**

الكسرة الصريحة في اللغة العبرية سواء أكانت من النوع القصير أم الطويل تتكون بارتفاع «مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن»[1]. إذ لا يُخرِج هذا الارتفاع الصوتَ من حيز الصوائت، مع انفراج الشفتين، وهذا الوصف يقترب من وصف الصوت المعياري رقم (1) وهو نفسه صوت الكسرة العربية.

ولا خلاف بين الحريق قطان والحريق جدول سوى في المدى الزمني الذي يميّز كلا منهما نحو: אזון (إزّون) أي وزن، وחבה (حبّا) أي حبّ2. بينما الثاني فيمثّل كسرة طويلة ويسمّى أيضا بـ: ח'ר'ק מלא أي مليء[3]، وهذا فيه دلالة على الكمية الزمنية الطويلة التي تميّزه؛ نحو قولنا: אב'ב (أبيب) أي ربيع، وאס'ר (أسير) أي سجين...[4]

وقد يزداد المدّ الصوتي للكسرة الطويلة العبرية (אי) عن مداه الطبيعي كما في الأمثلة التالية حين يوقف عليها: אנש'ם (أنشيم) أي رجال أو أناس، وפרט'ם (قرطيس) أي بطاقة أو قرطاس، وפר'ת (فاريت) أي وسادة صغيرة[5].

[1]- علم اللغة العام-الأصوات:141، والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل:210.

[2]- المعجم الحديث: عبري-عربي:37.

[3]-Voir : Les voyelles et leur(s) secret :25

[4]- المعجم الحديث: 31، 51.

[5]- المعجم الحديث: عبري-عربي:51، 225.

وبناءً على ما سبق، إنّ كلا من الكسرة القصيرة والطويلة تؤدي وظيفة مستقلة في أي بناء لغوي؛ أي إن كلّ واحدة منهما تمثل فونيما مستقلاً[1].

فالكسرة الصريحة إذن قصيرة كانت أم طويلة أصلها الترقيق، فهي صائت أمامي ضيق ومستفل، ومجهور. وقد يتأثر هذا الصوت فيفخّم نسبيا كما في צ'ד(تصيّد) أي زوّد، وجهّز وموّن[2].

צ'ונ' (تصيّوني) أي صهيوني: وهو المؤيد لمطامع الصهيونية في إنشاء الدولة في فلسطين وجمع الشتات اليهودي.

ט'ן (طين) أي طين أو تربة خصبة.

טלטל (طلطل) طلطل الشيء أي حرّكه.[3]

والملاحظ ههنا أن الحيريق ח'ר'ק العبرية لا تُفخّم إلاّ مع صوتي: تصادي (צ) أي الصاد، وطيت (ט) أي الطاء كما نسمعها من ألسنة ناطقيها.

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل:201.

[2]- المعجم الحديث: عبري-عربي: 401.

[3]- المعجم الحديث:189.

ب. الكسرة الممالة:

الكسرة الممالة العبرية نوعان هما:

- **الكسرة الممالة الطويلة أو (الشديدة)←צ'רה [א] =** (**é**)

ويخرج هذا الصوت بارتفاع مقدمة اللسان صوب الحنك الأعلى ارتفاعا يقل عن مستوى ارتفاعه مع الكسر الصريح،[1] أي أنها- أعني مقدمة اللسان- تكون في مرحلةٍ وسطى-تقريبا- أدنى من الكسر الصريح (i) منها إلى صائت الفتح (a)، إذ إن درجة الانفتاح مع هذا الصائت أوسع منها مع الصائت (i)، ويكون المنتوج حينئذ يشبه في نطقه الصائت المعياري (é) ذا الرقم (2) كما في كلمة (thé) بالفرنسية[2]. ومثاله في العبرية: אל: (إل) الله أو قوة، שם (شم): اسم، נר(نر): نار...

فالصيري صائت أمامي مجهور، نصف ضيق مرقق، يصدر بانفراج الشفتين[3] ويلحق هذا الصوت بعض التفخيم كما في:

- טבת أي شهر "طيبث" العبري[4].

[1]- ينظر: علم اللغة العام- الأصوات:140. وينظر:
Elément de Phonétique Appliquée, Française, Argo-dutard, Armand colin/ Masson, Paris, 1996: 42.

[2]- ينظر: سلم مقاييس دانييل جونز للصوائت في: علم اللغة العام- الأصوات: 142-144.

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل:204. وفي الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية:31، 32.

[4]- المعجم الحديث: عبري-عربي:187.

- צ'דה (تْصيدَا) أي زاد ومؤونة: وهو ما يُتّخَذ من الزاد للسفر[1].

والصيري صائت يتميز عن باقي الصوائت العبرية في كونه يُنطَق محمّلا بكمية زمنية تفوق كمية الصوائت القصيرة، ولعلّ هذه الميزة جعلته يُدرَج ضمن الصوائت (الطويلة) عند مصنّفي قواعد اللغة العبرية[2] ولهذا تسمّى بالكسرة الممالة الطويلة.

- قد يرد هذا الصائت أطول زمنا مما هو عليه كما في الأمثلة الآتية:

- לפנ': (لِفنِي) أي قبل، تجاه، أمام[3].
- לצ'ל: (لِعِيلْ) إلى أعلى، أكثر من...فوق.
- ב'ת:(بِيتْ) بيت.
- בלט'הם: (بِلاطيهِمْ) بسحرهم.[4]
- עצמת'הם: (عَظْمَتِيهم)عظامهم.

وفي هذه الحال يمثل צ'רה (א) سمة صوتية مستقلة تؤدي دورا معيّنا في تغيير المعنى.

[1]- المصدر السابق: 401.

[2]- ينظر: الكنز في قواعد اللغة العبرية:62 و83. ودروس اللغة العبرية:78.

[3]- ينظر: المعجم الحديث: 238.

[4]- الآية (7)، الإصحاح الثامن من سفر الخروج، ينظر: دروس اللغة العبرية: 502 و508 على الترتيب.

- **الكسرة الممالة القصيرة أو(الخفيفة)←סגול [א] = (è)**

ومخرجه مثل سابقيه إلا أن درجة انفتاح العضوين (أي المسافة بين مقدمة اللسان والحنك الأعلى) أوسع من צ'רה قليلا، فيكون بهذا أدنى من صائت الفتح (a) وأبعد عن الكسر(i). ويمكن أن ينطبق هذا الصوت على الصائت المعياري الثالث (ɛ). إذ يشبه في نطقه صوت (è) كما في كلمة (même) الفرنسية. وعليه، يمكننا وصفه بأنه صائت أمامي نصف متسع مرقق.

وأمثلة نطقه في العبرية كالآتي:

ספר (سِفِرْ)- עבד (عِبِد)- מלך(مِلِخ)- רגל(رِجِلْ)- דלת (دِلِتْ).

وقد يتعرّض هذا الصائت للتفخيم- نسبيا- شأنه شأن سابقيه في مثل:

- טבנ': (طِبنِي) أي تقني أو فنّي: خاص بفن أو علم أو صنعة.[1]
- צלף: (تْظِلِفْ) ظلف أو حافر.[2]
- טלס: (طِقِسْ) حفلة أو احتفال، شعائر أو طقوس.[3]
- צלם: (تْصِلِم)خيال أو مثال أو صورة وهو الصنم.[4]

[1]- ينظر: المعجم الحديث: 190.
[2]- نفسه:191.
[3]- نفسه:194.
[4]- نفسه:404.

- **צמג**: (تْصِمِجْ) مطّاط.[1]

وقد يرد هذا الصوت סגול طويلا ولكن قلّ ما يستعمل في النطق العبري الحديث، أما في تلاوات اليهود للكتاب المقدّس فيكثر وجوده[2] كما في:

- **ומבת'ך** (أومِبَّاتِخَا) "ومن بيوتك".[3]
- **קנ'נ'ך** (كِنْيَانِخا) أي "من غناك" .

ويسمى السيجول الطويل ههنا بـ סגול מלא (א')[4] وفي هذه الحال أيضا يمثل قيمة صوتية تمييزية لها القدرة على تغيير المعنى.

2.1.2. صوائت الفتح وتنوعاتها:

ينقسم الفتح في اللغة العبرية إلى قسمين:

- الفتح القصير ← פתח (a)
- الفتح الطويل ← קמץ(ā)

[1]- ينظر: المعجم الحديث: 405.

[2]- ينظر: Les voyelles et leur(s) secret :25.

[3]- ينظر: الآية السابعة من الإصحاح الثامن من سفر الخروج، عن دروس اللغة العبرية: 502-526 بالترتيب.

[4]- ينظر: Les voyelles et leur(s) secret :25

أ. **الفتح القصير← פתח–(א) = (a)**

وحين النطق به، يهبط الجزء الأمامي من اللسان إلى قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه إذ يبقى الفم مفتوحا بشكل متّسع، وحجرات الرنين فيه كبيرة، وتكون الشفتان في هذه الحال متخذةً وضع الاستواء والانبساط.[1]

وبهذا الوصف فالفتحة في العبرية تقترب من الصائت المعياري رقم (4) (a). وعليه توصف بأنها صائت قصير، وأمامي مجهور ومنفتح ومتسع. وينطبق هذا على الفتح المرقق كما في الأمثلة الآتية:

יָם (يم) أي بحر، שחר (شَحَر)، أي فجر، נער (نعر) أي صبي أو فتى.[2]

ب. **الفتح الطويل ←קמץ–(א) = (ā)**

ومخرجه من مخرج الفتح إلا أنّ أمد النطق بالقماص أطول من أمد النطق بالبتاح؛ بمعنى أن أعضاء النطق « تبقى في وضع واحد لفترة أطول»[3] عند نطق الفتح الطويل منه عند نطق الفتح القصير. فالفرق بين نطق الكلمتين: נער (نعر) صبي، أو فتى ونער (ناعر) أي نهق[4] أن الصائت الأول في الكلمة الأولى قصير بينما نظيره في الكلمة الثانية طويل.

[1]- ينظر: علم اللغة العام- الأصوات:140،141، والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل:209، وفي الأصوات اللغوية:29.

[2]- ينظر: دروس اللغة العبرية:79.

[3]- ينظر: الصوتيات العربية، منصور محمد الغامدي، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 2001: 72.

[4]- المعجم الحديث: 310.

فالقماص له صفات البتاح نفسها، أي ينطق بالطريقة نفسها تقريبا. « فالكيفية هنا شبه ثابتة، أما الأمد فمُتغيّر»[1].

والملاحظ في هذين المثالين أنه بتغيّر الصائت قد يتغيّر المعنى، وهذا يدل على أن لصفة الطول دورا في تغيير المعنى كليّا أو جزئيّا فالقماص إذن فونيم مستقل بحدّ ذاته في اللغة العبرية.

ومن أمثلة نطق القماص في العبرية ما يلي:

קנה (قانا)– ראה (راءا) – אדם (آدام) – קטן (قاطان).

ولا يَسلَم الفتح سواء أكان قصيرا أم طويلا من تأثير الأصوات المفخمة فيه، وفي هذه الحال يقترب نطقه من الضم، فبدلا من أن يكون أماميا ينقله التفخيم إلى دائرة الصوائت الخلفية فينتج عند ذلك نوع آخر من النطق يقترب من الصائت المعياري رقم (5) (a). كما في الأمثلة الآتية:

פתח مفخمة	קמץ مفخمة
טבח (طبّاح)= طبّاخ أو دبّاح[2]	טבע (طابع)= غرق، غطس، غاص[3]
צ'ד (تصيّاد)= صياد[4]	טהור (طاهور)= طاهر، نقي، صاف
צבע (تصبّاع)= صبّاغ، دهّان[5]	טר' (طاري) =طريّ، طازج، رطب[6]
צר (تزر)= ضيّق[7]	צחק (تزاحك)= ضحك، مزح
רקדן (ركدن)=رقاص[8]	רקד (راكد) =رقص

[1]- ينظر: الصوتيات العربية: 72.
[2]- ينظر: المعجم الحديث: 186.
[3]- نفسه: 187.
[4]- نفسه:401.
[5]- نفسه: 397.
[6]- نفسه:195.
[7]- نفسه: 408.
[8]- نفسه: 457،456.

ونشير ههنا أن للقماص؛ أي صائت الفتح الطويل، أحوالا يجب أن يُنطق فيها كالضمة المفتوحة نصف المتسعة، وهذا ما يتناسب مع الصائت المعياري رقم (6) ذي الرمز (ɔ)، ويسمى هذا الألوفون في هذه الأحوال بالقماص حطوف: קמיצחטוף.[1]

- **قماص حطوف: קמיצחטוף←א = [o] نطقا:**

والأحوال التي يرد فيها هذا الصائت الذي يُنطق كألوفون الضم المفتوح هي:

1) إذا تلا القماص صوت ساكن غير مفصول بينها بالميتغ מתג* ينطق القماص كالضمة المفتوحة ويدعى "قماص حطوف" مثل: קרבן التي تنطق في هذه الحال (قُربان) بدلا عن (قاربان).[2]

2) أما إذا جاء الميتغ فاصلا بين الصوت المشكول بالقماص والصوت المشكول بالسكون فإنه يجب أن يُنطق القماص مفتوحا كأصله مثل: אמרה (آمرا) أي قالت.[3]

3) إذا تلا القماص حرف مشدد بالشدة الثقيلة مثل: מד' (مادّي) أي قيسي وتنطق: (مُدّي)، وכלו (كالّو) أي انتهوا وتُنطق (كُلّو)[4].

---

[1]- ينظر: دروس اللغة العبرية:90.

* מתג: لجام- عنان- لقمة- اللجام، وهو خطيط عمودي يوضع تحت الحرف للدلالة على النبرة والزيادة في المد الصوتي، ينظر: المعجم الحديث:290.

[2]- السابق:90.

[3]- ينظر: دروس اللغة العبرية: 91.

[4]- ينظر: نفسه: 91.

4) إذا جاء القماص آخر صائت في الكلمة وكانت هذه الكلمة متصلة بما بعدها بالمقاف "מקף" (أي الوصلة) مثل: כל־הארץ (كال هآرتس) كل الأرض التي تنطق (كُل هآرتس)، ومثل: כתב־לי (كتاب لي) أي أكتب لي التي يتحوّل نطقها إلى (كتُب لي)[1].

5) إذا جاء الفعل مضعفا في صيغة المضارع ودخلت عليه واو القلب المشكولة بالبتاح (**ו**) وحوّلت معناه إلى الماضي، حُذفت لام الفعل وشُكلت فاؤه بالقماص حطوف. فالفعل المضعف "מדד" (مدد) أي قاس مضارعه "'מד" (يامُد) يقيس، فبعد دخول واو القلب عليه يصبح "ו'מד" (ויאמד)، وفي هذه الحالة تشكل فاء الفعل وهي ال (מ) بالقماص لكنها تُنطق (ويامُد). وكذلك الفعل "בוז" (بزز) أي سلب الذي يصبح مضارعه بعد دخول واو القلب عليه ו'בז (ויאבז) لكنه يُنطق: (ويابُز)[2].

وتجدر الإشارة إلى أن صائت קמץ חטוף لا يمثل فونيما مستقلا في اللغة العبرية إنما هو مجرد ألوفون أَوجَبه السياق تحقيقا للانسجام الصوتي.

2.2. الصوائت الخلفية:

والصوائت الخلفية للغة العبرية نوعان، ينقسم كل نوع بدوره إلى قسمين حسب كميته الصوتية وتتمثل في الآتي:

[1]- ينظر: نفسه: 91.

[2]- ينظر: دروس اللغة العبرية: 91.

- **الضمة الممالة:** وهي قسمان:[1]

✓ الضمة الممالة القصيرة ← חולמקמץ (حولام قماص) = [א]

✓ الضمة الممالة الطويلة ← חולמגדול (حولام جادول)= [או]

- الضمة الصريحة: وتنقسم قسمين هما:[2]

✓ الضمة الصريحة القصيرة ← קבוץ (قبّوص) = [א]

✓ الضمة الصريحة الطويلة ← שורוק (شوروق) = [או]

1.2.2. صائت الضم الممال ←חולם = [א] – [או]

ويتم إنتاج هذا الصائت قصيرا كان أو طويلا حين يصبح أقصى اللسان في أثناء تحقيقه قريبا من الحنك اللين أو أقصاه. وحجرة الرنين الفموية مع وضع اللسان نصف ضيّقة، إذ يكون هناك متّسع في مجرى الهواء دون إحداث أي احتكاك يُذكر، ثم يتابع الهواء سيره إلى الشفتين اللتين تأخذان شكلا مستديرا لتشكل الضم (O)[3]. ويوصف هذا الصائت إذن بأنه فموي خلفي نصف ضيّق ومستدير.

[1] – مدونتي في مقياس دروس اللغة العبرية.

[2] –نفسه.

[3] – ينظر: علم اللغة العام: 144؛

Elément de Phonétique Appliquée, Française: 42,43.

وبناء على هذا الوصف يُشبه الحولام في نطقه إلى حد ما الصائت المعياري رقم (7) ذا الرمز (o) الذي تمثله الكلمة الفرنسية (rose). وموقعه في سلم دانييل جونز بين الصائت رقم (6) = (ɔ) وصائت الضم (الصريح) (u) رقم (8).[1]

ومن أمثلة نطق الحولام חולם في اللغة العبرية مايلي:[2]

حولام قطان [א]	حولام جادول [או]
אכל (أُخِل)= أكل	אדום (آدوم)=أحمر
מהר (مُهر) =مهر، صداق	כחול (كاحول)=أزرق
רמח (رُمح) =رُمح	שחור (شاحور)= أسود

ولا فرق بين الحولام قطان والحولام جدول إلا في الكمية، وإن كان هناك اختلاف طفيف في الكيفية التي لا نكاد نشعر بها.

ويُسمع في نطق اليهود لهذا الصائت بعض التفخيم مع معظم الصوامت في بعض المواقع لكن تفخيمه ذاك لا يصل إلى درجة تفخيمه حين وجوده بين الصوامت الآتية: طيت [ט] وتصادي [צ] وريش [ר] نحو:

[1]- ينظر:

Elément de Phonétique Appliquée, Française:43 et English Phonetics and Phonology: A Practical course, Peter Roach, Cambridge University Press, 1983: 18.

[2]- ينظر: دروس اللغة العبرية: 79.

حولام قطان	حولام جدول
טהר (طُهَر)= طهارة، صفاء[1]	טוב (طوب) = طيّب، حسن، جيّد
צרף (تزُرَف)= ضُمّ، صُرف[2]	צום (تصوم)= صوم، صيام[3]
רחב (رُحَب) = رحابة، سعة، عرض[4]	רוטל (روطِل) = رطل[5]

2.2.2. صائت الضم الصريح: [א] – [או]

وهو على قسمين كما عُلم من قبل.

- ضمة قصيرة ← קבוץ = [א]
- ضمة طويلة ← שורוק = [או]

ومخرج هذين الصوتين واحد، إذ إن أقصى اللسان في حين النطق بصائت الضم الصريح يكون أرفع قليلا من ارتفاعه مع صائت الضم الممال أي – الحولام– ليصبح بذلك أقرب من الحنك اللين، وتكون درجة الانفتاح في هذه الحال ضيّقة دون أن يؤدي ذلك إلى أي نوع من الاحتكاك، مع استدارة الشفتين[6].

[1]– المعجم الحديث: 187.

[2]– نفسه:410.

[3]– نفسه: 339.

[4]– نفسه: 445.

[5]– نفسه: 444.

[6]– ينظر علم اللغة العام–الأصوات–، ص 140.

* ومثلها الضمة العربية المرققة.

فصائت الضم الصريح إذن، قصيرا كان أو طويلا يوصف بانه صائت خلفي ضيّق أصله مرقق ومستدير.

ونطق هذا الصائت يقترب قليلا من نطق الصائت المعياري رقم (8) ذي الرمز (u)، وتحقيق نطقه في اللغة العبرية (ou) كما في الكلمة الفرنسية (pour) أو في الانجليزية (put)، وهذا الوصف خاصّ بالضمة العبرية المرققة*. وهذا الصوت قد لا يسلم هو الآخر من تأثير سياق مفخم له، لكن في هذه الحال يكون نسبيا فقط، ومن أمثلة نطق صائت الضم الصريح بنوعيه ما يلي:

קבוץ- [א]	שורוק- [או]
בבה (بُبّا)= لعبة، دمية[1]	אור (أور)= نار، لهيب[2]
הזמן (هُزمان) = دُعِي، طُلِب[3]	שום (شوم) = ثوم[4]
גדל (جُدّل) = كُبّرَ، رُبِّي[5]	סוס (سوس) = حصان، جواد[6]

وتجب الإشارة إلى أنّ هذين الصائتين شوروق وقبّوص يقلّ ورودهما في أبنية اللغة العبرية عن الصوائت الأخرى، وقد ينحصر ذلك في أبنية معينة.* ومع هذا، يؤدي كل منهما وظيفة مستقلة ذات أثر في المعنى.

[1]- المعجم الحديث:62.

[2]- نفسه: 36.

[3]- نفسه: 154.

[4]- نفسه: 468.

[5]- نفسه: 83.

[6]- نفسه: 324.

* وهذا ما لاحظناه أثناء بحثنا في المعجم الحديث للغة العبرية.

وبناءً على ما سبق وبالجملة، يمكننا تلخيص صوائت اللغة العبرية التي تقوم بدور الفونيم مع الإشارة إلى أننا وظّفناها مع الهمزة كما يلي:

- **صوائت اللغة العبرية:**

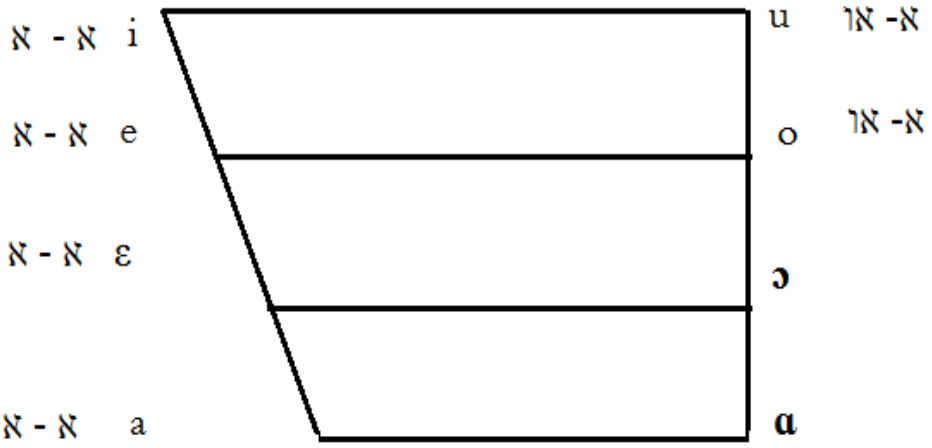

إذن هذه هي صوائت العبرية ذات الأصل الثلاثي.

نستخلص مما سبق حول صوائت العربية والعبرية بعض النقاط نجملها كالآتي:

أ. تلعب الصوائت عموما دورا كبيرا في التمييز بين اللغات، فهي التي تحدّد طبيعة أي لغة من حيث نطقها وتركيبها ثمّ إنّ اختلافها من لغة إلى أخرى يجعل النطق بها من قبل الأجنبيّ شاقّا عسيرا لصعوبة وصفها، على خلاف الصّوامت التي يشترك في نطقها كثير من اللغات. لهذه العوامل وغيرها جعلت العلماء والباحثين يجتهدون في استنباط مقاييس عامّة تقاس بها كلّ لغة وتنسب إليها.

ب. تتميّز الصّوائت بالوضوح السمعي وقوّة الرنين؛ ذلك لأنها مجهورة وهذا ما يجعلها أكثر دورانا على اللسان.

ج. توجد في العربية ستة فونيمات من الصوائت بتغييرها يتغير المعنى وهي: الفتحة والفتحة الطويلة، والكسرة والكَسرة الطويلة، والضمة والضّمة الطّويلة، وقد تتنوّع في السياقات اللّغوية إلى ألفونات مختلفة لا تؤدّي إلى تغيير الدّلالة كالإمالة والتفخيم. بينما عدد الصوائت في اللغة العبرية اثنا عشر فونيما وما عدا ذلك فعبارة عن تنوّعات صوتية أو ألوفونات- كما رأينا ذلك في دراستنا لها- كوّنتها ضرورة السياق.

وبعد دراستنا لفونيمات الكلمة في اللغتين العربية والعبرية خارج التركيب، أي من الجانب الصوتي (الفونيتيكي)، فإنه لا يكفي أن تكتمل ، دون معالجة تلك الوحدات الصوتية داخل سياقها التركيبي، أي الجانب الوظيفي (الفونولوجي)، وهذا ما سيتكفل بدراسته الفصل الموالي.

الفصل الثالث

البنية الفونولوجية للكلمة بين العربية والعبرية

أوّلا: ظواهر التشكيل الصّوتي للكلمة بين العربيّة والعبرية

تمهيد:

بعد أن بسَطنا أرضية الدراسة الصوتية للكلمة بين العربية والعبرية، كما هي في الواقع المسموع، نكون بهذا، قد قدمنا نتائج تلك الدراسة لفائدة دراسة أخرى تتكامل معها جنبا إلى جنب في التحليل اللغوي، ونعني بها "الدراسة الفونولوجية أي Phonologie"* التي تتناول دراسة تلك الوحدات، وهي مرتبطة ببعضها البعض في سياق ما.

ومما لا شك فيه إن الصوت المفرد المعزول عن عائلته الصوتية التي فيها تتحقق قيمته ووظيفته، يختلف عن ذاك الذي ينتمي إلى نسق صوتي معين، "ترتبط أجزاؤه بعلاقات مشتركة، ووشائج معينة ناتجة من تجاور الأصوات ومواقعها... وتداخلها في التركيب"[1].

والصوت في هذه الحال قد يفقد بعضا من ملامحه وخواصه الصوتية التي تميزه عن غيره من الأصوات الأخرى؛ لأن الأصوات اللغوية ليست في الواقع عناصر متناثرة أو مجموعة من التكتلات الصوتية المفردة تنطق مستقلة بكيانات ذاتية، إنما هي نظام منسّق تحكمه علاقات خاصة بهذه اللغة أو تلك[2]، إذ تنشأ أنواع مختلفة من التحولات والتغيرات "تطرأ على تلك الوحدات الصوتية حال

*- أو كما يطلق عليها في هذا المجال اسم التشكيل الصوتي أو الصوتيات الوظيفية، أو التركيبية، أو التشكيلية.

[1]-الألسنية العربية: 1/31-32.

[2]- ينظر ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، المهدي بوروبة، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه، إلى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 1423هـ/2002م: 18، والأصوات اللغوية، عبد الجليل: 212، ومبادئ اللسانيات: 123.

تأليفها الفعلي لسلسلة كلامية مكونة من مقاطع أو كلمات أو جمل، لذلك فإن الصوت يتغير ويتنوع على حسب موقعه في الكلمة (في صدرها أو في داخلها، أو آخرها)، وحسب ما يجاوره من أصوات"[1]. والحق إن تلك المجاميع الصوتية في تأليفها للغة، تخضع لتيارات التأثير والتأثر التي تحكمها جملة من القوانين أو الاتجاهات الصوتية التي تخص نظام كل لغة، حال ما توفرت دواع لذلك.

وفي هذا الصدد تعمد العربية إلى استدعاء طائفة من الظواهر الصوتية للفرار من التجمعات الصوتية المجهدة، درءا للثقل الناتج عن مركب صوتي عسير في النطق، أصيل في اللغة، يتشكل من تجاور صوتين متنافرين مخرجا أو صفة، وذلك لإحلال التوازن في النظام الصوتي للغة، قصد بعث الانسجام والخفة بين أصوات هذا المركب الذي عَسُرَ نطقُه.

وهذه الظواهر الصوتية التي تعتري الأبنية في التشكيل أو التركيب الصوتي أثناء الأداء الفعلي يمكن تصنيفها إلى قسمين: أولهما؛ الظواهر التشكيلية أو التركيبية للكلمة: وتتناول المماثلة والمخالفة الصوتية، والحذف والقلب المكاني، وثانيهما؛ الظواهر الأدائية (غير التشكيلية): وتشمل: المقطع والنبر والتنغيم وتسمى أيضا بالتغيرات فوق التركيبية، وهذه لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية، لكن لها تأثيرات موجهة للبنى الوظيفية[2].

أوّلاً– الظواهر التشكيلية:

[1]– ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث، عاطف مذكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987: 29–30، واللغة: 62.

[2]– ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي: 20

تمهيد: قد يتوالى صوتان متنافران صفة أو مخرجا، أو صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين مع اختلاف صفاتهما، كأن يكون أحدهما صوتا انفجاريا والأخر احتكاكيا، أو صوتا مجهوراً والأخر مهموساً أو غير ذلك، فإن ذلك التنافر وذاك الاختلاف بين تلك الأصوات المتجاورة سيؤدي ولا شك إلى نوع من الثقل في النطق، مع إجهاد النفس في بذل الجهد. إذ تجنح اللغة العربية في هذه الحال إلى "التقريب بين هذه الأصوات بوسيلة من الوسائل التي يتحقق من خلالها النطق بأقل جهد ممكن في إنتاج المركبات الصوتية المستعصية ليخف نطقها على اللسان"[1].

1- المماثلة الصوتية (Assimilation):

وهي من أكثر الظواهر الصوتية التي تعتري بنية اللغة العربية.•

1.1. مفهومها: "تقول نحوُهُ كنحوِهِ، وفِقهُهُ كفقهِهِ، وطعمُهُ كطعمِهُ، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق، فمعناه أنه يسد مسدّه، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة،... وأمّا المماثلة في اللغة فلا تكون إلاّ في المتفقين، والمِثْلُ: الشَّبَه، تقول: مِثْلٌ ومَثَلٌ، وشِبْهٌ وشَبَهٌ، بمعنى واحد"[2]،وإذا كان ماثل بمعنى شابه؛ فإن المماثلة على هذا النحو تعني المشابهة.

[1]- ينظر ظواهر التشكيل الصوتي:22.

• وهذه الظاهرة قد تنبّه لها المتقدمون من النحاة، وعلى رأسهم سيبويه، وكان يسميها بالمضارعة" ويقصد بها تقريب الأصوات المتجاورة فيما بينها، ينظر الكتاب:4/ 445، 448، 477، ويأتي ابن جني بعده ليعبّر عنها بالتقريب أي تقريب صوت من صوت"، ينظر: الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت: 139/2.

[2]- اللسان، مادة (مثل): 74.

أما في الاصطلاح فيعرفها دانيال جونز بقوله: "المماثلة عملية استبدال صوت بصوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة"[1]، أو هي كما يراها بعضهم تلك "التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى"[2]، وبعبارة أخرى المماثلة هي: "تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلا جزئيا أو كليا"[3].

وعلى ضوء هذه التعريفات يمكن أن نقول بأنه يدخل في مفهوم المماثلة مطلق التغير بالتأثير أو الحذف، فتستغرق (الإبدال والإعلال والإدغام)[4].

وهذه الظاهرة كما تحدث بين الأصوات الصامتة، تحدث كذلك بين الصوائت،كما تحدث بين الصوامت والصوائت معا.

2.1. أنواعها: تتخذ المماثلة بين الأصوات أشكالا متنوعة[5]:

* **بحسب اتجاه التأثر:** إذا كان التأثير من الصوت الأول إلى الصوت الثاني التابع له، فالمماثلة تقدمية أو مقبلة، وإذا حدث العكس، فالمماثلة رجعية أو مدبرة.

[1]- التطور اللغوي . مظاهره وعلله وقوانينه . رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة: 1410هـ/ 1990م: 30.

[2]-دراسة الصوت اللغوي: 324، وينظر: المدخل إلى علم الأصوات- دراسة مقارنة- صلاح الدين حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ط1، 1981: 65.

[3]-الأصوات اللغوية: عبد الجليل: 283.

[4]-ظواهر التشكيل الصوتي: 185.

[5]- ينظر: التطور اللغوي: 31.

* **بحسب نسبة التأثر**: إن كانت نسبة التأثر بين الصوتين في كل خصائص الصوت، فالمماثلة تامة أو كلية، وتكون جزئية أو ناقصة إذا كانت نسبة التأثر في بعض خصائص الصوت.

* **بحسب المماسّة أو عدمها**: فقد يكون الصوتان المتجاوران إما متماسين تماما لا يفصل بينهما فاصل، وفي هذه الحال تكون المماثلة متصلة، وإما منفصلين بصوت أو أكثر فتسمى بذلك المماثلة منفصلة.

ومن**صور المماثلة في العربية والعبرية**: نعرض لبعض الأمثلة التي سنتناولها بمزيد من التحليل والتعليل:

1.2.1. المماثلة التقدمية الكلية المتصلة:

❖ في العربية:

– تتأثر تاء الافتعال تأثرا تاما مع ما قبلها من دال أو طاء دائما، ومن ذال أو صاد أو ضاد غالبا نحو: ادترك>ادّرك، اطتلب>اطّلب، اذْتكر > اذّكر، اضتجع >اضّجع اصتبر> اصّبر.[1]

وتفسيرنا للإبدال الحاصل: أنّ تاء الافتعال مهموسة وما قبلها مجهور أو مفخم، فتؤثّر قوة الجهر أو التفخيم في التاء الموالية فيتم التماثل بالإدغام.

[1]– ينظر: فقه اللغات السامية: 59.

– **ميزان** أصلها مِوْزان: واو ساكنة بعد كسر؛ وهذا النوع من التتابع (صائت كسر قصير + نصف صامت خلفي "وْ")• مستكره في أبنية العربية "وإنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء... وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضموا الثاني فِعُل"[1]، إذ تجنح – أي العربية – في مثل هذه الحال إلى إلغائه عن طريق قلب الواو ياء بتأثير الكسرة القصيرة قبلها، "فأرادوا المماثلة، وأن يكون اللفظ واحدا فأعلوا[2]". ويحدث ذلك، بأن تجذب الكسرة الواو ناحيتها لتتماثل معها (مِوْزان تتحول إلى مِيْزان)، ثم يزداد التأثر إلى مِيزان فتتّحد معها في كسرة طويلة.

والعلّة في كل ذلك، "أن ترك الواو في مِوْزان أثقل من قِبل أنه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء"[3]، لأن الكسرة والواو الساكنة من مخرجين متباعدين؛ فالكسرة صائت متسع أثناء النطق به يرتفع الجزء الأمامي من اللسان أما الواو التي من مخرج الضمة، فيرتفع الجزء الخلفي من اللسان أثناء النطق بها، وهي بذلك صائت خلفي ضيق، ولا شك أن في هذه العملية– الانتقال من الأمام إلى

•– ولم نشأ أن نطلق عليها صفة اللين، مع أن طبيعتها هي طبيعة الواو اللينة نفسها، وطالما هي غير مسبوقة بفتح فهذا مما لا تجيزه العربية في كلامها، ومتى وقع ذلك التتابع المستثقل على اللسان، تلجأ إلى تغييره بإحدى الطرق المعروفة لديها، فكيف تكون لينة واللين صفة للسهولة والخفة لا للصعوبة في النطق والمشقة في بذل الجهد.

[1]– الكتاب: 4/335.

[2]– المنصف لكتاب التصريف للمازني، شرح ابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م: 116/2.

[3]– الكتاب: 335/4.

الخلف- مشقّة مضنية على اللسان، إذ يتكلف بتحقيق وجهتين متنافرتين فاستثقلوا ذلك، فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم[1].

والغرض المنشود في معالجة ذلك الثقل الذي تسبب فيه توالي ذينك الصوتين المتخالفين في الصيغة- محل الدراسة- اختزال الجهد العضلي المبذول ليوفر على النفس بعض المشقة والعناء، ولإحلال التوازن المرغوب في النظام الصوتي لتلك البنية المتصدعة ومن ثم تحقيق الانسجام والاتساق بين أصواتها استنادا في تحقيق ذلك... إلى مبدأ السهولة واليسر[2].

– أقِيمُوا أصلها أَقْوِمُوا: توالت الواو الصامتة بعدها صائت كسر قصير مما يؤدّي إلى تنافر صوتي في الصيغة، ولتعديلها هناك مرحلتان:•

أ– التسكين:

وفي هذا يقول سيبويه: "إذا الحرف الذي قبل الحرف المعتل ساكنا في الأصل، ولم يكن ألفا ولا واوا ولا ياء، فإنك تسكن المعتل وتحول حركته على الساكن، وذلك مطّرد في كلامهم"[3]. وعليه فالواو في أقْوِمُوا، يتمّ التسكين فيها بنقل الكسرة التي بعدها إلى صوت القاف الساكن قبلها، لأن "النطق

[1]- ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي: 234.

[2]- ينظر: نفسه: 234.

•- وهو ما يسمى عند الصرفيين بالإعلال بالسكين، والمراد به شيئان: الأول حذف حركة حرف العلة، والثاني نقل هذه الحركة إلى الساكن قبله: المحيط: 106/1 (لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من الحرف المعتل كما يقال في التعليل الصرفي)، ويستثنى من ذلك بعض الأمثلة في اللغة العربية نحو مقود، أبيض، يشوي... الخ.

[3]- الكتاب: 345/4.

بالواو المكسورة مستثقل[1]، على اللسان ومجهد لأعضاء النطق. أقْوِموا تتحوّل إلى أقِوْموا "فالتسكين إذن يشترط النقل وظاهرة النقل هذه عدّها الصرفيون إحدى وسائل إعادة التوازن إلى الكلمة[2]، وبذلك يسهل عليهم القلب الذي يأتي في المرحلة الثانية من مراحل هذا التعديل.

ب – القلب:

والقلب هنا اختص بتحويل الواو الساكنة إلى ياء ساكنة مجانسة للكسرة قبلها المؤثرة فيها، ثمّ يزداد التأثر – كما هو معلوم – إلى صائت كسر طويل سعيا وراء تحقيق أدنى حد ممكن من السهولة واليسر في بذل الجهد. ويمكن تلخيص هذه الخطوات على النحو التالي:أقْوِمُوا < أقِوْموا < أقِيمُوا.

ولا داع هنا إلى تحليل وتعليل هذا النوع من التأثر فقد مضى ذلك مع مثال سابق.

- مقام < مَقْوَم < مَقَوْم>مقام.

فهذا المثال لا يختلف عما سبقه إلا في كون المؤثر فتحة مع " أنها أخف الحركات[3]، فتقلب الواو ألفا مجانسة للفتحة التي قبلها، ثم يزداد التأثر إلى صائت فتح طويل، وتتم المماثلة ويتحقق المقصود.

- آلاء أصلها أَأْلاي:

---

[1]– الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1398ه/1978م:...

[2]– ينظر: في الأصوات اللغوية: 271، ودراسة الصوت اللغوي: 338.

[3]–المنصف، ابن جني، تحقيق وتعليق: محمود عبد القادر أحمد عطا منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه/1999م: 387.

لا يخفى على الناطق أن الهمزة تعد من أصعب الأصوات إخراجا من غيرها من الأصوات، إذ ينبغي لإخراجها تغليق فم الحنجرة، وهو مفتوح مع غيرها، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام[1]، ولذلك فهي تحتاج إلى جهد عضلي أكبر لأنها " تحدث من حفز قوي من عضل الصدر لهواء كثير"[2]. ولما كانت الهمزة العربية أكثر الأصوات اللغوية تأثرا بما يكتنفها من صوائت، فإنه قد ترتب عليها أحكاما مختلفة في كتب القراءات لا مجال هنا لتفصيلها[3].

ففي هذا المثال أأْلاء: اجتمعت همزتان متواليتان في كلمة واحدة أولاهما مفتوحة والثانية ساكنة، ولا شك أن في نطقهما مشقة أكبر من النطق بهمزة مفردة، فذلك يحتاج إلى جهد عضلي أكبر•؛ لأنه في الأولى تغلق فتحة المزمار غلقا تاما فيمنع مرور الهواء من خلالها فترة قصيرة من الزمن، ثم ينفك ذلك الانسداد ليتم تشكيل الهمزة، وما إن يطلق العنان للنطق بالفتحة الطليقة بعدها، إلاّ ويعود ذلك الغلق الحنجري مرة أخرى مع الهمزة الثانية.ومن أجل ذلك، تسقط الهمزة الأخيرة

[1]- ينظر التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1997: 42، والأصوات اللغوية: أنيس: 91.

[2]- رسالة أسباب حدوث الحروف، تأليف: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق: محمد حسان الطيان- يحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ط، د.ت: 72.

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 91، وفي الأصوات اللغوية: 275، والبنية اللغوية في اللهجة الباهلية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 1417هـ/1997م: 58 –59.

•- لذلك أفردت كتب القراء والنحاة أبوابا لأحكام الهمزتين المتواليتين، ولكنا هنا اقتصرنا على حالة واحدة من ذلك، وهي التي نحن بصدد در استها.

لسكونها، "فتبدل وجوبا ألفا"[1]، نتيجة تأثير الفتحة القصيرة قبلها؛ أي يستعاض عن نطقها بإطالة ذلك الصائت[2]– أي الفتحة– ويصبح المنطوق: همزة + صائت فتح طويل = ألالاء التي تكتب آلاء.

❖ **في العبريّة:**

وأمثلة هذا النوع من التأثّر في اللغة العبرية قليلة إذا ما قارناها بالعربية، ومن ذلك ما أورده المستشرق الألماني بروكلمان في كتابه فقه اللغات السامية إذ يقول: «تتماثل هاء الضمير المتصل المنصوب للغائب مع النون נ و التاء ת من ضمائر الرفع المتصلة بالأفعال مثل: אנהו تتحول إلى אנו ومثل: אתהו التي يصبح نطقها אתו »[3].

2.2.1. المماثلة التقدمية الكلية المنفصلة:

يتأثّر صائت الضمّ في ضمير النصب والجرّ الغائب المفرد (هُ)، والجمع المذكّر (هُم)، والجمع المؤنث (هُنّ) والمثنّى (هما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء، فتقلب ضمّة هاء الإضمار كسرة للمجانسة[4] مثل: برِجْلِهِ بدلاً من (برِجْلِهُ)، و فِيهِ بدلا من (فِيهُ). وضَرَبْتِهِ بدلا من (ضَرَبْتِهُ). و(بصاحِبِهِم) بدلا من (بصاحِبِهُم). و بِهِنَّ بدلا من (بِهُنَّ). وبِهِما بدلا من (بِهُمَا)... إلى غير ذلك.

وقد عالج سيبويه هذا النوع من التأثر بعناية فائقة وثبت لديه أنها في العربية "أصلها الضمّ

[1]– سر الصناعة: 579/2، 664–665.

[2]– ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 92.

[3]– فقه اللغات السامية: 59.

[4]– ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 146، والتطور النحوي: 62، واللهجات العربية في التراث، القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي: 232/1، والتطور اللغوي: 34–35، وظواهر التشكيل الصوتي: 234 –235.

وبعدها الواو"[1]، ليخلص في النهاية إلى أن "الهاء تكسر إذا كان قبلها كسرة"، وذلك بسبب استثقال الجمع بين كسر وضمّ في نسق واحد وإن حال بينهما فاصل، لاختلاف مخرج كل منهما، فالأول صائت أمامي والآخر خلفي، فكان الميل إلى قلب الضمّ في هاء الإضمار إلى صائت من جنس سابقه (الكسر) مدعاة إلى التماثل وبعث الخفة والانسجام بين أصوات هذا المركب.

3.2.1. المماثلة التقدمية الجزئية المتصلة:

ومن أمثلة هذا النوع تأثّر تاء الافتعال بالصّاد أو بالضّاد أو بالزّاي قبلها، فتبدل **طاء** في الحالتين- الأولى والثانية-، و**دالاً** في الحالة الثالثة: مثل:

(اصتبغَ<اصطبغَ) و(اضتجعَ<اضطَجَعَ)، و(ازتجَر< ازدَجَرَ).[2]

ففي كلمة: (اصطبر) التي على وزن افتعل (اصتبر)، من أصل الفعل (صبر)، فالتاء وقعت بعد صوت الصاد المطبق المفخّم، والتاء من مخرج الطاء؛ وتضارع الصاد في التفخيم والإطباق، فأبدلت التاء طاء ليسهل النطق لما بعد الصّاد ويخفّ الوزن.

ومثال هذا النوع من المماثلة في اللغة العبرية: **הצתדה** (بُرِّئَ) التي يتغير نطقها كالآتي: **הצטדה**.[3]

4.2.1. المماثلة التقدمية الجزئية المنفصلة: ومن أمثلتها:

[1]- الكتاب: 195/4.

[2]- ينظر: التطور اللغوي:35.

[3]- ينظر: فقه اللغات السامية: 56.

- تتأثّر السّين المهموسة بالرّاء المجهورة قبلها، فتبدل إلى نظيرها المجهور، وهو الزاي في كلمة (مِهراس) التي أصبحت (مِهراز) في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجري[1].

- تتأثّر الدال بالراء قبلها في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري فتبدل إلى نظيرها المفخم وهو الضاد؛ لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية مثل: معربد < معربض.وهذه إحدى خصائص صوت الراء العربية؛ إذ يميل هذا الصوت إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له، نحو قولنا: صور في سور و أخرص في أخرس ورفص في رفس ونحو ذلك[2].

ومن أمثلتها أيضا:

- **الإمالة** كما في قوله عز وجل: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمٰهُمْ...﴾ **[الرحمن: 40]**.

سِيمَاهُمْ: ممالة[3]، أميلت الألف نحو الياء رغم وجود فاصل بينهما وهو صوت الميم، وذلك بسبب

[1]- ينظر: التطور اللغوي:37.

[2]- نفسه: 38 وينظر:لحن العوام للزبيدي، محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي أبو بكر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1420ه/2000م: 296، ولحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2000: 335.

[3]- ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء ، تحقيق: محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي عالم الكتب، بيروت، ط2، 1983: 3/1 و5–6.

تأثير صائت كسر طويل (ياء المد) قبلها[1]. والإمالة ما هي إلاّ نوع من أنواع المماثلة ومظهر من المظاهر الصوتية التي يدعو إليها التقريب بين الأصوات[2] لضرب من تجانس الصوت[3].

ففي الإمالة عدول عن الأبعد إلى الأقرب لتجري على اللسان على طريقة واحدة غير مختلفة ولا متنافرة، لأن الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب من الفم أسفله، إذ المشاكلة ضرب من مذاهبها تعتمده في كلامها، لهذا جنحت الألف نحو الياء لإزالة الثقل وليحل محله الانسجام والتماثل[4].

وكل ذلك "طلبا للأسهل وأخذا بالأمثل فالأمثل لتخف بذلك كلفة الكلمة على آخرها وتعذب في سمع مستمعها وناقلها"[5].

أما في العبرية فتتأثر لام الكلمة بفائها مثل: **צחכ** أي (ضحك) فتتحول إلى (قاف–ק) **צחק**.[6]

5.2.1. المماثلة الرجعية الكلية المتصلة: ومن أمثلتها:

[1]–شرح طيبة النشر، محمد بن محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري، مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ- 2003: 116.

[2]– ينظر: الكتاب: 4/121–122، والنشر: 32/2، والمحيط:1/ 97. ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 207، واللهجات العربية في التراث:1/ 275، والأصوات اللغوية، عبد الجليل:7/ 306. اللمع في العربية: 331، وسر الصناعة:1/ 58. ينظر اللمع في العربية: 311، واللهجات العربية في التراث:1/ 276–277.

[3]– اللمع في العربية: 311.

[4]–وهذا ما يعادل الإدغام عند القدماء، ويعنون به في هذه الحال، إدغام الصوت الأول في مواليه وإفناءه فيه، دون أن يكون بينهما فاصل، وهذا هو أصل وأقيس أشكال الإدغام، وينظر: الكتاب:4/ 469، والخصائص:2/ 139–141

[5]– وظواهر التشكيل الصوتي: 234 -235.

[6]– ينظر: فقه اللغات السامية: 56.

أ– ما يطرأ في "مضارع صيغتي تفعّل وتفاعل؛ إذ تتأثّر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتا من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي مثل:

يَتَذَكَّر >يتْذَكَّر> يذَّكَّر ~ اِذّكَّر (في الماضي)

يتَطَهَّر >يتْطَهَّر> يَطَّهَّر ~ اِطّهَّر (في الماضي)

يتَدارَأ > يتْدارأ > يَدَّارَأ ~ اِدّارَأ (في الماضي)

يتَثاقَل >يتْثَاقَل> يَثَّاقَل ~ اِثّاقَل (في الماضي)"[1]

وجاء ذلك في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾**[عبس:3-4]**، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا...﴾ **[البقرة:71]**، وقوله أيضا: ﴿...ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ...﴾ **[التوبة: 38]**.

ب– ما يحدث في صيغة"مفتعل" من الفعل (وكأ) كما ورد في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ...﴾ **[الرحمن: 53]**.

– مُتَّكِئِينَ < مُوْتكِئِين < مُتْتَكئين <مُتَّكئين.

توالي (الواو +التاء) ⟵تنافر صوتي.

[1]- نفسه: 39.

"وهذا النوع من التتابع ينجرّ عنه نسق صوتي مرفوض في العربية"[1]؛ لأنهما من مخرجين متنافرين عدا اختلافهما في بعض الصفات. فالأول صوت مجهور واحتكاكي وساكن، بينما الثاني فهو صوت مهموس وانفجاري ومتحرك وهذا مما يؤدي إلى تأثير السابق (الواو) باللاحق (التاء)، فيبدل صوتا من جنس لاحقه وجوبا ليتماثل معه مماثلة تامة، ثم يفنى فيه[2]؛ "لأن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الإدغام"[3].

وسبب حدوث هذه المماثلة لا يكمن في القوة الذاتية للصوت المؤثر•، وإنما في قوته الموقعية وذلك حين يكون هذا الصوت بداية مقطع، في حين يحتل الصوت المتأثر نهاية المقطع السابق[4].

وتفسير ذلك أن التاء أكثر قوة، لا بطبيعتها، ولكن بحكم وضعها وموقعها الحصين، فهي لذلك في موقع قوي، لأنها تحتل صدارة مقطع لاحق، على حين أن الواو في وضع ضعيف، لأنها تمثل نهاية مقطع سابق، فتنازلت هذه الأخيرة عن جهرها، وتجردت تماما من طبيعتها وخصائصها الصوتية لصالح التاء لتصبح مهموسة انفجارية تحقيقا للمماثلة التامة.

---

[1]-ظواهر التشكيل الصوتي: 213.

[2]- ينظر الكتاب: 4/388، والمقتضب: 173/1، و 91/2.

[3]- الكتاب: 335/4.

•- كما يراها القدماء نحو قولهم: "لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف"، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاء المولى بك، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د.ط، 1406ه/1986م: 469/2.

[4]- ينظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: 238.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن التجرّد الذي يحصل للصوت المتأثر لا يبقى منه إلاّ المدة الزمنية التي كان يحتاج إليها لنطقه، فهي تضاف إلى مدة نطق الصوت المؤثر، فتضاعف ويشدد ذلك الصوت[1].

ح– تتأثر النون الساكنة أو نون التنوين في كلمة واحدة، أو في كلمتين بأصوات (النون، الميم، اللام، الراء) التي بعدها دون أي فاصل " إذ تميل اللغات السامية كلّها تقريبا إلى إدغام النون فيما يليها مباشرة من الأصوات الصامتة، وذلك أمر شائع جدا في العربية... وفي الحبشية... وفي العبرية"[2].

– قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ **[الرحمن: 13]**؛ نحو: منْ نَارٍ> مِنَّارٍ (نطقا).

التقى مِثلان فوجب إفناء الأول منهما في الصوت الثاني المتحرك، "والسبب في ذلك أن النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج فيهما إلى إعمال العضو الذي يخرج منه الحرف المضعف مرتين، فيكثر العمل على العضو الواحد...، فلما كان فيه من الثقل... رفع اللسان بها رفعة واحدة ليقل العمل، ويخف بهما على اللسان"[3].

والغنَّة هنا ليست إلا إطالة للصوت المشدّد، إضافة إلى أنها تضفي على هذا الصوت ترنمّا ممدودا، ونغمة موسيقية محببة إلى الأذن العربية والتجويد القرآني شاهد على ذلك[4].

[1]– ينظر التطور النحوي: 31.

[2]– فقه اللغات السامية: 61.

[3]– الممتع في التصريف: 1/ 263.

[4]– ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 73، ودروس في علم الأصوات العربية: 61.

وتدغم النون الساكنة في الميم نحو: ﴿مِنَ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ > مِمَّارِ جِمَّنّار (نطقا)؛ إذ

تبذل النون ههنا ميما لمؤاخاتها النون في الغنة[1]، فيتمّ التماثل والفناء التام. والغنة التي تسمعها هي غنة الميم المشددة لا غنة النون[2].

أمّا فيقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي الْمِيزَانِ﴾ **[الرحمن: 06]**

- ألاّ أصلها أَنْ + لاَ ثمّ تبدل النون الساكنة لاما: أَلْ + لا > أَلاّ.

وتأثر النون باللام واضح،نظرا للعلاقة المخرجية والوصفية بينهما، إذ تبدل لاما لثقل نطقها بعد النون الساكنة ثم تفنى هي الأخرى فناء تاما فيها.

تتأثر "لام التعريف" بثلاثة عشر صوتا هي:(التاء، الثاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، النون)، ولا يجوز معهنّ إلا الإدغام[3]. وإنما مالت اللام إلى فنائها وذوبانها في تلك الأصوات الموالية لها، بسبب التقارب الصوتي والمخرجي، وبسبب ضعف موقع اللام، وقوة موقع الصوت بعدها[4].

---

[1]- ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، دراسة وتحقيق: د. غانم قدوري أحمد، مكتبة دار الأنبار، 1407هـ/1988م: 117.

[2]- ينظر: النشر: 23/2 و 26، والأصوات اللغوية: أنيس: 74.

[3]- ينظر: الكتاب: 4/475، والممتع في التصريف: 691/2–692.

*- وتظهر اللام مع بقية أصوات اللغة الخمسة عشر، وهي (الهمزة، ب، ج، ح، خ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، هـ، و، ي) نظرا لتباعد مخارجها بالنسبة إلى مخرج اللام.

[4]- ينظر: الأصوات اللغوية أنيس: 244، واللهجات العربية في التراث:1/ 300، ودراسة الصوت اللغوي: 334، والمنهج الصوتي للبنية العربية: 212، وتربية الصوت وفن الإلقاء، سامي عبد الحميد، مطبعة الأديب البغدادية، د.ط، 1974: 54.

أمّا في العبرية فنجد صور هذا النوع من التأثر كثيرة ويكاد يكون مطّردا؛ إذ يشمل صوتي الكاف والنون إلى جانب الأصوات الأسنانية نحو:[1]

ינגש>יגש (ضغط) ومלחש>מלחש (من لخيش). ثمّשדש>שש (ستّة) بالإدغام، ومתדבר>מדבר (متكلّم) وكلمة: תתכנן>תכנן (تُبِّت)، ثم كلمة: לדת>לתת (ولادة) ואחדת>אחת (أحد).

ولا داعي لنعود ونؤكد أن الهدف في كل ما سبق ذكره، درء الثقل والتكلف في إنتاج الصوتين سعيا وراء تحقيق الانسجام بينهما في البناء الذي ينتميان إليه.إن في العربية أو في العبرية.

6.2.1. المماثلة الرجعية الكلية المنفصلة:

وخير مثال لهذه المماثلة فيما- نرى- كلمة: (مُنْذُ) العربية، فأصلها "(مِنْ+ذُو) فقلبت كسرة الميم ضمة، تأثّرا بضمّة الذّال بعدها، ويخطئ من يرى أنّ الذّال في مُنْذُ ضمّة إتباعا لحركة الميم، ولم يعتدّ بالنون حاجزا"[2].

7.2.1. المماثلة الرجعية الجزئية المتصلة:

يرى بروكلمان أنّه "في كل اللغات السامية، يتأثّر النطق الحيّ، الصوت المهموس بما بعده المجهور فيجهر، وكذلك العكس؛ إذ يتأثّر الصوت المجهور بما بعده فيُهمس مثلُه. وكذلك تتأثّر النون في

[1]- ينظر: فقه اللغات السامية:60- 61.

[2]- التطور اللغوي: 43.

النطق، بأصوات الشفة التي بعدها، فتتحوّل إلى ميم، كما تتأثر الميم بما بعدها من الأصوات الأسنانية، فتتحوّل إلى (نون)".[1]

– ففي العربية تتأثر النون الساكنة أو نون التنوين بالباء التالية لها، فتبدل إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم، فهو شفهي كالباء، وهذا الذي أطلق عليه علماء القراءات العرب مصطلح "الإقلاب" نحو قوله تعالى: ﴿...إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ **[الملك: 14]** وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ **[الشمس: 12]**. وكقول العامّة (مِمْبر) في (مِنْبر).[2]

وتفسيره؛ إنّه لما كان هذا التتابع (نْ + ب) مستثقلا، بل متعذرا على النطق لمن رام تحقيقه[3]؛ لتباعد الصوتين مخرجا، وتنافرهما، اتخذت العربية سبيلا معينا في معالجة ذاك الثقل، فعمدت إلى التقريب بينهما وذلك بجعل الثاني يؤثر في الصوت الأول، فتبدل النون صوتا يتفق مع الباء مخرجا، إذ كلاهما شفهي، ويربطه بالنون وحدة المجرى. إضافة إلى اشتراكهما في الغنة وهو صوت الميم. فالميم إذن متوسطة بين الباء والنون[4]. فبدلا من نطق "انبعث" بالنون تؤدى "امبعث"، بالميم، فيخف بذلك

[1]– فقه اللغات السامية: 57.

[2]– ينظر: ينظر التطور اللغوي:47، وفقه اللغات السامية: 57.

[3]– ينظر: السيرافي النحوي، في ضوء شرح الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد المنعم فائز، دار الفكر دمشق، ط1، 1403هـ/1983م: 576.

[4]–نفسه:576.

النطق ويتيسر. وهذا الإبدال أدائي فقط، تضبطه المشافهة والسماع لا الرسم[1]. وتسمى هذه المماثلة عند بعض الدارسين المحدثين بالمماثلة المخرجية؛[2] لأنها أدت إلى اشتراك الصوتين في مخرج واحد.

وأمّا في العبرية فنجد كلمة שבת (ضرب) التي تتحول فيها السين التي قبل الباء إلى زاي؛ نحو ماضي الفعل ضرب: שבתה<צבתה، وفي المضارع نحو: ישבת<יצבת.[3]

8.2.1. المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة: ومن أمثلتها:

- تأثّر الصاد بالراء قبلها إذ تبدل زايا في بعض قراءات القرآن الكريم، نحو: (زراط) في (صراط)[4].
- إبدال السين التي قبل الطاء صادا في بعض قراءات القرآن، "فقد روي عن ورش عن نافع: أم هم المصيطرون، ولست عليهم بمصيطر، بإخلاص الصاد"[5].

ويظهر أن السر في ميل العربية إلى التماثل بين أصواتها لتنقية مجاميعها الصوتية من كل تصدّع ألمّ بها، مرده إلى كونها نشأت لغة شفهية، لم تتقيد بقيود الكتابة إذ اكتفي فيها أول الأمر بالسماع والنطق،[6] ومتى اقتصر أمر اللغة على ذينك الأمرين فلا بد أن تكون عنايتها شديدة بكل ما يبعث التوافق والانسجام بين أصواتها.

---

[1]- ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي: 217.

[2]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 326.

[3]- ينظر: فقه اللغات السامية: 57.

[4]- ينظر: التطور اللغوي: 47.

[5]- نفسه: 48، وينظر: مقدّمتان في علوم القرآن، مقدمة كتاب المباني (نقلا عن نسخة وحيدة)، ومقدمة ابن عطية الأندلسي، صححهما ونشرهما المستشرق الدكتور: أرثر جفري، نشر مكتبة الخانجي، 1954: 148.

[6]- ينظر: اللهجات العربية في التراث: 267/1، وظواهر التشكيل الصوتي: 241.

2. المخالفة الصوتية (Dissimilation):

إن التماثل ليس هو السبيل الوحيد في إحداث التوافق والانسجام بين الصوتين المتنافرين لأنه قد ينشأ في تركيب ما، ما يؤدي إلى ثقل النطق بين صوتين متماثلين في كلمة من الكلمات، فتنحو اللغة منحى مغايرا، للفرار من ذلك الثقل والعسر الناتج من تماثل الصوتين، وهو سبيل التباعد والتخالف.

أ- مفهومها:

المخالفة ضرب من ضروب الإبدال، وهي في اللغة من خَلَفَ والخاء واللام والفاء أصول ثلاثة في اللغة العربية، أحدهما أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدّام، والثالث: التغيير[1].

أما في الاصطلاح، فيعرّفها أحد الدّارسين المحدثين بأنها قانون «يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فيُغيّر أحدهما إلى صوت آخر، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة وهي: اللام والميم والنون والراء»[2]، أو هي على حد تعبير أحمد مختار عمر: «تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام، بتأثير صوت مجاور،

[1]- ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح : عبد السلام محمد هارون،د ط، 1979، مادة (خلف): 2/ 342.
[2]-التطور اللغوي: 57.

ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين»[1]. ويراها غيرهما بأنها:«جنوح أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة إلى أن ينقلب إلى صوت مغاير»[2].

ولقد تفطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة، وكانوا يعبّرون عنها أحيانا بكراهية التضعيف أو كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد، أو اجتماع الأمثال مكروه أو استثقلوا اجتماع المثلين، وغير ذلك[3].

ب- أنواعها:

ونجد المخالفة الصوتية على أصناف وأشكال متنوعة يضيق المقام هنا لتفصيلها؛ لأننا أسهبنا في توضيح صور المماثلة قبلها، لذا سنكتفي بأبرز صور المخالفة دون تفصيل.

وهذا التخالف هو الأخر كما يحدث بين الصوامت، يحدث كذلك بين الصوائت، كما يحدث أيضا فيما بين الصوامت والصوائت، وقد تكون هذه الأصوات متصلة كما قد تكون منفصلة.

❖ صور المخالفة الصوتية في الكلمة بين العربية والعبرية:

- ومثال المخالفة بين السامية والعربية، "كلمة "شمس" فهي في السامية الأولى: "شمش" (שמש) كما في الأكّادية والعبرية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أنّ الشين في السامية الأم،

[1]- دراسة الصوت اللغوي: 329.

[2]- في الأصوات اللغوية: 283.

[3]- ينظر: التطور اللغوي: 62.

أبدلت سينا وهذا من التغييرات التاريخية التي سبق أن تحدّثنا عنها من قبلُ، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية "سمس"، غير أنّ المخالفة بين السينين أدّت إلى قلب الأولى شينا[1].

- وكذلك كلمتا "سنبلة وقنفد" وقعتا في العربية عن طريق المخالفة الصوتية من كلمتين كانت الباء فيهما مدغمة "فسنبلة يوافقها في العبرية שבולת وقنفد يوافقه في العبرية קפוד"[2].
- ومثله كلمات: دينار من دنّار، وقيراط من قرّاط، وديماس من دمّاس وغيرها؛ بدليل جمعها: دنانير وقراريط ودماميس على التوالي[3]. نحو ذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿...وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ...﴾ **[البقرة: 281]**؛ ومثلُها: "ديباج فيمن قال دبابيج وشيراز فيمن قال: شرارِيز. وقد جاء مع الفتحة استثقالا بالتضعيف وحده... وقد قلبوا الثاني منها فقالوا في أملَلْتُ أمليتُ"[4].
- ثمّ "كان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في: إجّاص للكمثري: إنجاص، وفي أترجّ أُتْرُنْج"[5] يخالفون الصوت المدغم بالنون.

---

[1]- التطور اللغوي: 57-58.

[2]- دروس في علم أصوات العربية: 46. وينظر: التطور اللغوي: 58.

[3]- ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجّار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، دار سزكين للطباعة والنشر، 1986: 283/1. والتطور اللغوي:58.

[4]- المحتسب:284/1.

[5]- التطور اللغوي: 58-59.

– وكلمة عنوان تنطق علوان في بعض اللهجات[1] بإبدال النون لاما رغم وجود فاصل بين النونين إذ لا يلزم في المخالفة أن يكون الصوتان متصلين.

– في السامية العربية: كوكب مأخوذة من (كبكب)، كما في العبرية (כבכב) بإبدال الباء واوا مخالفة للباء الثانية.

هذا فيما بين الصوامت، وفيما بين الصوامت والصوائت، أمّا فيما بين الصوائت فنذكر:

– ما يجري في بعض الأبنية من تتابع من جنس واحد في الصوائت نحو: المخالفة بين صائتي الفتح المتتالين إذا كان أولهما من النوع الطويل، ومن ذلك ما يحدث في تشكيل بناء المثنى في حال الرفع، إذ الأصل فيه أن تكوننونه مفتوحة[2]، هكذا (ألف + نَ) نحو:

- تكذبانِ< تكذبانَ، ويلتقيانِ< يلتقيانَ، يبغيانِ < يبغيانَ (في الأفعال).
- جنّتانِ< جنّتانَ، عينانِ < عينانَ، مدهامّتانِ <مدهامّتانَ (في الأسماء).

وفيما يبدو إنّ التماثل الأصلي بين هذين الصوتين، قد شكل في الواقع صعوبة بالغة، وثقلا كرهت العربية وجوده، فكان لابد من تدخل هذا القانون لتضييق هذا المجال الصوتي لصائت الفتح، وذلك بقلب الثاني منهما إلى صائت كسر قصير تسهيلا وتيسيرا للنطق[3].

[1]- التطور اللغوي: 62.

[2]- ينظر: التطور اللغوي: 65، وظواهر التشكيل الصوتي: 261-262.

[3]- نفسه، وينظر: علم الصرف الصوتي: 367.

ولعلّ ما يرجّح كون نون المثنى قد كُسرت في الفصحى استجابة لتأثير قانون المخالفة ما يعتري الفعل المضارع المسند إلى نون التوكيد الثقيلة، حال التثنية نحو "يَضْرِبَانِّ" فهي مكسورة بسبب المخالفة، غير أنها مفتوحة- كما نعلم- في مثل قولهم: "لا تفعلنَّ ذاك، واضربنَّ زيداً"[1].

ومن وجوه المخالفة كذلك، ما يسمى (بالمخالفة الكمية) بين المقاطع الصوتية: ومن أمثلتها ما يحدث لصائت ضمير الغائب- أي الهاء- في حال الإفراد، إذ من المعلوم أن العربية تزيد في كمية هذا الصائت ليصبح طويلا إذا كان تاليا لمقطع قصير[2]، وتحدث له المماثلة الصوتية إن سبق بكسر، فتقلب ضمته كسرة ثم يزاد في كميتها لتجانس صائت الكسر قبلها نحو:

علَّمهُ البيان < علّمهو البيان، ولهُ الجوار < ولهو الجوارِ، ويسأله< يسألهو، وعن ذنبه< عن ذنبهي، ومقام ربه< مقام ربهي.

ونشير إلى أن هذه الصوائت وغيرها وإن كتبت ضمائرها بلا إشباع صوائتها إلا أنها تنطق على أصلها- أي بزيادة كميتها- في الوصل والإدراج، مثلما نسمع ذلك في القرآن الكريم، غير أنه إذا تبعها صامت ساكن من كلمة أخرى تتلوها فإنها في هذه الحال تنطق كما تكتب.

ويمكن أن تقاس ميم الإضمار على الهاء فيُمطّط صائتها القصير إشباعا[3]، وذلك في مثل: لكُمُو في لَكُمْ، وإن استطعتُمو في إن استطعتُمْ، وذلك في الوصل، أما عند الوقف فليس إلاّ إسكان

[1]- ينظر الكتاب: 509/3، والتطور اللغوي: 66، وظواهر التشكيل الصوتي: 262

[2]- ينظر: التطور اللغوي: 67.

[3]- ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي: 286.

الميم، وهذا ثابت في قراءة ورش عن نافع إلا ما يُستثنى من أمثلة أحصاها القراء، في مواضع معلومة من القرآن، لا مجال هنا لذكرها.

ومن آثار المخالفة أيضا، نذكر "من قواعد الصرفيين في العربية أنّ الواو تبدل همزة إذا تصدّرت قبل واو متحركة مطلقا، أو ساكنة متأصلة في الواوية، نحو" أواصل" و"أواق"، فإنّ الأصل فيها "وواصل" وكذلك "وواق"؛ لأنهما جمعان لكلمتي: واصلة و واقية، ففاء كلّ منهما واو[1].

والملاحظ في كلّ الأمثلة أنه لما كان المقطع السابق لمقطع الهاء، ومثله الميم، من النوع القصير، كرهت العربيّة اتباعه بأخر يساويه في الكمية " فعملت على المخالفة الكمية بينهما تيسيرا للنطق، واقتصادا في الجهد المبذول في إنتاج المقطعين[2].

ولا شك أن السبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين أو المقطعين المتشابهين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بها في نسق واحد[3]، ولتيسير هذا المجهود العضلي يتدخل هذا القانون للحد من تأثير هذا التماثل أو التشابه.

ويرى أحد الدّارسين أن العلة في التخالف"نفسية محضة"، نظيره الخطأ في النطق، فإنا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت صوامت شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها- قبل النطق بكلمة- تصورات الصوائت

[1]- ينظر: التطور اللغوي: 64.

[2]- ظواهر التشكيل الصوتي: 269.

[3]- ينظر: التطور اللغوي: 64.

اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه، بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها أصوات متشابهة[1].

❖ **بعض الملاحظات حول ظاهرتي المماثلة والمخالفة:**

1) هتان الظاهرتان، من أبرز الظواهر الصوتية التي تعتري الأبنية في التشكيل من حيث أنها هي المسؤولة عن إعادة التوازن، والاستقرار والتوافق إلى أصوات هذه الأبنية التي عصفت بها تقلبات السياق المختلفة.[2]

2) إنّ في اجتماع الأصوات المتنافرة استثقالا أكثر من اجتماع الأمثال، ولذا فقد تصرفت اللغة في كل حالات التنافر على حين أنها لم تتصرف إلا في بعض صور التماثل[3]، ومن هنا تبدو ظاهرة المخالفة نادرة بالنسبة للمماثلة[4]. ويتضح ذلك إذا قارنا صور المماثلة الوفيرة بتلك الصور القليلة الورود في المخالفة.

3) إن ظاهرتي المماثلة و المخالفة في المنظور اللغوي تهدف إلى "تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق، ولا تلقي بالا إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تطابق الصوتين، أما المخالفة فينظر إليها- عكس ذلك- على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة

[1]- ينظر: التطور النحوي: 34.

[2]- ينظر: ظواهر التشكيل الصوتي: 15.

[3]- ينظر: البناء الصوتي في سورة الكهف، دراسة صوتية و تشكيلية، إعداد: صباح دالي، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، من معهد اللغة العربية و آدابها، السنة الجامعية، 1422ه/2001م: 201.

[4]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 230، والتطور النحوي: 35.

بين الأصوات، و لا تلقي بالا إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين"[1].

4) لكل من المماثلة والمخالفة فاعليته وتأثيره، فهما يمثلان مسربين متعاكسي الاتجاه في المنظور اللغوي، يجذب كل واحد منهما التركيب صوب النهاية التي يحقق من خلالها هدفه وغايته، ومن صراعهما تتحقق السمة التوازنية اللغوية بين مطلب سهولة النطق، ومطلب سهولة التفريق بين المعاني[2].

5) إن التفسير الصوتي لهتين الظاهرتين يرجع دائما إلى قانون السهولة والتيسير في النطق، من أجل تحقيق التناسب والانسجام الصوتي[3].

[1]- دراسة الصوت اللغوي: 331.

[2]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 292.

[3]- ينظر: في أصوات العربية- دراسة تطبيقية-، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1422هـ-2001م: 88 و118.

3. الحذف:

يأتي الحذف غالبا لكراهة توالي الأمثال في الكلمة نحو:

- وَهُوَ < وَهْوَ، وَهِيَ < وَهْيَ؛ حيث تحذف أحيانا الضمّة غير المنبورة قبل الواو، والكسرة غير المنبورة أيضا[1].

- إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة كليّا في أول الكلمة؛ فإنّه يُكتَفى بواحد منهما، بسبب الارتباط الذهني بينهما، وكذلك يُدغم أحيانا المقطع ذو الأصوات الصّامتة المتماثلة في أوّل الكلمة وآخرها مع المقطع السابق له والمنتهي بصائت. وأحيانا يُعوّض في اللغات السامية فقدان المقطع في الحالة الأولى بتضعيف الصوت الصامت. وقد تمّ هذا الأمر في السامية الأولى، في صيغة الفعل الذي عينه ولامه سواء، مثل: رَدَدُوا < ردّوا. وإذا وقعت العين واللام في مقطع واحد، فلا يحدث الحذف إلّا في الآرامية والعربية نحو: أحْسَسْتُ< أحَسْتُ.[2]

- عند التقاء حرف المضارعة "التاء" مع تاء الوزنين: تفعَّل وتفاعَل؛ نحو: تَتَقاتلون < تَقاتَلون، وتتَذكرون < تذَكَّرون؛ إذ يُكتفى بتاء واحدة. وكذلك نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية قبل ياء المتكلّم، أو مع ضمير المتكلّمين[3] نحو: يقتلونَني < يقتلوني، ويقتلونَنا < يقتلونا، إنَّني < إنّي، وإنّنا < إنّا. وكذلك: بُنَيِّيَ< بُنَيَّ إلى غير ذلك.

---

[1]- فقه اللغات السامية: 79.

[2]- ينظر: السابق: 79، والتطور اللغوي: 72-74.

[3]- ينظر: فقه اللغات السامية: 79، والتطور اللغوي: 73-74، والمدخل إلى علم الأصوات: صلاح حسنين: 157.

– وفي العبرية تحوّل كلمة עבריים<עברים (عبريون)، ومימינם تنطق مِيِّمِنام من أصل (מיימינם)<מימנם تنطق (ميمِّنام) أي: (من أيمانهم).[1]

4. القلب المكاني:

القلب المكاني عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض، لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي، فهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير[2] نحو: قُوُوس < قُسُوو< قُسُوي < قُسِيّ < قِسِيّ. (بالمخالفة). فقد حدث القلب المكاني بين الواو والسين.

ولهذه الظاهرة أمثلة كثيرة في اللغة العربية الفصحى، فقد خصّص السيوطي في كتابه المزهر أمثلة تزيد عن مائة كلمة من هذا النوع مثل: جذب وجبذ، مكفهرّ ومكرهفّ، اضمحلّ وامضحلّ، لزج ولجز[3].

وإذا قارنّا العربية بالعبرية عثرنا على أمثلة حصل فيها هذا القلب المكاني، نحو:[4]

– (رُكبة) في العربية تقابلها في العبرية ברך فأصل الكلمة (بُركة) ثم أبدلت رُكبة بدليل بقاء الأصل في الفعل: بَرَكَ.

[1]– ينظر: فقه اللغات السامية: 79.

[2]– ينظر: التطور اللغوي: 89، وفقه اللغات السامية: 80.

[3]– ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: 277/2.

[4] – ينظر: التطور اللغوي: 90.

– كلمة "مَعَ" في العربية مقلوبة، وأصلها بتقديم العين على الميم؛ لأنّها في العبرية "עם" ومثلها في الآرامية.

– أمّا كلمة "ثَغْر" في العربية، بمعنى فتحة أو ثقب؛ فإنها تقابل في اللغة العبرية "שער"، والملاحظ في اللغات السامية أنّ الثاء العربية تقابلها الشين في العبرية والتاء في الآرامية، كما أنّ الغين في العربية تقابل العين في اللغتين العبرية والآرامية. ولكنّ الآرامية حدث فيها قلب مكاني في هذه الكلمة، فصارت (تَرْعة) واستُعيرت تلك الكلمة المقلوبة من الآرامية إلى العربية، وهي كلمة "تُرْعَة" أي شقّ أو فتحة في الأرض.

ونخلص من كل ما تقدم إلى أن ظاهرة القلب المكاني، كغيرها من الظواهر التوازنية الأخرى السابقة الذكر، "تستنجد بها اللغة إذا تسرب إلى أبنيتها ما يتنافى وذوقها الصوتي، أو يتعارض مع باقي أنظمتها اللغوية"[1].

[1]– ظواهر التشكيل الصوتي: 269.

ثانيا– الظواهر الأدائية:

بعد أن تعرفنا على الظواهر التشكيلية التي اعترت الكلمة العربية، ما المانع إذن من التعرف على ظواهر أخرى غير تشكيلية لا تقل أهمية عن سابقتها، فقد حظيت هي الأخرى على جانب كبير من العناية والدرس من قبل كثير من اللسانيين والباحثين في علم الأصوات.

وهذه الظواهر تختص بالجانب الأدائي للكلام المركب من مجاميع صوتية ذات أثر سمعي في هذه اللغة أو تلك، وتشمل: (المقطع والنبر، والتنغيم) وهذه لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية[1]، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وسنتناول كلا منها على حدة بالدراسة والشرح إن شاء الله.

1. المقطع الصوتي:Le Syllabe:

إذا كانت العناصر البسيطة التي تتكون منها الكلمة العربية هي الأصوات، وهي المادة الخام لأي حدث كلامي فإنه ثمة بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات مرحلة وسيطة هي مرحلة المقطع[2].

1.1. مفهوم المقطع:

المقطع في اللغة غاية ما قُطع يقال: مقطع الثوب ومقطع الرمل للذي لا رمل وراءه، ومقطع كل شيء و منقطعه آخره حيث ينقطع، و منقطع كل شيء حيث ينتهي إليه طرفة، وشراب لذيذ المقطع، أي الآخر والخاتمة. ومقاطع القرآن مواضع الوقوف فيه، وكل شيء يقطع منه فهو مقطع،

[1]- الأصوات اللغوية عبد الجليل: 213

[2]- ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 38.

وهو من الفصل من الأجزاء، والمقطع: موضع القطع[1].

أما في الاصطلاح: فليس من السهل تحديد مفهوم واحد وشامل للمقطع الصوتي وذلك لتعدد المنطلقات والاتجاهات التي ينتمي إليها كل دارس لساني في تعريفه للمقطع. وحسبنا اتجاهين بارزين للوقوف عند حدوده أحدهما صوتي والأخر تشكيلي (وظيفي). أمّا الاتجاه الصوتي فأهمّ تعريفاته ما يلي:[2]

- المقطع أصغر وحدة صوتية في تركيب الكلمة ومعنى هذا أنه يمثل "درجة أعلى من الفونيم في سلم الوحدات الصوتية الفونولوجية، لأن المقطع مكون من فونيمات مرتبة ترتيبا معينا بحسب كل لغة، والمقطع من هذه الوجهة شكل من أشكال تجمع الفونيمات وتوزعها في الكلام بين صامت وصائت"[3].

[1]- والحق إنه لم يوجد حتى الآن بحث حول المقطع كما نعرفه الآن: مقصود ومقعد. في أثار اللغويين القدامى، لكن ذلك لا يعني إنكار وجود درس من نوع ما في آثار أخرى لدى القدامى، ولا سيما الفلاسفة وعلماء الكلام، وإذا ما توسع الباحث في معطيات الدرس المقطعي من دون الالتفات إلى مصطلح، فإنه لا بد من أن يقف متلبثا عند نظام العروض العربي القائم على مبدأ الحركة والسكون، ليجد تطابقا لافتا للنظر بين هذا النظام من جهة، ونظام المقطع في الدرس الحديث من جهة أخرى. والذي يستحق التنويه في هذا المقام، تلك الطائفة من الفلاسفة والأطباء وعلماء الكلام، أولها: أبو النصر الفارابي (ت.339هـ)، والقاضي عبد الجبّار السد آبادي (ت.415هـ)، وابن سينا (ت.428هـ)، وابن رشد (ت.595هـ)، فهؤلاء، ما من شك في أن مفهوم المقطع كان معروفا عندهم، أي منذ القرن الرابع الهجري، ينظر في ذلك: مبادئ اللسانيات: 115-116.

[2]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 241، 243، والأصوات اللغوية عبد الجليل: 215 – 218، وعلم الصرف الصوتي: 99-100.

[3]- مبادئ اللسانيات: 109

- المقطع تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعته تقع بين حدين أدنيين من الإسماع[1].

- أو هو عبارة عن قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطعيا ذا حجم أعظم، يحيطه قطاعان ضعيفان من الناحية الصوتية[2].

وعلى ضوء هذه التعريفات يمكن تمثيل المقطع بالشكل الآتي:

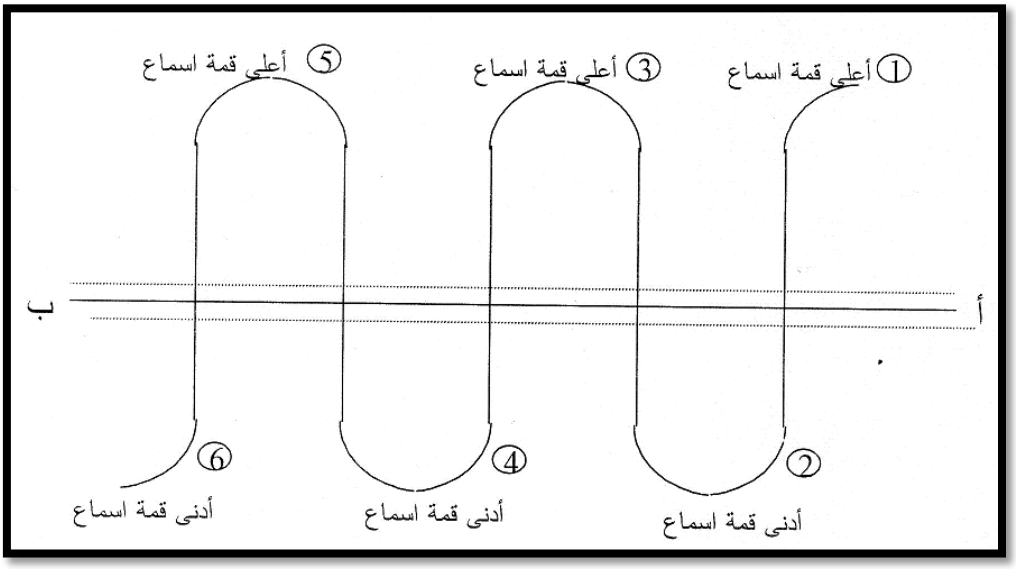

حيث يمثل الخط (ب) الوسط الذي ينتقل بواسطته الكلام.

وتمثل الأرقام (1، 3، 5) أعلى قمم إسماع.

وتمثل الأرقام (2، 4، 6) أدنى قمم إسماع.

والملاحظ في هذا الشكل أن للمقطع جزءان أساسيان أحدهما مرتفع والأخر منخفض.

[1]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 241، وعلم اللغة بين القديم والحديث: 112، وعلم الصرف الصوتي: 99.
[2]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 241، والأصوات اللغوية: عبد الجليل: 216.

أما الجزء المرتفع منه فهو للأصوات التي " تمتلك قوة إسماع عالية"[1]، ويمثلها صنف الصوائت وهي تحتل دائما القمم[2].

ولاحظ الدارسون المحدثون أن بعض الأصوات الصامتة وهي: اللام، الميم، النون، الراء قد ترد قمة للمقطع؛ لأنها تلي الصوائت في قوة الرنين ودرجة الوضوح السمعي. لهذا عدت هذه الأصوات المعروفة بالمائعة أصواتا مقطعية[3].

وأما الجزء المنخفض من الشكل، فهو لباقي الصوامت الأخرى، وتدخل معها أصوات اللين؛ إذ لا تقع قمما للمقطع بل قواعد له؛ لأنها تملك قوة إسماع خافتة، بل تكاد تكون معدومة في البعض منها[4]. وأما الاتجاه التشكيلي فيقرّر أن المقطع:

أ) وحدة تحتوي على صوت صائت واحد، مع صامت أو أكثر بنظام معين[5].

ب) أو هو "الوحدة الأساسية للكلمة، ويستعمل كجزء من مستوى التحليل الفونولوجي، ويشير إلى مجموعة من التتابعات المختلفة من الصوامت والصوائت مع ملامح أخرى مثل النبر والطول تهتم بها اللغات كمجموعة موحدة للتحليل[6].

---

[1]- في الأصوات اللغوية: 47.

[2]- ينظر: نفسه:47.

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 161، ومبادئ اللسانيات: 109–110

[4]- نفسه، وينظر: في الأصوات اللغوية: 46.

[5]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 243، وتربية الصوت وفن الإلقاء: 55؛ ومبادئ اللسانيات: 109.

[6]- علم اللغة بين القديم والحديث: 127.

ت) أو هو تلك " الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفته داخلها[1].

ويتألف المقطع من أقسام ثلاثة كما هو موضح قي الشكل التالي:[2]

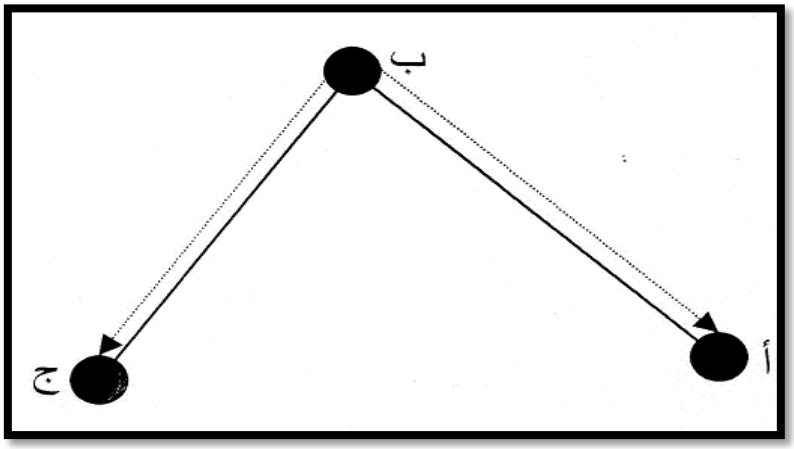

إذ يمثل الخط أ – ب التوتر المتصاعد، وتمثل النقطة الارتكازية العليا ب قمة الإسماع، أو نقطة الذروة في التوتر، بينما يمثل الخط ب – ج التوتر المتناقص أو التنازلي.

وعليه، يمكن تصور حدود المقطع على هذا النحو:

أ: الهامش الأول، استئناف ابتدائي للمقطع يتكون من صامت واحد.

ب: القمة أو نواة المقطع، ويمثله صوت صائت (صوت مقطعي).

ج: الهامش الثاني أو ذيل المقطع، ويكون من صامت واحد أو صوتين صامتين، أو قد يخلو من ذلك.

[1]- دراسة الصوت اللغوي: 243

[2]-ينظر: نفسه: 246- 247، والأصوات اللغوية، عبد الجليل: 217.

فالعربية إذن تقصر موقع القمة على الصوائت وحدها، كما تقصر مواقع الهوامش على الصوامت جميعها، لذلك تتبين المقاطع بالنظر إلى الصوائت، إذ لابد من وجود الصائت لتكوين المقطع[1]. وهذا حال اللغة العبرية نفسها.

وفيما يلي، نخرج بهذا المفهوم الذي يجمع وجهات مختلفة في تحديد حقيقة المقطع نختصره في التعريف الأتي: "المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية أو أشكال معينة"[2]. وبما أن المقطع يمثل الجانب الأدائي للحدث الكلامي المسموع، فإنه يعتمد في إنتاجه أساسا على الإيقاع التنفسي"[3]، ومعنى ذلك، أن كمال تحقيقه مرتبط بضغط عضلي من الصدر "فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يعبر عنه مقطع"[4].

❖ **في العربية:**

2.1. أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية:

من المعلوم أن المقطع الصوتي هو مزيج من صامت وصائت، وليس في العربية مقاطع متكونة من صوامت وحدها كما لا يمكن أن تتشكل من صوائت لوحدها. وللمقطع في العربية أنواع وأشكال

[1]- ينظر: مبادئ اللسانيات: 110.
[2]- مناهج البحث في اللغة: 170
[3]- المنهج الصوتي للبنية العربية: 38.
[4]-نفسه: 38.

مختلفة، فإذا نظرنا إلى موقع الصوت الصائت أو الصامت في نهاية المقطع، فإنه ينتج لدينا أشكال مختلفة الأوصاف، وإذا نظرنا إلى طوله وقصره، فإننا نخرج بأنواع تختلف كمياتها من مقطع لآخر:

– أقسام المقطع من حيث الشكل:

تنقسم المقاطع من حيث ما تنتهي به إلى ثلاثة أقسام:

أ. **المقطع المفتوح:** ويسمى كذلك، إذا انتهى بصائت قصير، أو طويل[1] فمثال الأول قولنا (بِ) المتكون من صامت وهو الباء، وصائت كسر قصير، ويرمز له بـ (ص م)•، ومثال الثاني قولنا (في) المكون من صامت وصائت كسر طويل، ويرمز له بـ (ص م). —

ب. **المقطع المغلق:** وهو ما انتهى بصامت واحد[2] نحو: مَنْ، وهَلْ، لَمْ. وتتكون هذه الأمثلة من صامت+ صائت كسر قصير+ صامت ساكن، ويرمز له:بـ(ص م ص)كما يرد هذا المقطع أيضا ممثلا في: صامت + صائت طويل + صامت، نحو: دانْ من دانٍ في حال الوقف، ويرمز له بالرمز: (ص م ص).

[1]– ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 191، والمحيط:1/ 21، والمصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، محمد رشاد الحمزاوي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1987: 158-159.

•– الرمز: (ص) يشير إلى الصامت، ويشير الرمز (م) إلى الصائت القصير، بينما الرمز (م) فنشير به إلى الصائت الطويل.

[2]–نفسه.

ج. المقطع المضاعف الإغلاق: إذا ما انتهى بصامتين متواليين[1] في الوقف، وقد يكون متكونا من صامت + صائت قصير + صامتين، نحو: شان، و يرمز له بـ (ص م ص ص)، كما قد يشتمل على صامت وصائت طويل متلوٍّ بصامتين نحو: جانّ، ويُرمز له بـ: (ص م ص ص).

– أقسام المقطع من حيث الكمية:

وينقسم من حيث الطول والقصر إلى ما يلي:

أ. المقطع القصير: وهو الذي يتألف من صوتين[2]: صامت + صائت قصير (ص م).

ب. المقطع المتوسط: وهو ما تألف من صامت وصائت طويل (ص م) نحو: (لا، ما، فى، ها)، أو من صامتين يتوسطهما صائت قصيرة (ص م ص) نحو: (مِنْ، هَلْ) وهذا النوع يُطلق عليه بعض اللغويين اسم المقطع الطويل بدل المتوسط[3].

ج. المقطع الطويل: ويطلق الدارسون المحدثون عليه اسم المديد أو المغرق في الطول[4]، ويتألف من (صامتين يتوسطهما صائت طويل) نحو: (فانْ، دانْ) أي: (صَ م ص)، أو من ثلاثة صوامت مع صائت قصير[5] نحو: (شَأْنْ) أي: (ص م ص ص)، أو صائت طويل نحو: (جانّ) أي: (صَ م ص

[1]– ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 191، والمحيط: 1/21، والمصطلحات اللغوية الحديثة: 158–159.

[2]– ينظر: المحيط: 1/21–22، ومبادئ اللسانيات: 111.

[3]– ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث: 113–114

[4]– ينظر: العربية الفصحى: 44.

[5]–البيان في روائع القرآن–دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني– تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413ه/1993م: 261

ص) وهذا المقطع الأخير مرهون بموقع معين، وربما حسُن أن يُسمّى مقطع الوقف لكونه لا يرد إلا عند الوقف•.

واستنادا إلى ما تقدم، نخلص إلى أن اللغة العربية استعملت ستة أنواع من المقاطع،نعرضها على الشكل التالي:[1]

- المقطع الأول: وهو **القصير المفتوح**= صامت+ صائت قصير، ورمزه: **(ص م)** نحو: (لِ، فَ).
- المقطع الثاني: وهو **المتوسط المفتوح**= صامت + صائت طويل، ورمزه: **(ص مَ)** نحو: (لا، في).
- المقطع الثالث: وهو **المتوسط المغلق** = صامت + صائت قصير + صامت، ورمزه: **(ص م ص)** نحو: (مِنْ).
- المقطع الرابع:وهو **الطويل المغلق** = صامت + صائت طويل + صامت، ورمزه: **(ص م ص)** نحو: (دانْ)
- المقطع الخامس: وهو **الطويل المضاعف الإغلاق** = صامت + صائت قصير + صامتين، ورمزه: **(ص م ص ص)** نحو: (شَأْنْ).

•- وهذا المقطع (ص م ص ص) لم يشر إليه كثير من الدارسين رغم وجوده في الكلام العربي، ولا سيما في قراءة القرآن، وقد تنبه إليه البعض منهم، ولكنهم لم يُدخلوه مع أنواع المقاطع العربية المعروفة، فهو محدود في كلمات معدودة نحو الوقف في ضالّ، ويشاق، وحادّ، وحاجّ، وجانّ.

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن: 260.

■ المقطع السادس: وهو مقطع الوقف• = صامت + صائت طويل +" صامتين، ورمزه: (**ص مَ صص**) نحو: (جانّْ).

فهذه الأنواع المقطعية الممكن تشكيلها في الكلام العربي، والأنواع الثلاثة الأولى منها هي الشائعة، وتمثل الكثرة الغالبة من الكلام العربي، وقد تقع في أول الكلمة، أوفي وسطها، أو في آخرها، فليس منها ما يختص بموضع ما من الكلمة، أما الثلاثة الأخرى فلا تكون إلا متطرفة في أواخر الكلمات، وحين الوقف[1]، وهذا ما سنلاحظه في العملية الإحصائية لمقاطع السورة النموذج بيد أننا قد نجد النوع الرابع منالمجموعة الأخيرة في كلمات محدودة غير متطرف، يكون مقتصرا فيها على شكل متكون من صوت مدغم بعد صائت طويل،كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ **[الرحمن: 13]**، و﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ **[الرحمن:63]**.

فتقطيع: وَخَلَقَ الْجَانَّ يوضح لنا ما يلي:

وَ+ خَ+ لَ+ قَلْ+ جانّ = ص م+ ص م+ ص م ص + ص م ص ص.

إذ نلفي هذا التركيب متكونا من ستة مقاطع توزعت على أربعة مقاطع من النوع الأول، ومقطع من النوع الثالث، وآخر من النوع الرابع في وسط الكلام المتصل، أما (مدْهامّتان) فتقطيعُها على هذا الشكل:

•- ونحن نطمئن لهذه التسمية التي أوردها تمام حسّان على ذلك النوع النادر مرن المقاطع، الذي استدركه في كتابه المذكور أعلاه.

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 165 و167.

مُدْ+ هامْ + مَ + تانْ = ص م ص+ ص مَ ص + ص م + ص مَ ص.

حيث اشتملت على أربعة مقاطع: مقطع واحد من النوع الأول. وواحد من النوع الثالث، ومقطعان من النّوع الرابع (ص مَ ص) أحدهما في موضع الوقف (تانْ) من آخر الكلمة، والآخر في وسط الكلمة (هامْ) غير متطرف. وتأتلف المقاطع من كل شكل من الأشكال لتكوين كلمات ذوات دلالات معجمية[1].

ولما كان الكلام متكونّا من عدّة مقاطع صوتية مترابطة فيما بينها لتشكل نظاما متسلسلاً، مركّبًا من مجاميع صوتية مرتبة ترتيبًا خاصا بهذه اللغة أو تلك، فإنه يمكننا أن نعتبر تلك السلسلة المقطعة المتضامة أجزاؤها في بعضها البعض، قد نسجت نسجا.

وللغة العربية نسيج متميز، فإذا نظرنا إلى الكلمة العربية من حيث بناؤها المقطعي، فإننا نلاحظ أن أقل ما تتركب منه هو مقطع واحد، وأن أكثره هو سبعة مقاطع، وليس وراء ذلك شيء[2].

إنّ معرفتنا لأنواع النُّسُج المستعملة في هذه اللّغة، يُسهّل علينا الحكم على نسيج الكلمة العربية، ونسيج ما ليس بعربيّ من الكلمات.

[1]- ينظر مبادئ اللسانيات:113.

[2]- ينظر: السابق: 112.

3.1. مميزات النسيج المقطعي في اللغة العربية وخصائصه:

إن دراسة النّسُج المقطعية للسان ما يقتضي أن نذكر ما يقبله هذا اللسان من النسج، وما لا يقبله. ويكشف الوقوف على مقاطع كل لغة الكثير من الخصائص التركيبية، ويُفسّر العديد من الظواهر الصرفية ذات المنشأ الصوتي، كما يوضح الأساس الذي انبثقت منه الأنماط النغمية والموسيقية للشعر،[1] لذا فقد دلّت دراسة المقطع في العربية الفصحى على عدد من الخصائص المهمة، منها:[2]

1) إن المقطع العربي لابدّ من أن يبدأ بصامت، وأن ينتهي بصائت لارتباطه به. فنظامُ اللغة العربية يعترف بإمكان افتتاح الكلمة العربية بصوت ساكن، ولكنه لا يجيز الابتداء به، لأن الذوق العربي لا يرضى بذلك، فإذا قلنا: (أُنْفُذُوا) فإن أول صوت من أصوات الكلمة هو النون الساكنة، أما الألف فليست من بنية الكلمة.

ولما كانت كلمة (انفُذُوا) في حال الوصل بحاجة إلى الاستعانة بهمزة وصل" وهي وسيلة صوتية طارئة"[3] يتوصل بها إلى نطق أول الكلمة، أصبحت المقاطع الاستعمالية (أي الصوتية) للكلمة على النحو التالي: (أُنْ – فُ – ذو).

ولو وقعت الكلمة في الوسط، فلم يبدأ بها السياق لكان على الصوت الذي قبل النون الساكنة، أن يحمل الصائت الذي كان للهمزة التي بُدِئ بها الكلام من قبل، وأن يُكوِّن هذا الصوت

---

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 169.

[2]- ينظر: العربية الفصحى: 43 –46، والمنهج الصوتي البنية العربية: 41–43، ودراسة الصوت اللغوي: 261- 264، والمحيط: ا/51 -50.

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب: 278.

مع النون مقطعا واحدا، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلِانسِ إِنِ إِسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنَ اَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ فَانفُذُواْ...﴾ **[الرحمن:31]**؛ أي أن الفاء حلّت محل همزة الوصل في المقطع (فَنْ) (ص م ص).

ويأتي هذا المقطع (مقطع الوصل) في أسماء بعينها، وفي أداة التعريف، وفي ماضي الخماسي والسداسي، وأمرهما، ومصدرهما، وأمر الفعل الثلاثي، على صورة المتوسط المغلق (ص م ص):[1]

- ص = همزة الوصل أو آخر صوت من الكلمة السابقة.
- م = الصّائت.
- ص= الساكن الذي توصلنا إلى النطق به بواسطة الهمزة أو آخر الكلمة السابقة.

2) المقطع العربي لا يبدأ بصائت مهما يكن موقعه، بعكس المقطع في الإنجليزية أو في الفرنسية.

3) لا يجوز أن يبدأ المقطع بصامتين متواليين، ولا يتكون منهما.

4) لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق على أربعة إلاّ نادرا.

5) أكثر ما يُمكن للكلمة أن تتركب منه هو سبعة مقاطع مع كل زيادة نحو: (فَسَيَكْفِيكَهُمو) ص م + ص م + ص م ص + ص مَ + ص م + صم + ص مَ.

6) أقل ما تتركب منه الكلمة هو مقطع واحد.

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن: 258- 259 و261، واللغة العربية معناها ومبناها: 277.

7) لا يجوز تكرار المقطع الثاني (ص مَ) في كلمة مجردة ثلاث مرات.

8) لا يجوز للمقطعين الخامس والسادس أن يقعا صدرا في كلمة أو حشوا فيها؛ لأنهما خاصان بالوقف.

9) إن صوت اللين- سواء أكان واويًا أم يائيا- يحلّ محل الصامت في التوزيع المقطعي، مما يدل على تماثلهما في المسلك، إذ أن كلاً منهما يُؤدّي دور قاعدة مقطع.[1]

فلو أخذنا كلمة (يَوْم) مثلاً من قوله تعالى: وقمنا بتقطيعها، لوجدنا أنها تتكون من مقطعين (يَوْ = ص م ص) + (مِنْ = ص م ص). كلاهما من النوع الثالث ؛ أي المتوسط المغلق، و الواو الساكنة المسبوقة بفتح هنا، قد حلّت محل الصّامت في هذا السلوك.

وهذا النوع من الأصوات -أي الواو ومثلها الياء إذا جاءتا ساكنتين مسبوقتين بفتح- لما كان يقبل الإدغام نحو: (أَيُّهَ < أَيْيُهَ)، فإنه يكون أقرب إلى الصوامت منها إلى الصوائت. وتسمّى أنصاف صوامت لا أنصاف صوائت. وهذا كاف- في نظرنا- من ناحية الخصائص الوظيفية التي يؤديها هذا الصوت (أي صوت اللين) لأَنْ يتصرف تصرف الصوامت تماما في النظام المقطعي العربي، أو التأليف الصوتي، ومن ثَمّ يكون قادرا للتبادل الموقعي بينه وبين الصوامت الأخرى.

10) قد يترتّب على سقوط الهمزة من كلمة ما، تغير في الشكل المقطعي. ولكن كمّها لم يتغير[2].

[1]- يُنظر: في الأصوات اللغوية: 246

[2]- ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة: 191.

فعبارة: (والأرض) تقطع أساسا هكذا:

وَلْ / أَرْ / ضَ =ص م ص+ ص م ص + ص م.

وتقطّع بعد سقوط الهمزة ونقل صائتها إلى لام التعريف الساكنة قبلها لمن يسهّل الهمز هكذا:

وَ / لَرْ / ضَ = ص م + ص م ص+ ص م. كما في قوله تعالى: ﴿ وَالاَرْضَ وَضَعَهَا لِلاَنَامِ﴾ **[الرحمن: 08]**. و هذا وجه قراءة ورش ؛ لأنه كان ينقل "الحركة إلى لام المعرفة في جميع القرآن"[1].

ومن هنا يتبين أن التغير الذي أحدثه سقوط الهمزة، إنما هو انفتاح المقطع الأول، وتغير عناصر المقطع الثاني، بأن حلّت اللام محل الهمزة.

[1]- النشر: 417/1.

❖ **في العبريّة:**

1- مفهوم المقطع في اللغة العبرية:

يتكوّن المقطع في اللغة العبرية من صامت وصائت في أبسط صوره، "فكلّ حرف محرّك بإحدى الحركات، أو كلّ مجموعة من الأحرف محرّكة بحركة واحدة تدعى مقطعا (הברה). وينطق بالمقطع كأنّه كلمة مستقلّة. وكلّ كلمة تتألّف من مقطع واحد أو أكثر، بعدد ما تحتويه من حركات. فالكلمات: שם (اسم)، פה (فم)، פיל (فيل)، هي ذات مقطع واحد. والكلمات: יפה (جميل)، ענן (سحاب)، שכן (جار) هي ذات مقطعين. وكلمة יכתבו (يكتبون) مؤلّفة من ثلاثة مقاطع، وكلمة ומאכילהו (ومطعمُهُ) مؤلّفة من ستة مقاطع"[1].

2- أنواع المقاطع في اللغة العبرية:

تنقسم المقاطع في العبرية على نوعين:[2]

2-1. مقطع بسيط: وهو الحرف المحرّك الذي ليس متلوّا بحرف ساكن ولا بحرف مشدّد مثل: אחי (أخي)، وקנית (اشتريت)، وבך (بك).

2-2. مقطع مركب: وهو الحرف المحرّك بحركة ما متلوّا بحرف ساكن أو حرف مشدّد مثل: גלגל (دولاب)، وאורוה (اصطبل)، وצפור (عصفور)، ונגר (نجّار).

[1]- دروس اللغة العبرية: 79.

[2]- نفسه: 79.

نلاحظ من التقسيم المقطعي للغة العبرية ما يلي:

- المقطع البسيط يعادل في نوعه المقطع القصير العربي: (ص م).
- المقطع المركب يماثل المقطع المتوسط في العربية المفتوح والمغلق (ص مَ) و (ص م ص).
- لا يبتدئ المقطع في العبرية بصائت.

إنّ في دراسة الأنظمة المقطعية لأي لغة من اللغات أهمية ترجع إلى عدة أسباب منها:[1]

1) المقطع يعد أساسا متينا من أسس التحليل اللغوي.

2) إن المقطع هو المجال الحيوي الذي تنتظم فيه الأصوات أو الفونيمات حسب نظام كل لغة.

3) إن المقطع أحد العوامل الرئيسة التي تعتمد في اكتساب طريقة النطق المماثلة لأهل اللغة، لأن النطق المقطعي المتدرج يمنح المتكلم (أو المتعلم) فرصة أفضل في التدريب والمران.

4) إن البعض من طرق الكتابة قد يعتمد أساسا على الجانب المقطعي.

واستناداً إلى ما سبق يمكن القول: إن دراسة الأنظمة المقطعية، تعد بحق، من المباحث المحدّدة في ميدان الدرس اللساني، خاصة في النظامين الصوتي والصرفي، وقد أثمرت نتائج وجّهت الجوانب التحليلية والتحويلية والتوليدية للغة صوب منظورات جديدة[2].

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 214-215.

[2]- ينظر: نفسه: 213

3- النَّبْرُ (L'accent):

تتألف الكلمة –كما أسلفنا– من أصوات متتابعة على هيئة مقاطع وثيقة الاتصال، لكن، لا يتم نطق عناصرها هذه بنفس القوة في الإسماع؛ لأنه قد يبرز أحد مقاطعها بحسب الموقع الذي يقع فيه، فينطق بصوت أوضح في السمع من غيره، وأعلى رنينا. وهذا البروز هو الذي يطلق عليه المحدثون من اللغويين اسم "النبر".

3-1. مفهومه:

لقد علمنا–فيما سبق– بأن النّبر أحد الفونيمات غير التشكيلية المرتبطة بالأداء الصوتي، وهي لا تدخل في جوهر البنية التركيبية للوحدة اللغوية، أي أنه لا يستخدم كغيره من الفونيمات التركيبية للغة العربية؛ لأنه– كما يبدو– لم يستعمل للتفريق بين المعاني الصرفية، ولا بين المعاني الدلالية على صعيد الكلمة المفردة، ولكن هذا لا يعني أن ننفي وجوده في اللغة، فلا تكاد تخلو منه أي لغة•.

والنبر في اللغة من نبرْتَ الشيء إذا رفعته[1]، أما في الاصطلاح، فهو وضوح نسبي لصوت أو لمقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ومعنى هذا، أن المتكلم حين ينطق بالمقطع المنبور فإنه يبذل جهدا أكبر، وطاقة أكثر نسبيا من النطق بمقاطع أخرى مجاورة له؛ لأن النطق حين

•– لذا فإنه من المبالغة الجزم بأن "نبر الكلمة فكرة مجهولة تماما لدى نحاة العرب، بل لم نجد له اسما في سائر مصطلحاتهم" العربية الفصحى: 49، وينظر: دروس في علم أصوات العربية: 195، والتطور النحوي: 72؛ لأن هناك إشارات مهمة للنبر مصطلحا ومفهوما لدى علماء وفلاسفة كابن سينا في مواضع متعددة من آثاره. وقد لا يدل عدم تخصيص النبر بحيّز خاص لدى علماء اللغة القدامى بالضرورة على أنهم جهلوه جهلا تاما، أو أن آثارهم تخلو منه، لأن هناك فرقا بين درس الظاهرة اللغوية وتوظيفها من جهة، وعدم الإلمام بها أصلا من جهة أخرى. ينظر في ذلك: مبادئ اللسانيات: 117.

[1]– ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1385هـ/1965م: 614.

النبر يصحبه نشاط كبير في أعضاء النطق جميعا في وقت واحد، ويترتب على ذلك أن الصوت يغدو عاليا وواضحا في السمع[1].

وتختلف اللغات عادة في موضع النبر من الكلمة، فمنها ما يخضع لقانون خاص بمواضع النبر في كلماته كالعربية والفرنسية، ومنها ما لا يكاد يخضع لقاعدة ما في هذا كالإنجليزية مثلا[2].

❖ **في العربيّة:**

يرى أحد الدارسين أن النبر في الكلمات العربية من وظيفة الصيغة الصرفية، فصيغة (فاعل) مثلا يقع النبر فيها على الفاء (فا)، وصيغة (مفعول) وكل ما جاء على مثالها يقع فيها على العين (عو)، وصيغة (مستفعل) يقع النبر فيها على التاء (تف). أما نبر الجمل أو نبر السياق فليس مرتبطا بالصيغ الصرفية؛ لأنه نبر ذو وظائف نحوية[3].

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن النبر في العربية الفصحى المسموعة ولا سيما في قراءة القرآن له موضع ثابت مرتبط بعدد من المقاطع وأنواعها[4].

3-2. قواعد النّبر:

[1]- ينظر: مناهج البحث: 194، والأصوات اللغوية، أنيس: 170، والأصوات: 162 ودراسة الصوت اللغوي: 188، ومدخل إلى علم الأصوات: 46، ومبادئ اللسانيات: 116.

[2]- ينظر: الأصوات للغوية، أنيس: 171.

[3]- ينظر: مناهج البحث: 194–195

[4]- ينظر: الأصوات للغوية، أنيس: 172، ومبادئ اللسانيات: 117.

قبل عرض ضوابط النبر في الكلمات العربية ينبغي الانتباه إلى الأمور الآتية:[1]

• لا تحسب (ال) التعريف في مقاطع الكلمة.

• كل ما يلحق الكلمة من ضمائر متصلة، أو ما يسبقها من حروف المضارعة يدخل فيها أثناء عدّ المقاطع.

• يحدّد موقع النبر على أساس أن الكلمة منطوقة في حال الوصل، وبعد التحديد لا يهم أن ننطقها موصولة أو موقوفا عليها بالسكون؛ لأن موقع النبر لا يتغير بين وصل ووقف.

• أثناء تحديد مواقع النبر يكون العدّ من نهاية الكلمة إلى بدايتها، أي يتم بصورة عكسية. ومن قواعد النبر في العربية ما يلي:[2]

1) يقع النبر في الكلمات الأحادية المقطع على مقطعها الوحيد أيا كان شكله مثل الوقف على: شأن، وعلم، وفان، وجان، ولم، ومن...الخ.

2) يقع النبر في الكلمات الثنائية المقطع على مقطعها الثاني (ويجري العدّ كما قلنا من الأخير إلى البداية)؛ لأن الأول لا يُنْبَر في العربية مطلقا أيًا كان شكله، إلا في حالة ما إذا كان هو المقطع الوحيد في الكلمة نحو:

ألَّا= **أل**+لا، منه= **مِنْ**+ هُ، فيه= **في**+ هِ.

[1]- ينظر: المحيط: 53/1.

[2]- نفسه: 54/1، ومبادئ اللسانيات: 8.

نارٌ= **نا**+ رُن، رَبٌّ= **رَ**+ بُن، يَوْمٌ= **يَوْ**+ مُن.

3) يقع النبر في الكلمة الثلاثية المقطع أو أكثر على مقطعها الثاني إذا كان متوسطا أو طويلا نحو:

صلصالٍ= صَلْ+**صا**+ لٍ، المشرقين= مَشْ+ رِ+ **قَيْ**+ نِ.

4) يقع النبر في الكلمة المؤلفة من ثلاثة مقاطع أو أكثر على مقطعها الثالث أيا كان شكله، إذا كان الثانى منها قصيرا نحو:

عَلّمَ= **عَلْ**+لَ+مَ، وخَلَقَ= **خَ**+ لَ+ قَ، وفاكِهَةٌ= فا+ **كِ**+ هَ+ تُن.

5) لا يتعدى النبر المقطع الثالث أبدا[1].

وبناءً على ما سبق، يمكن القول؛ "إن كلمات اللغة العربية لا تملك درجة واحدة ذات مستوى نبري واحد، وإنما تتفاوت مقاطع الوحدة الدلالية في قدرتها على البروز والعلو". ذلك لأن هناك درجات وأنواع من النبر ميّز بينها المحدثون متكئين على مبدأ الوضوح والبروز والارتكاز للمقاطع، وأكثرها استخداما هو:[2]

1) النبر القوي أو الأولي أو الرئيسي، وعلامته: (^).

2) النبر المتوسط أو الثانوي، وعلامته:(–).

3) النبر الضعيف، وعلامته: (ا).

[1]– ينظر: الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 243

[2]– ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 189، والأصوات اللغوية، عبد الجليل: 251–252.

مع العلم أن هذه العلامات التي تميز أنواع النبر، توضع فوق نواة المقطع؛ أي فوق الصوت الصائت أثناء التقطيع المقطعي هكذاَ: يَوْمَ = ص م^ ص + ص م.

❖ في العبريّة:

أمّا الكلمات في العبرية فالنبر (הנגינה) فيها على نوعين "ممدودة الصدر (מלעיל) وممدودة العجز (מלרע). ومعظم الكلمات ينتمي إلى النوع الثاني، أي الممدود العجز؛ أي أنّ النبرة تقع على المقطع الأخير من كلمة تتألّف من مقطعين أو أكثر مثل: עשה (صنع) وשדה (حقل) وאברהם (إبراهيم). ففي النطق بالمقطع الأخير من الكلمة، بينما تنطق سائر المقاطع مخطوفة. ويرمز إلى هذه النبرة بالميتغ (מחג) وهو عبارة عن خطيط عمودي يوضع على يسار الحركة مثل: קרא و ששמע"[1].

4- التنغيم (L'intonation):

[1]- دروس اللغة العبرية: 89.

تقتضي طبيعة النظام الصوتي لأي لغة أثناء الأداء الفعلي للكلام التدرج من الإيقاع المفرد، ونقصد به ذلك الأثر السمعي الناتج عن ترادف أصوات ومقاطع في كلمات مفردة، ثمّ الوصول إلى الإيقاع المركب، والمقصود به توالي تلك الكلمات المتضامّة أصواتُها ومقاطعها ببعضها البعض لتنشئ جملاً أو عبارات من شأنها أن تحمل تتابعات إيقاعية مختلفة الدرجات الصوتية تتخلل الكلام كلّه.

إنّ الكلام لا يجري على طبقة صوتية واحدة، بل يرتفع الصوت ويعلو عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيرها، وذلك ما يُعرف باسم "التنغيم"[1].

4-1. مفهوم التنغيم:

التنغيم هو تنوع الأصوات بين الارتفاع والانخفاض أثناء الكلام، نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين فيؤدي ذلك إلى تشكيل نغمات موسيقية[2]. لذا يُطلق عليه أيضا "موسيقى الكلام"[3].

ويفرق بعض الدارسين بين نوعين من اختلاف درجة الصوت هما:[4]

أ. **النغمة:** وهي ذلك الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على صعيد الكلمة.

ب. **التنغيم:** وهو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة؛ أي هو تلك التتابعات المطّردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة. وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة.

[1]- ينظر: البيان في روائع القرآن: 262.

[2]- ينظر: مناهج البحث: 198، ومدخل إلى علم الأصوات:135

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس: 176

[4]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 191 – 192 و 194، ومبادئ اللسانيات: 119.

ولعلّ الفرق بين هذين النوعين يظهر جليا حين يرى الدارس أن هناك بعض اللغات تدعى باللغات النغمية، وهي لغات يتحدد معنى الكلمة فيها عن طريق النغمة: لأنها تعتمدها كفونيم مفرق بين معنى وآخر من معاني الكلمة، وهو ما يُدعى بالتونيم (Tonème) حيث أن الاختلاف بين درجة الصوت على الكلمة المنطوقة هو المسؤول عن تحديد معناها. ومثال ذلك اللغات الصينية، والنرويجية والسويدية، وبعض اللغات الهندية الأمريكية. على حين أن معظم اللغات المعروفة يمكن أن تدعى لغات تنغيمية؛ لأن التنغيم على مستوى الجملة موجود فيها؛ إذ أن الجملة تتعدد دلالاتها باختلاف التنغيمات التي تنطق بها. وللتنغيم وظائف نحوية كالتوكيد والاستفهام والتعجب ونحو ذلك[1].

وتبرز أهمية التنغيم في تأديته الوظائف النحوية والقيم الدلالية في الفعل الكلامي التي بها يتم معرفة المعاني المختلفة. فهو الذي يفرق بين أساليب التقرير والتوكيد، والتعجب والاستفهام، والنفي والإنكار، وبين الإغراء والتحذير، والنداء والشرط، والزجر والتهكم، إلى غير ذلك، عن طريق التوزيع في الدرجات التنغيمية[2].

وللنغمة من حيث الدرجة أربعة أنواع:[3]

1) النغمة المنخفضة.

[1]- ينظر: مبادئ اللسانيات: 119 – 120.

[2]ينظر: الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 257

[3]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 193، ومبادئ اللسانيات: 120

2) النغمة العادية.

3) النغمة العالية.

4) النغمة العالية جدا أو فوق العالية.

ووصف النغمات بالانخفاض والعلو راجع إلى عدد الذبذبات الصوتية، فدرجة النغمة تعلو كلما ازداد عدد الذبذبات.

ويمكن تصوير التنغيم في سلسلة الحدث الكلامي بالشكل الأتي:[1]

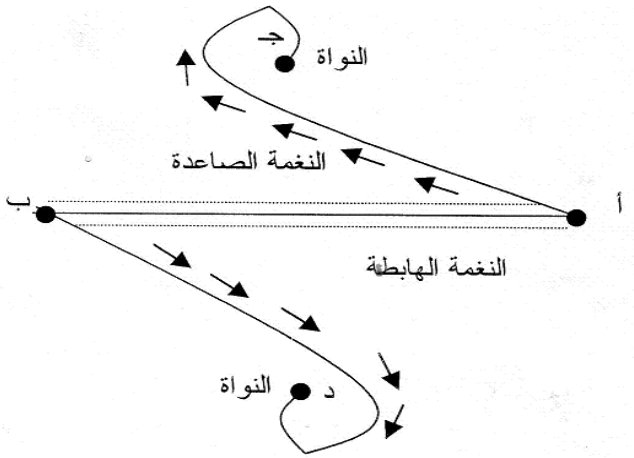

حيث تمثل النقطتان: (أ ج) النغمة الصاعدة في التيار الكلامي، وهي التي تنتهي بأعلى قمة إسماع، وإن النقطة (ج) تمثل نواة المقطع (وهو الصائت) الذي يقع عليه أثر التنغيم لتحقيق الغرض القصدي.

أما النقطتان (ب د) فإنهما تمثلان النغمة الهابطة في تيار الكلام.

[1]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 257.

حيث تمثل (ب) ابتداءها، و (د) نواة المقطع الذي يحمل درجة التنغيم.

وإذا نظرنا إلى النغمة من حيث الثبات والتغير في صعودها وهبوطها فلها الأنواع التالية:[1]

1) النغمة المستوية إذا كانت ثابتة، ورمزها في الكتابة التنغيمية هو: (-)

2) النغمة الصاعدة، إذا اتجهت نحو الأعلى ورمزها هو: ( )

3) النغمة الهابطة، إذا اتجهت إلى الأسفل، ورمزها هو: ( )

4) النغمة الصاعدة الهابطة، إذا صعدت ثم هبطت، ورمزها هو: ( )

5) النغمة الهابطة الصاعدة، إذا نزلت ثم صعدت، ورمزها هو: ( )

وتجدر الإشارة إلى أن الصعود والهبوط لابد أن يُصاحب النبر على حين أن الاستواء أو الثبات يكون مع النبر أو بدونه[2].

ومن هنا تبدو علاقة النبر بالتنغيم وثيقة الصلة فيما بينهما وأنّ "العلاقة بينهما تلازمية"[3] فمثلاً إذا قلنا: هذا المقطع منبور، فمعنى ذلك أنه يحمل نغمات أكثر من المقطع غير المنبور وهذا راجع طبعا إلى طبيعة المقطع الصوتية والموقعية. ومما يؤكد ذلك، ارتباطهما بالمقاطع الصوتية لأنها تمثل المجال الحيوي الذي يتضمنهما ويبرز فاعليتهما.

[1]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 193

[2]- ينظر: مبادئ اللسانيات: 120.

[3]- ينظر: الأصوات اللغوية، عبد الجليل: 256.

وقد اجتهد تمام حسان في دراسة التنغيم، وتوصل إلى النماذج التنغيمية للعربية الفصحى، وهي التي سماها بـ:" الموازين التنغيمية" ورأى أنه ينبغي تحديد المصطلحات الدالة على التنغيم قبل وصفه، وتقعيده، وقد وقف على مصطلحات متعددة في هذا الصدد منها:[1]

- **شكل النغمة**: وهو إما صاعد، وإما هابط، وإما ثابت.
- **المدى**: وهو المسافة بين أعلى نغمة وأخفضها سعة وضيقا، وينقسم المدى إلى ثلاثة أقسام هي:

  * **المدى الإيجابي**: ويستعمل في الكلام الذي تصحبه إثارة قوية.

  * **المدى السلبي**: الذي يُستعمل في الحزن وما أشبهه من عاطفة هابطة.

  * **المدى النسبي**: ويستعمل في الكلام غير العاطفي، وهو يتوسط المديين السابقين.

- **اللحن**: وهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية على الصعيد الأفقي.
- **الميزان**: وهو النموذج التنغيمي الذي يشمل المدى و اللحن. وبالنظر إلى ما تقدم حدّد تمام حسان النماذج أو الموازين التالية للتنغيم في العربية: [2]

• **الإيجابي الهابط**، ويُستعمل في تأكيد الإثبات، وتأكيد الاستفهام بكيف وأين ومتى، وبقية الأدوات عدا الهمزة وهل، مثل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ **[الرحمن: 14]**.

[1]- ينظر: مناهج البحث: 198 – 200.

[2]- ينظر: مناهج البحث: 199 – 203

• **الإيجابي الصاعد،** ويُستعمل في تأكيد الاستفهام بهل أو بالهمزة.

• **النسبي الهابط،** ويُستعمل في الإثبات غير المؤكد كالكلام الجاري في التحية والنداء وتفصيل المعدودات، مثل قوله سبحانه: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلِانسِ إِنِ إِسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنَ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلاَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَـٰنٍ﴾ **[الرحمن: 31]**.

• **النسبي الصاعد،** ويُستعمل في الاستفهام بلا أداة أو بهل والهمزة، نحو: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

• **السلبي الهابط،** ويُستعمل في الكلام الجاري في الأسف والتحسر والتسليم، مع خفض الصوت.

• **السلبي الصاعد،** ويُستعمل في التمني والعتاب، مع نغمة ثابتة أعلى مما قبلها.

وخلاصة ما تقدم، هي أن المجموعة الكلامية التامة المعنى لابد من أن تنتهي بنغمة هابطة في أساليب التقرير والطلب، والتأكيد والاستفهام بغير هل والهمزة. وأن المجموعة الكلامية غير التامة المعنى لابد من أن تنتهي بنغمة صاعدة أو ثابتة (مستوية) أعلى مما قبلها، وكذا في الاستفهام المبدوء بهل والهمزة.[1] وللتنغيم وظيفة صوتية، وتتمثل في انسجام الأصوات حيث تكتمل فيه النغمات وتتآزر مؤدية المعاني والمقاصد[2].

[1]- ينظر: مبادئ اللسانيات: 122

[2]- ينظر: التنغيم في التراث العربي، د. عليان بن محمد الحازمي، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، العدد 23: 1، 5؛ http://www.Uq.Edu.Sa/majalat/shariaramag/mag23/f19.htm

التنغيم إذن عنصر من عناصر الأداء، وعدم إتقانه يؤدي إلى عدم الوضوح، وقد يحدث أن يتحدث إليك من لا يتقن اللغة ولا يجيد أداءها، فلا تعرف ما يريد أن يقوله، والسبب في ذلك يعود إلى أنه لا ينطقها بما هو متعارف عليه من التنغيم[1]. "فكم" مثلا تكون استفهامية، وتكون خبرية، والذي يُحدد ذلك النغمات الصوتية التي يتمّ بها الأداء.

ومن مظاهر التنغيم أنه يُزيل اللبس عن معنى الجملة، وبه يُدرَك الفرق بين المعاني، وهذا يتأتى بإتقان مجموعة طرق الأداء في النطق تتمثل في: النبر، والوقف، والسّكت، والإيقاع، ووصل بعض الكلام، واختلاس بعض الأصوات، والاستغناء عن بعضها، ومدّ بعضها لتكون واضحة، وهذه الأمور مجتمعة تحقق التنغيم؛ لأن التنغيم ليس محصورا في اختلاف درجات الصوت التي ينشأ عنها ارتفاع النغمة أو هبوطها فحسب، ولكن يحدث أيضا من كل ما يُحيط بالنطق. لذا كانت لعلماء القراءات إسهامات متميزة في هذا المجال•، فاللحون التي نسمعها من القراء المجودين لقراءات القرآن الكريم تحقق التنغيم أيضا.

[1]- ينظر: التنغيم في التراث العربي: 3.

•- ومع هذا لم يحظَ التنغيم لدى أجدادنا ببحث مستفيض أو تطبيق مستند إلى قواعد محددة، لكن هذا لا يعني أن تراثهم الواسع قد يخلو من إشارات إلى مثل هذه الظاهرة، فلقد كانت لهم إشارات ذكية تدل على تنبههم لما للتنغيم من أهمية في تفسير وتوضيح المعاني والإعراب. ينظر: مبادئ اللسانيات: 121.

إن هذه الجوانب المشرقة في تراثنا، يجب أن نضع أيدينا عليها، لأن حسن الأداء ووضوح المعاني لا يتأتى إلا بإتباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقي والتعوّد على مجاراة الفصحاء، و السماع للقراء المجودين.[1] فهذا كله من أهمّ ما سعى إليه أسلافنا من علماء العربية.

لا تخلو إذن لغة من اللغات في استعانتها بما يعرف بالقوانين الصوتية، التي تخدم سلاسة منطوقها وسلامة دلالتها ؛ لأداء المعنى المراد وتحقيق الهدف المقصود من الكلام.

وفيما يأتي سنعرض للدراسة المقارنة لقوانين المقابلات الصوتية بين اللغتين العربية والعبرية وأثرها في تأليف الكلمة وتشكيل بنيتها.

[1]- ينظر: التنغيم في التراث العربي:8.

الفصل الرابع

الدّراسة المقارنة لقوانين المُقابِلات الصّوتيّة

بين العربية والعبريّة

وأثرها في تأليف الكلمة

أوّلا: الدراسة المقارنة لقوانين المقابِلات الصوتية بين العربية والعبرية:

تميل اللّغة العربيّة عبر تاريخها الطويل إلى الاقتصاد اللّغوي وتجنّب الأصوات الصّعبة والصيغ القليلة، وتسعى جاهدة إلى استعمال الأرْشَق في أبنية مفرداتها لتحقيق التوافق بين هذه المفردات وتوفير الانسجام في نظام الكلمات الصوتي، وتُصالِح بين الأصوات المتنافرة والثقيلة، متوسّلة في ذلك بالحذف والزيادة والإبدال وغيرها من الظواهر والسّبُل التي تذّخر على المتكلّم جهده وتُحيلُ الكلمة أو اللّفظة يسيرة سلِسة فصيحة. وهذا مصداق لقانون السّهولة والتيسير اللغويين، وتحاول اللغة بوساطته أن تتفادى تلك «التفريعات الكثيرة، والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة داخل اللغة»[1]، ويقود قانون السّهولة والتيسير إلى الاقتصاد في الجهد، ولا يطّرِد في الأحوال كلّها، وخاصّة إذا كان التيسير يؤدي إلى الخلط وعدم الوضوح.

1- مقارنة لقوانين المقابِلات الصوتية بين العربية والعبرية:

إنّ التغيير الصوتي يحدث على نحو دائم في إطار تعدد أشكال الأداء اللغوي، ولكن النظم الصوتية أكثر ثباتا. قد يكون تغير صفات أداء الصوت غير مؤثر في التمييز بين الوحدات الصوتية في تلك اللغة، فيظل النظام الصوتي قائما دون تعديل، وليس لدينا من اللغات التي وصلت إلينا مدونة ما يدل على أشكال الأداء النطقي، ولكن الباحثين توصلوا إلى وحدات النظام الصوتي لكل لغة من هذه اللغات.

[1]- ينظر: التطوّر اللّغوي: 86.

وقد لاحظ الباحثون الأوروبيون أنّ اللغات السامية تضمّ مجموعة أصوات لا توجد في اللغات الأوربية، ولذا أبرزوا وجود هذه الأصوات في حديثهم عن الخصائص العامة للغات السامية، والمقصود بهذه الأصوات مجموعة أصوات الحلق ومجموعة أصوات الإطباق.

1.1. مجموعة الأصوات الحنجرية:

وتضمّ صوتان: الهمزة والهاء، وقد احتفظت اللغة العربية بالمجموعة الحنجرية التي افترض الباحثون وجودها في اللغة السامية الأم. تضم هذه المجموعة صوتين، هما: الهمزة والهاء، أثبتت مقارنة العربية واللغات السامية الأم، لم تستحدث العربية منهما صوتا ولم تفقد صوتا. أما ما يظهر من فروق بين العربية وبعض اللغات السامية الأخرى، فيرجع إلى تغير حدث في أصوات مفردة بأعيانها في بعض اللغات السامية، بينما حافظت العربية على الموروث.

فقد احتفظ بصوتي الهمزة والهاء. وأهمّ تغيير طرأ على مكان هذين الصوتين في النظم اللغوية لهذه اللغات يتصل بتخفيف الهمزة في وسط الكلام وآخره من جانب، وضعف النطق في العبرية بصوت الهاء من الجانب الآخر؛كأن الهمزة والهاء في العبرية صوتان متميزان ثم فقد الصوتان قيمتهما بعد ذلك. وعندما أخذ علماء العبرية القديمة يضعون- بعد ذلك بقرون- الضوابط النطقية لقراءة العهد القديم ابتكروا رموزا إضافية لبيان النطق الصحيح، لكل صوت توخياً لعدم الخلط بينهما، أما

النقوش الفينيقية التي وجدت في منطقة ساحل الشام فكانت تميز الهمزة والهاء. كما يتضح أيضا- من نظام الكتابة الأبجدية الفينيقية-[1].

2.1. مجموعة التجويف الحلقي:

تضم مجموعة التجويف الحلقي التي افترض الباحثون وجودها في اللغة السامية الأم صوتين، هما: الحاء والعين، ويختلفان من حيث الهمس والجهر، فالحاء مهموس والعين مجهور، وقد احتفظت اللغة العربية بكلا الصوتين دون تعديل.

يتضح من هذا كله أن صوتي الحاء /ח/ والعين /ע/، وإن كانا قد فقدا من عدد من اللغات السامية في مراحل متأخرة من تاريخها، فإنهما موجودان في أقدم مراحل أكثر اللغات السامية الأولى، وقد ورثت العبرية كلا الصوتين وحافظت عليهما[2].

3.1. مجموعة الأصوات الرخوة من أدنى الحلق واللهاة (الأصوات الطبقية):

تضم هذه المجموعة صوتي **الغين والخاء**، وكلاهما صوت رخو يبدو أن مخرجه الأقدم كان في منطقة تسمح بعدة صور صوتية لكل وحدة منهما، ونقتصر هنا على بيان الوحدتين الصوتيتين في النظم اللغوية للعربية واللغات السامية الأخرى[3].

[1]- ينظر: قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية، محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج.75، 1994: 64-66.

[2]-ينظر: المرجع السابق: 68

[3]- المرجع نفسه:69.

يكاد يكون ثابتا أن الصوتين موروثان عن اللغة السامية الأم، ولكن ثمة تغيرات حدثت لهما في عدد من اللغات السامية المفردة.

– لم تحتفظ بصوت **الخاء** من بين اللغات السامية إلا الأكادية والأجريتية والعربية الشمالية والعربية الجنوبية والجعز، ومعنى هذا أن الخاء استمرت في أقدم لغتين في الشرق والشمال، هما: الأكادية والأجريتية وفي أقدم لغات الفرع الجنوبي، وهي: العربية الشمالية والعربية الجنوبية ولغة الجعز. ولهذا يمكن القول بأن هذا الصوت وحدة صوتية موروثة عن اللغة السامية الأولى. بينما في العبرية فقد تحول صوت الخاء إلى حاء (ח)، وكذلك الفينيقية والآرامية[1].

– أما **الغين**، وهي المقابل المجهور للخاء، فقد ورثتها العربية والأجريتية والعربية الجنوبية عن السامية الأم.

وتحولت في باقي اللغات السامية إلى عين، وهكذا التقى في هذه اللغات صوت العين في تلك اللغات تقابل العين والغين معا في اللغات السامية الأخرى. وقد أثار موضوع قِدم صوت العين في اللغات السامية عدّة تساؤلات إلى أن شكّ بعض الباحثين في وجود الغين في السامية الأمّ وظنّوا أنه يشكل –أي– الغين مع صوت العين وحدة صوتية واحدة له صورتان صوتيتان[2]. اثنين. وقد اثبت كانتينو أن **العين والغين** وحدتان صوتيتان متميزتان في اللغة السامية الأولى، بدليل تميزهما في العربية وفي بعض الأبجديات السامية القديمة ومنها الأبجدية العربية الجنوبية، التي جعلت للعين رمزا متميزا عن

[1]– ينظر: قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية:70.

[2]– ينظر المرجع السابق: 71.

الرمز الخاص بالغين. ووجود هذا التميز بين العين والغين في الأجريتية والعربية الجنوبية، والعربية الشمالية، ما يشهد بكون كل صوت منهما وحدة صوتية متميزة موروثة عن اللغة السامية الأولى[1].

4.1. مجموعة الأصوات الشديدة من أقصى الحنك واللهاة:

تضم هذه المجموعة في اللغات السامية ثلاثة أصوات شديدة، وهي الكاف المهموسة والجيم المجهورة والقاف اللهوية، وقد تغير نطق هذه الأصوات تطورات مختلفة ولكنها لم تختلط وفي هذه المجموعة احتفظت العربية الشمالية بصوتي الكاف والقاف من اللغة السامية الأم، ولكن الجيم المعطشة كما تعرفها الفصحى ليست امتداد الصوت سامى قديم، بل هى ثمرة تطور فى العربية، فلا تعرف أية لغة سامية سوى العربية الفصحى الجيم المعطشة. فى العربية الجنوبية كانت الجيم تنطق مثل الجيم في لهجة القاهرة. وقد ثبت عند المتخصصين في العربية الجنوبية القديمة أن الجيم كانت صوتا شديداً، ولم تكن صوتا احتكاكيا أو مركباً احتكاكيا[2].

ويعدّ بروكلمان هذا الصوت الشديد كما عرفته العربية الجنوبية استمرارا للصوت نفسه في اللغة السامية الأولي، ويرى أن الجيم المعطشة هى ظاهرة ناتجة عن تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكي (الجيم الفصحى). ويشير بروكلمان فى هذا إلى تحول مواز وهي الكاف الشديدة إلى مركب احتكاكي، نعرفه فى بعض لهجات الخليج العربي. أما الكاف الشديدة فهي ذلك الصوت الذى نعرفه فى العربية الفصيحة.

[1]- قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية:71.

[2]- نفسه: 73

أمّا القاف فقد كان سيبويه دقيقاً فى وصفه لنطق هذا الصوت بالجهر، وما تزال القاف تنطق عند البدو في كل أنحاء العالم العربى كما تنطق فى لهجات الخليج العربي نطقاً مجهوراً، يجعلها في بعض المناطق أقرب إلى الجيم المصرية وفي مناطق أخرى أقرب إلى الغين، وكلاهما صوت مجهور. أما القاف في الأكادية فقد اختلطت في الكتابة أحيانا بالغين، والغين صوت مجهور، فقد أحس الأكاديون بالغين والقاف صورتين صوتيتين لفونيم واحد، مما يشهد بأن القاف الأكادية كانت صوتا مجهوراً. ومن كل هذا نخرج بأن القاف في السامية الأم وفى الأكادية و فى العربية كما وصفها سيبويه كانت صوتا مجهورا، و أما النطق الحالي المهموس للقاف في الأداء المعاصر للعربية الفصحى فهو شيء حادث جاء بعد تغير صورتى[1].

وثمة ملاحظة حول الكاف والجيم في الفرع الكنعاني كما يتضح فى العبرية، وفي الفرع الأكادي من اللغات السامية. فالوحدة الصوتية **الكاف**، تنطق في العبرية والآرامية في صورتين صوتيتين، إحداهما شديدة أي مثل الكاف العربية والأخرى احتكاكية أي مثل الخاء العربية. والوحدة الصوتية الجيم تنطق في العبرية والآرامية في صورتين صوتيتين، إحداهما شديدة أي مثل الجيم العربية الجنوبية القديمة والجيم فى لهجة القاهرة، والأخرى احتكاكية مثل الغين فى العربية. والتمييز بين الصورتين الصوتيتين المذكورتين لكل وحدة من الوحدتين الصوتيتين المذكورتين هو أمر حادث، ولا يعكس النطق الموروث عن اللغة السامية الأولى[2].

[1]- المرجع السابق: 73-74.

[2]- قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية:74.

وقد حدث تمييز النطقين الشديد والاحتكاكي للكاف والجيم فى الآرامية أول الأمر، ثم تأثرت به العبرية ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد، واستقر هذا الأمر في القرن الثالث قبل الميلاد، وينبغي هنا أن نلاحظ أن العبرية والآرامية لا تعرفان وحدة صوتية للخاء ولا وحدة صوتية للغين. وأن الصوتين قد ظهرا فيها في هذه الفترة فى إطار جديد، و هو تعدد الصور النطقية أو الصور الصوتية للكاف والجيم على الترتيب، ولا صلة لهما من حيث مكانه ما فى النظام الصوتى بغير هاتين الوحدتين الصوتيتين[1].

وقد احتفظت اللغات السامية في الحبشة بالقاف والكاف والجيم بوصفها وحدات صوتية متميزة، وإن تغير نطق هذه الأصوات. وقد وصف بروكلمان نطق هذه الأصوات فى المعز والأمهرية والتيجرينية بأنه يحدث باستدارة الشفتين، وفسر هذا التغير النطقى بتأثير اللغات الكوشية المحيطة باللغات السامية فى الحبشة. والملاحظ هنا أن هذه اللغات لا تعرف وحدة صوتية متميزة للخاء، ومن ثم فهم يكتبون الألفاظ الدخيلة فى لغتهم من العربية مستخدمين الحرف الخاص بالكاف الحبشية لنقل صوت الخاء فى العربية[2].

[1]- ينظر: المرجع السابق:75.

[2]- ينظر: نفسه: 74-75.

5.1. الأصوات الأسنانية:

1- عرفت اللغة السامية الأولى- في رأي علماء المقارنات- ثلاث أصوات أسنانية هي:**التاء والدال والطاء:**

2- احتفظت العربية بهذه الأصوات الثلاثة، كما احتفظت بها كل اللغات السامية الأخرى، وتتقابل أصوات هذا الثالوث على النحو التالي: التاء صوت مهموس غير مطبق، والدال مجهور وغير مطبق، والطاء صوت مطبق[1].

أما الجهر والهمس في الطاء ففيه نظر، فالطاء تنطق في كل اللغات السامية الحديثة نطقا مهموسا، وهي بهذا تعتبر المقابل المطبق للتاء المهموسة، ولكن سيبويه جعلها بالنسبة للعربية في القرن الثاني الهجري من الأصوات المجهورة[2].

6.1. الأصوات بين الأسنانية:

كانت اللغة السامية الأولى تضم كما اتضح من المقارنات اللغوية ثلاثة أصوات بين أسنانية، هي **الثاء والذال والظاء**، وقد احتفظت اللغة العربية بهذه الأصوات، أما في اللغات السامية الأخرى، فقد تغيرت هذه الأصوات في عدة اتجاهات، إذ يلاحَظ أن العربية الشمالية تتفق مع اللغات العربية الجنوبية في هذه المجموعة. ولعلّ أهم تحول طرأ على هذه المجموعة في العربية هو ما حدث لصوت

[1]- ينظر: قوانين المقابلات الصوتية: 76.

[2]- ينظر: الكتاب: 407/2.

الظاء، فقد كانت في السامية الأم- كما يفترض بروكلمان وفيشر- صوتا مطبقا بين أسناني مهموسا؛ أي أنها كانت المقابل المطبق **للثاء** في السامية الأم فأصبحت المقابل المطبق **للذال**. وهذا الرأى يجعل من الممكن تفسير تغير هذا الصوت المطبق المهموس بين الأسناني إلى طاء في الآرامية، وذلك بتغير سمة واحدة من سمات الصوت- وهي المخرج- من بين أسناني إلي أسناني على نحو ما حدث لباقى الأصوات بين الأسنانية[1].

وقد لُوحظ بالنسبة لصوتي **الذال والظاء** في العربية الجنوبية ما يأتي:[2]

1- وجد "ليتمان" حرف الذال فى تدوين الكلمتين الجنوبيتين: (ذ ك ن م) (ق رذ) وهما تقابلان في العربية الشمالية: دكين وقرد، واستنتج من هذا أن الحضرمية كانت تنطق الذال نطقا مشابها للدال، ومن ثمّ حدث خلط بينهما في كتابة الكلمتين المذكورتين.

2- هناك نقوش كثيرة يبدو فيها خلط بين حرف الصاد وحرف الظاء في رأي بعض الباحثين، ومن الصعوبة بمكان أن يميز الباحث بين الحرفين للشبه الكبير بينهما في الكتابة العربية الجنوبية القديمة .

3- جعل التغير فى الأكادية والكنعانية مجموعة الأصوات بين الأسنانية تتحول إلى مجموعة أصوات الصفير،فهذا التحول قد تمّ في الأكادية منذ وقت طويل، ولكن اللغة الأجريتية لم تعرف هذا التغير فى كل جزئياته، فقد احتفظت الأجريتية **بالثاء** السامية القديمة، ويتضح هذا من الكلمة الدالة

[1]- ينظر: قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية: 76 -77.

[2]- ينظر: المرجع نفسه: 77-79.

على الرقم ثلاثة فقد كتبت الأجريتية بالثاء. وظلت الذال كذلك في الأجريتية ثم بدأ تحول الثاء إلى شين، والذال إلى دال في النقوش الأجريتية المتأخرة[1].

ويُوصف التحول الذي أصبح مطردا في العبرية والفينيقية والذي كان من شأنه أن تحولت الثاء السامية القديمة إلى شين والذال السامية القديمة إلى زاي والظاء إلى صاد بأنه "التحول الصوتي الكنعاني".

وبهذا اختلفت اللغات الكنعانية عن اللهجات الآرمية من هذه الناحية، نجد الشين في الكنعانية يقابلها في الآرمية تاء بدلا من الثاء العربية، ونجد الطاء بدلا من الظاء العربية، والدال بدلا من الذال العربية.وبهذا حدث في الآرمية تحول[2].

7.1. صوت الضاد:

1- ليس هناك وصف دقيق لنطق الضاد يوضح خصائصها دون لبس، وعلى الرغم من هذا فقد استطاع الباحثون تتبع الأصوات المقابلة للضاد في اللغات السامية المختلفة.

ظلّت الضاد السامية القديمة في كل لغات المجموعة الجنوبية وهي العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية، أما في الأكادية والكنعانية فقد تحولت الضاد إلى صاد، كما تحولت في الآرامية إلى عين[3].

[1]- ينظر: قوانين المقابلات الصوتية: 78.

[2]- المرجع نفسه: 79.

[3]- ينظر قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية:79-80.

ويرى جان كانتينو أن الضاد كانت في اللغة السامية الأولى ضمن مجموعة أصوات أطلق عليها مصطلح الأصوات الجانبية. وبهذا خالف كانتينو الرأي القائل بأن النطق الجانبي لهذه الأصوات هو تغير حدث في العربية الجنوبية الحديثة ورأيه أن الضاد السامية القديمة كانت صوتا يتسم بالإطباق والنطق الجانبي[1].

2- يتفق الباحثون على أن اللغات السامية الجنوبية قد احتفظت بالضاد السامية القديمة وهناك خلاف كبير حول نطق الضاد العربية القديمة، فقد ترك وصف سيبويه لها بعباراته غير الواضحة مجالا كبيراً للتفسير. أما في اللغة العربية الجنوبية فأمثلة وجود الضاد في النقوش القديمة كثيرة.

وتنطق هذه الوحدة الصوتية في اللهجات العربية الجنوبية الحديثة نطقا يختلف من لهجة لأخرى (السقطرية والمهرية والشحرية). تنطق الضاد فى النطق التقليدي للحبشية لا يعكس النطق الجعزى القديمة لها، فهم ينطقونها صاداً أو طاء ، للحبشية نطقاً يعكس النطق الجعزي القديم لها، فهم ينطقونها صاداً أو طاء[2].

8.1. الأصوات الصفيرية:

توجد في اللغات السامية ثلاثة صوامت من أصوات الصفير هي: **السين ס والصاد צ والزاي ז**، وقد زيد عليها صوت الشين، فالشين ש في العبرية تقابل اشتقاقيا الشين في العربية الجنوبية الحديثة

[1]- ينظر: المرجع السابق: 80.

[2]- ينظر: نفسه: 80.

والسين تقابل السين. وأما ما يرمز إليه في العبرية بحرف السامخ ס فهو يقابل السين الشجرية في اللهجات العربية الجنوبية الحديثة.

وبذلك يمثل صوت السين العربية صوتين اثنين كانا مختلفين في اللغة السامية الأولى وفي الكنعانية وفي العربية الجنوبية القديمة ولا يزالان متميزين في اللهجات العربية والجنوبية الحديثة. وبينما يقابل صوت الشين في العربية صوتا واحدا في كل من الكنعانية والعربية الجنوبية القديمة والحديثة[1].

9.1. الأصوات المائعة:

وتضمّ أصوات (ي ر م ل و ن) لكن في الدراسات الصوتية القديمة كانت تسمى بالذّلقيّة التي تضمّ الرّاء واللاّم والنّون، وهذه الأصوات الثلاثة من اللغة السامية الأولى.

وهناك أمثلة في العربية للتّغيّر بين أصوات الذّلاقة. وقد تحوّلت الميم النهائية إلى نون في العربية، وعلى هذا فقد تحوّلت الميم إلى نون في أداة الشرط (إنّ)، وتوجد هذه الأداة في كل اللغات السامية الأخرى بالميم، ففي العبرية אם (im)، كما أن نون التنوين متحولة وفق نفس القانون عن ميم التميم التي توجد في الأكادية، ولكن المواد ذات الميم مثل قوم في قام يقوم احتفظت بهذه الميم النهائية دون تعديل. وفوق هذه التغيرات في الكلمات الوظيفية والنظام اللغوي هناك أمثلة لكلمات وردت في العربية

[1]- ينظر: قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية: 82.

من الناحية المعجمية منتهية بالميم أو النون منها: الحزم= الحزن، بمعنى الأرض الغليظة، قاتم = قاتن، بمعنى أسود[1].

10.1. الأصوات الشفهية:

لقد عرفت اللغة السامية الأولى ثلاثة أصوات شفهية تتمثل في الباء المهموسة (p) = /פ/ والباء المجهورة/ב/ والميم /מ/. وتطوّرت الباء في اللغات السامية إلى فاء، ومعنى هذا أنّ الباء المهموسة في لغات الفرع الجنوبي من الأكادية والكنعانية والآرمية تقابل الفاء في العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية، ويتضح هذا من مقارنة الكلمات العربية والعربية الجنوبية: فرق، نفس، ألف من جانب المقابل الاشتقاقي في باقي اللغات السامية، من الجانب الآخر نجد الفاء في العربية والعربية الجنوبية والحبشية تقابل الباء/ ב/ في العبرية والأكادية والآرمية[2].

ولقد عرفت اللغة السامية الشمالية صوت الباء المهموسة واحتفظت به اللّغات السامية الشمالية وتغيّرت هذه الوحدة الصوتية في لغات المجموعة الجنوبية التي منها العربية إلى فاء.

[1]-ينظر: قوانين المقابلات الصوتية:83-84.

[2]- ينظر:السابق:84.

2- مقارنة بين صوائت العربية والعبرية:

لكل لغة نظامها الصوتي والصرفي والنحوي الذي يميزها عن غيرها من اللغات. والنظام الصوتي «هو النظام الذي يبيّن أصوات لغة ما وعلاقاتها وتوزيعاتها وتجميعاتها، ولكل لغة نظام صوتي خاص بها، كما أن الأنظمة الصوتية للغات المختلفة تُظهر درجات متفاوتة من التشابه والاختلاف»[1]. ومن ثَمَّ إن نظام الصوائت «هو النظام الذي يحكم صوائت لغة ما من حيث عددها وسماتها ومخارجها وعلاقاتها وألوفوناتها»[1]. ويذكر الدارسون في علم الأصوات أن «عدد الصوائت في اللغة السامية الأم كان قليلا»[2]. ولقد بيّنا فيما سبق أن نظام الصوائت في اللغات السّامية يبدو بسيطا جدا، إذ ينحصر في ثلاثة صوائت يجيء كل منه إما قصيرا وإما طويلا.

وقد احتفظت اللغة العربية «بهذا النظام الحركي البسيط احتفاظا كاملا تقريبا، فينحصر نظامها في ثلاثة أجراس، ويكون لكل جرس منها صورتان إما قصيرة أو طويلة... وكان لهذه المقابلة بين مدى قصير ومدى طويل في الحركات أعظم في إيقاع اللغة»[3] وأقل عدد يحويه نظام الصوائت في أي لغة يأخذ الشكل الثلاثي (u-a-i)[4] وتنتُج منه فروع أخرى قد تمثل صوائت أساسية في لغات معينة، وقد تكون ألوفونات في أخرى.

---

[1]- معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998: 175.

[2]- التطور النحوي: 57.

[3]- دروس في علم أصوات العربية: 147،148.

[4]- ينظر: دراسة الصوت اللغوي:131؛ Phonetics: 216

ويميز النحاة العرب تمييزا صحيحا بين ثلاثة أجراس صوتية أساسية: الفتح أي (a) والكسر أي (i) والضم أي (u)، بل ويذكرون عند الاقتضاء أضربا ثانوية أخرى من الأجراس كالإمالة والتفخيم والإشمام[1] لكن ليس لهذه الأجراس الثلاثة الأخيرة في اللغة العربية قيمة تمييزية مستقلة في تغيير المعنى.بينما في العبرية نجد خلاف ذلك نسبيا.

وفي مقابل ذلك «يجتهد الخط العبري في رسم جميع الأجراس الحركية بدقة تشبه دقة كتابتنا الصوتية وبخلاف ذلك فإن الرسم العربي رسم وظائفي أي أنه لا يراعى فيه إلا المقابلات الجرسية التي تميّز بين الصيغ النحوية أو الألفاظ ولذلك اكتفوا بثلاثة أجراس أساسية من الحركات الطويلة.إلا أن النحاة العرب قد شعروا شعورًا كاملا بأن هذه الأجراس إنما هي أجراس وظائفية وأن في النطق بكلّ منها فُوَيْرقات صوتية»[2].

إنّ اللغة العبرية تعرف اثني عشر صوتا صائتا- كما بيّنا سلفا- في حين أن اللغة العربية تقتصر على ستة صوائت تمثل فونيمات مستقلة بذاتها. فاللغويين العبريين يذهبون إلى أن الصوائت الأساسية في اللغة العبرية ثلاثة هي نفس ما في العربية من أصوات: الضمة والكسرة والفتحة، ويرون أن ما تبقّى من صوائت إنما هي أصوات فرعية غير أصلية نشأت عن تلك الأصوات الثلاثة الأساسية[3].

[1]- ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 148.

[2]- دروس في علم أصوات العربية: 156-155.

[3]- ينظر: في الأصوات اللغوية:128.

وبما أنّ الأصل السامي للصوائت تشترك فيه كلّ من العربية والعبرية–وإن زادت العبرية في عدد صوائتها– فإننا سنأخذ هذا الأساس من زواياه الثلاث: الكسر والفتح والضم لمقارنة هذه الأصوات وفروعها بين اللغتين، وذلك من جانبين اثنين: نقاط التشابه ونقاط الاختلاف.

إنّ كلا من اللغتين تتخذ من الطول صفة تمييزية لصوائتها فتقسمها إلى نوعين قصيرة وطويلة، بَيد إنّ هناك نوعا آخر من الطول تعتمده اللغة العبرية في تقسيم صوائتها ويتمثل في الصوائت القصيرة جدا ولقد رأينا ذلك بصدد ذكرنا للصوائت المركبة.

لكننا آثرنا إقصاءها من التقسيم لأنه ليس لها أي دور دلالي في اللغة العبرية، إنماُ يستعان بها فقط لتفادي نطق أصوات معينة ساكنة أصلا، وذلك درءا للمشقة والثقل لدى ناطقيها. إذ يُقتطع جزء من زمن النطق بالصائت أيًا كان نوعه مع الصوائت المركبة (حطاف بتاح– وحطاف سيجول– وحطاف قماص).

والشفاناع الذي يُنطق كالكسرة الممالة (è) أو (é) لكن في أقل جزء من زمن النطق بذلك،[1] وذلك في ظروف خاصة[2].

ولعلّ لهذا ما يقابله في اللغة العربية– من حيث النطق فقط– بتلك «الحركات القصيرة للغاية [التي] سماها النحاة روماً أو اختلاسًا بل وحتى إشمامًا»[3].

[1]– ينظر: Les voyelles et leur(s) secret : 26

[2]– ينظر: دروس اللغة العبرية:74-75.

[3]– دروس في علم أصوات العربية: 149.

ولعلّ أفضل مثال لنطق هذه الصوائت القصيرة للغاية في العربية القديمة "الروم"* فهو عند اللغويين «عبارة عن النطق ببعض الحركة...حتى يذهب معظمها»[1]. ويعرّفه القرّاء أنه «حركة مختلَسَةٌ مخفاة بضربٍ من التخفيف، وهي أكثر من الإشمام* لأنها تُسمع وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلَسَةً»[2].

فهذا الصّويت وإن كان قصيرا جدا، له ما للصائت العادي؛ لأنه بقي محتفظًا بقدرته على أداء دوره في النسيج المقطعي[3].

وننبه في هذا الصدد أنه إذا كانت اللغة العبرية تستعين باقتطاع جزء من زمن النطق ببعض الصائت لتُضيفه إلى بعض الأصوات الصامتة التي يعسُر نطقها ساكنة في بعض المواقع، نجد العربية تتخلى عن جزء زمني لصائت له وظيفته في البناء اللغوي. لكن مثل هذا النطق في العربية بقي محصورا ثم تلاشى لأنه خاصّ بمستويات لهجية فقط، ولأن ذلك مرتبط بسياقات صوتية بعينها ولم يرتبط بأي دور فونيمي[4].

إنّ اختلاف درجة الطول في اللغة العربية قد ارتبط بأداء كل درجة من الطول دورا فونيميا، وهذا الدور الفونيمي ليس كامنا في درجة الطول نفسها بل من سلوك هذه الأصوات في النظام الصرفي

* الذي نسمعه من أفواه المجيدين لقراءات القرآن الكريم.

[1]- النشر في القراءات العشر: 121/2.

*- الإشمام هو« عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت». النشر في القراءات العشر:120/2.

[2]- السابق: 121/2.

[3]- ينظر: في الأصوات اللغوية:173.

[4]- نفسه: 223-224.

العربي[1]. وهذا ما يشير إليه جان كانتينو بقوله: « إن كثيرا من الحركات التي هي طويلة من حيث علم الأصوات ليست كذلك من حيث علم وظائف الأصوات»[2].

ومن ذلك «إن كثيرا من الفتحات الطويلة صوتيا يعتبرها الناطقون ممثلة ل"وَ" أو "ي"»[3]؛ أي إن أصل الألف واو أو ياء كالفعل "قام" مثلا:[4]

	في العربية	في العبرية	أصله
الفعل الماضي	قام	קם (قام)	قوَمَ קוּם (قوم)
الفعل المضارع المبني للمجهول	يُقامُ	יקם (يقوم)	يُقْوَم

1.2. فونيم الكسر بين العربية والعبرية:

إنّ نطق الكسرة العربية طويلة كانت أو قصيرة كالكسرة الصريحة في العبرية بنوعيها الطويل والقصير أيضا؛ إذ تتفقان مخرجا وصفةً مثل:

في العربية	في العبرية
طين	טין (طين)
جِنان	גנה (جِنّا)= بستان، جُنَيْنَة.
مِنْ	מן (مِن)

وما يعتري هذا الصائت من تفخيم في العربية يعتريه كذلك في العبرية.

[1]- ينظر: في الأصوات اللغوية:125-126.

[2]- دروس في علم أصوات العربية: 166.

[3]- نفسه: 168.

[4]- ينظر: فقه اللغات السامية،: 148.

لكن هناك ما يسمى في العبرية بالكسر الممال إمالة طويلة وإمالة قصيرة كالصيري والسيجول، وهما فونيمان مميِّزان في هذه اللغة متفرعان عن الكسر الخالص أو الصريح. في حين أننا نجد نطق هذين الصوتين في تنوعات الفتحة العربية.

إنّ الكسرة الممالة في العبرية تعادلها الفتحة الممالة في العربية من حيث الأثر السمعي، والكسرة الممالة العبرية أو ما يسمى بالفتحة الممالة «ليست وحدة من وحدات النظام الصوتي للغة العربية الفصحى كما أنها ليست وحدة من وحدات النظام الكتابي، وبعبارة أخرى...إن الكسرة الممالة ليست من فونيمات الحركات في الفصحى بل هي تنوّع (أو ألوفون) من تنوعات الفتحة الطويلة (أي ألف المد)... أما في كثير من اللهجات العربية فقد دخلت الكسرة الطويلة الممالة إلى النظام الصوتي وذلك على خلاف ما عليه النظام في عربية القرآن الكريم»[1].

أما في العبرية فالكسرة الممالة بنوعيها سواء أكانت سيجولا أم صيريا يؤدي كل منهما إلى تغيير في معنى الكلمة. فما هو فونيم في لغةٍ قد لا يكون كذلك في لغة أخرى.

2.2. فونيم الفتح بين العربية والعبرية:

صائت الفتح بنوعيه الطويل و القصير إنْ في العربية أم في العبرية متشابهان في نطقه كما في الأمثلة الآتية:

[1]- دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1989: 261-262.

العربية	العبرية
يَم- بحر	ים
عَيْن	עין
نجّار	נגר
فلاّح	פלח

والصوائت ليست بمعزل عن تأثير السياق فيها، بسبب طبيعة الأصوات المجاورة لها «لكن آثار هذا التأثير لا تظهر في الكتابة»[1]. فهي «لا توصف بترقيق ولا بتفخيم بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقا وتفخيما»[2].

وبناءً على هذا، فإن الفتح طويلا كان أو قصيرا في كلتا اللغتين يتنوّع نطقه بين الترقيق والتفخيم. فيكون مرققا مع الأصوات المرققة، ومفخماً مع الأصوات المفخمة. ولعل ما يسمى بالألف المفخمة في العربية والقماص حطوف هو ما نعنيه في هذا الصدد. إذ يُسمَع كلّ منهما كالضمة المفتوحة تقريبا وهذا تنوّع صوتي لفونيم الفتح تشترك فيه اللغتان.

ونجد ذلك في العربية كما ورد في الكتاب لسيبويه بصدد ذكره للأصوات الفرعية المستحسنة، حين أقرّ بأن الألف المفخمة هي ألف يقرّبها التفخيم من الواو[3]. وتابعه في ذلك ابن جني بقوله: «وأمّا

[1]- في الأصوات اللغوية: 280.

[2]- النشر في القراءات العشر:215/1.

[3]-ينظر: الكتاب: 432/4.

ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سلام عليهن وقام زيد، وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحيوة بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو»[1].

ويبدو أن لهذه الأمثلة التي ذكرها ابن جني قد يُبرَّر نطقها بالواو إذا قارنا ورودها كذلك في العبرية مثل الكلمتين سلام وقام:

العربية	العبرية
سلام	שלום تنطق (شَلُوم)
قام	קם وקום تنطق (قُوم)

أما فيما يخص القماص حطوف فالأصل فيها الفتح الصريح، لكن يجب تحويله إلى الضم المفتوح نطقا لا كتابة، وذلك في مواقع معينة كنا قد وضّحناها في مواضعها. فبدلاً من نطق קרבן← بالفتح (قاربان) تنطق مضمومة (قُربان). ولا شك أن هذا التحويل من قبيل طلب السهولة والتيسير في النطق.

وزيادة على ألف التفخيم (الممالة إلى الضم) نجد العربية تنشد نوعا آخر من النطق يتمثل في الإمالة- أي إمالة الفتح إلى الكسر- متفرّدة بذلك عن اللغة العبرية في تنوعاتها النطقية.

وإمالة الفتح في العربية يقصد به-كما سبق- «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء وهو المحض. ويقال له: الإضجاع... والبطح... وربما قيل له الكسر أيضا وهو بين اللفظين، ويقال له

[1]- سر صناعة الإعراب: 50/1.

أيضا التقليل والتلطيف وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا إلى قسمين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة (أو خفيفة) وكلاهما جائز في القراءة جارٍ في لغة العرب»[1].

والتفسير الصوتي للإمالة أنها تقريب الفتح من الكسر، فيقترب مخرجها من (è) وهي بهذا الوصف تندرج ضمن ما يسمى بالإمالة الخفيفة أو المتوسطة ويقابلها في العبرية סגול؛ أي الكسرة الممالة إمالة قصيرة*.

وقد يُزاد في إمالة الفتح نحو الكسر فتصير بذلك قريبة من المقياس الثاني (é) نصف الضيّق وتسمى ههنا بالإمالة الشديدة أو البطح. ويصبح الصوت حينئذ قريب الشبه بصوت צ'רה في العبرية؛ أي الكسرة الممالة إمالة طويلة أو شديدة. ومن أمثلته في اللغتين مايلي:

الإمالة في العربية	الإمالة في العبرية
نار بالإمالة	تشبه נר = /nér/
بارك بالإمالة	تشبه ברך = /bèrak/

ومن خلال ما سبق، نستنتج أنه إذا كانت الإمالة في العربية عبارة عن تنوع فونيمي ارتضته واستحسنته في كلامها بديلاً عن الفتح الصريح أو الخالص في بعض الظروف، فإنه في العبرية – أي إمالة الكسر بنوعيه סגולוצ'רה– يمثلان فونيمين مستقلين لكل منهما أثره الواضح في المعنى.

[1]– النشر في القراءات العشر: 30/2.

3.2. فونيم الضم بين العربية والعبرية:

إنّ الضم من الصوائت الخلفية – كما هو معلوم- يكون ضيقا عندما يكون مرققا طويلا كان أو قصيرا، فيقترب نطقه من الصائت المعياري (u). والضمة العربية المرققة تشبه صائت القبّوص קבוץ في العبرية المسمى بصائت الضم الصريح أو الخالص في حالة القِصر. وتشبه صائت الشوروق שורוק إذا كان مرققا طويلا.

أما إذا كانت مفخمة في العربية فتقترب من الصائت المعياري رقم (7) أي (o) وبهذا تشبه في نطقها تقريبا صائت الضم الممال في العبرية طويلا كان أو قصيرا.

إنّ صوائت الضم في العبرية أربعة- إذا أخذنا الكم الزمني في الحسبان- إذ يمثل كلّ صائت فونيما مستقلا، بينما العربية فتقتصر على فونيمين اثنين فقط أحدهما قصير والآخر طويل بغضّ النظر عن التنوعات الأخرى المتفرعة عن هذا النوع.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول:

إنّ الصوائت الثلاثة الأساسية في اللغة العربية تتشابه نطقا مع ما يسمى بالفتح الصريح والكسر الصريح والضم الصريح في العبرية تمام الشبه.

بينما فونيمات الصوائت العبرية الممالة وإن كان لمثل نطقها حضورٌ في سياقات كثيرة في اللغة العربية، إلا أنها لا تعدو أن تكون مجرد تنوعات صوتية للصوائت الأساسية فرضتها سلطة السياق أو الموقف.

3- مقارنة لألفاظ مشتركة بين العربية والعبرية:

الكلمة في العربية وما يقابلها في العبرية	
عَين	ע'ן (عَيِن)
أَنف	אף (أَف)
كَف	כף (كَف)
مرفَق	מרפק (مِرْفَق)
بَعل	בעל (بَعَل)
ذَهَب	זהב (زَهَب)
شَفَة	שפה (شَفَه)
وَجه	פנ'ם (بَنيم)
يَد	'ד (يَد)
أَب	אב (أب)
أَخ	אח (أَح)
ضَرَّة	צרה (تصَرَّه)
لسان	לשון (لَشون)
رأس (راس بتخفيف الهمز)	ראש* (روش)
ذراع	זרוע (زرُوَع)
ساق	שוק شوق)
إيمان	אמון (إمون)
سلام	שלום (شلوم)
طاب (حَسُنَ)	טוב (طوب)
كأس (كاس)	כוס (كوس)
عالم	עולם (عولام)
خاتم	חותם (حوتام)
حماة (أم الزوج والزوجة)	חמות (حَموت)
أتان (أنثى الحمار)	אתון (آتون)
حمار	חמור (حَمور)
تفاح	תפוח'ם (تّبوخيم)
رمّان	רמונ'ם (رِمونيم)
ثمانية	שמונה (شمونا)

وبناءً على ما سبق، نرى أنّ التشابه الوارد في تلك الألفاظ المشتركة بين اللغتين، يدل على مدى التقارب الصوتي بينهما. ولعلّ هذا مردّه إلى ذلك الأصل السامي- الذي نهلت منه كلتا اللغتين مادتها- المغمور في التاريخ القديم.

4- مفهوم القوانين الصوتية:

إنّ اللّغة في تطوّر دائم عبر مراحل تطورها التاريخي،والتطوّر اللغوي أو التّغيّر اللغوي كما يفضّل تسميته بذلك آخرون، لا يحدث على نحو مشتّت غير مطّرد، بل وفقا لقواعد ثابتة، يمكن أن تُصاغ في صورة قوانين دقيقة، إذا أُخِذت لغة ما في عصرين متتابعين من تاريخ تطوّرها. فالقوانين الصوتية من أهم ما توصل إليه علم اللغة المقارن، وفي هذا السياق تعدّ هذه القوانين أدق محاولة علمية لتفسير التغير في الوحدات الصوتية في اللغات المنتمية إلى فصيلة لغوية واحدة.وقد بحثت هذه القوانين أول الأمر في اللغات الهندية الأوروبية، ثم في اللغات السامية[1].

ومع تقدم البحث في لغات كثيرة أخرى بدأ التفكير- في إطار علم اللغة العام- في تعرف القوانين العامة المفسرة للتغير في بنية اللغة عند الإنسان بصفة عامة، وهذا وقد جرت العادة في علم اللسانيات على إطلاق التغيرات الصوتية التي تطرأ على اللغة اسم: القوانين الصوتية مثل تلك التي تسمى قوانين "جريم" (Grimm) المتعلقة بالإبدال المباشر في الأصوات الصامتة في الجرمانية.

[1]- التطور اللغوي: مظاهره وعلّله وقوانينه: 18.

والقوانين الصوتية تعبّر عن "علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة، في وسط اجتماعي معين"[1]، فهي ليست قوانين عامة شبيهة بقوانين علم الطبيعة أو الكيمياء ولهذا السبب نجد تطورا صوتيا في إحدى اللهجات، ولا نجد له أثرا في لهجة أخرى. "فمن المعروف مثلا أن القوانين في العلوم الطبيعية تصدق دائما، بقطع النظر عن المكان والزمان، فالتيار الكهربائي، إذا وقع تحت ظروف معينة، سوف يحلل الماء إلى أكسجين وهيدروجين، في أي مكان وفي أي زمان، وسوف يكون في استطاعتنا أيضا، أن نتنبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حد معين، أما قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إنها تنبئ فقط عن قدر معين من الاطراد في التطورات السابقة، في حدود معينة، من حيث الزمان والمكان، أي أنها تشير إلى أن صوتا معينا قد تطور إلى صوت آخر بذاته، في فترة ماذا وفي لغة كذا، تحت ظروف معينة ومحددة تحديداً.

ويوضّح رمضان عبد التواب أنّ مصطلح «القانون الصوتي» يجب أن يُؤخذ بمعناه الواسع لا بمعناه الدّقيق، كما في ميادين العلوم الطبيعية والكيميائية وما شابهها من العلوم.

إذ يقول: «والذي يجمع بين حالتين متتابعتين في لغة واحدة، إنما هو رباط تخلقه وليس رباطا طبيعيا، لذلك لا يمكن أن نعرف مقدما، كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك، لأنه يوجد دائما في تطور الأصوات، عدد يكثر أو يقل من العوامل غير المنظورة التي تنتج أثرها.ومع ذلك فالقانون الصوتي، بوصفه تعبيرا عن تغير وقع في الماضي، له صفة الإطلاق، وهذه الصفة نتيجة لانسجام النظام الصوتي

[1]- دور الكلمة في اللغة أولمان: 187-188.

واطراد التغيرات... ويمكننا بواسطة القوانين الصوتية، أن نصوغ في بعض عبارات، تاريخ الأصوات في لغة من اللغات أو نكشف عن سرّ التغييّرات التي أصابتها»[1].

5- خصائص القوانين الصوتية:

إنّ التغيّر الصوتي هو أكثر أشكال التغيّر اللغوي ظهورا، ويتّسم بالسرعة والاطراد والحتمية[2]، وقد فصّل فيه المختصّون بحسب أمثلته وظواهره وبحسب قوانينه أو اتجاهاته[3].

وللتغيّر الصوتي عوامل منها: الحالة النفسية والبيئة الجغرافية ونظرية السّهولة ونظرية الشيوع ومجاورة الأصوات وانتقال النبر، وبتعبير آخر إن لهذا التغيّر أسباباً تتصل إما بالأصوات، وإمّا بالمتكلم ومحيطه، وقد ذهب المحدثون في تفسير هذا التغير الصوتي إلى آراء متعدّدة[4]:

الأول: الخطأ فيوصف هذه الأصوات.

الثاني: التغيّر الصوتي الذي أصابها.

الثالث: اختلاف مفاهيم الوصف وغموضها بين القدماء والمحدثين.

الرابع: أثر (الموالي) في انحراف نطق بعض الأصوات وتغيّر صفاتها.

[1]- اللغة لفندريس: 72.

[2]- ينظر: نفسه: 64-65.

[3]- ينظر: أسس علم اللغة:143-150. ودراسة الصوت اللغوي: 378- 398.

[4]-ينظر: التطوّر النحوي:17، 19 ،26، والأصوات اللغوية: 124-127، ودروس في علم أصوات العربية: 123.

ويتّسم التطوّر الصوتي بمجموعة من الخصائص فصّلها رمضان عبد التواب على النحو الآتي:[1]

1. إنه غير شعوري، بمعنى أنه تلقائي غير متعمد، ولا دخل فيه لإرادة الإنسانية "فالطفل يعتقد أنه يقوم بنفس الحركات الصوتية، التي يقوم بها أبواه، مع أنه يخالفهما، فعدم شعورية التغيير، هو الذي يفسر لنا استمراره، لأن الطفل قد يسعى إلى تصحيح خطئه، لو أنه شعر به"[2].

2. إنه غير فردي، وهكذا عكس الاعتقاد القديم بأن "جميع الظواهر الاجتماعية فردية المنشأ وتصبح اجتماعية عن طريق التقليد"[3]، "وقد ساد شطرا طويلا من الزمن، الاعتقاد بأن كل تغيير صوتي إنما يصدر عن الفرد، وأنه لم يكن إلا تغييرا فرديا ثم عمم، وهذا إدراك غير صحيح، فليس في وسع أي فرد أن يفرض على جيرانه نطقا تنبو عنه فطرتهم، وليس هناك من قسر جدير بتعميم تغير صوتي، فالأجل أن يصير تغيرا ما، قاعدة مجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي لتحقيقه من تلقاء أنفسهم، بل إن سلطان المحاكاة نفسه، لا يقدر هنا على شيء، فإن النطق الشاذّ لا يجلب أتباعا لصاحبه بل لا يجلب له بوجه عام إلا السخرية منه"[4].

3. إنه يسير ببطء وتدرّج، فتطور الأصوات لا يحدث فجأة بين يوم وليلة، وإنما يظهر أثره بعد أجيال، لأن اختلاف الأصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق له مباشرة، لا يكاد يتبينه إلا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ولكنه يظهر في صورة جلية، إذا وازنا بين حالتيهما في جيلين،

[1]- التطور اللغوي: 20-23.

[2]- اللغة لفندريس: 65 وعلم اللغة لعلي عبد الواحد وافي: 260.

[3]- علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط 9، 2004: 53.

[4]- اللغة لقندربس: 69

تفصلهما مئات السنين.ولذلك فإن النظام الصوتي يعيد كل البعد من أن يكون ثابتا، طوال تطور لغة من اللغات[1].

4. إنه محدود بمكان معين، فمعظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة،ولا نكاد نعثر على تطور صوتي، لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلا إلى همزة، لم يظهر إلا في بعض المناطق التي تتكلم العربية[2]. وبهذا يمكننا أن نفسر اختلاف اللهجات العربية القديمة في الظاهرة اللغوية الواحدة.

5. إنه محدود بزمان معين، وهذا يعني أنه قد ينتهي أثره بعد فترة من الزمن، فمادام التغير قد أصاب جميع الكلمات، التي تقع تحت طائلته، يصبح القانون الذي يفسره وكأنه قد نسخ، ويمكن للغة أن تخلق مركبات صوتية جديدة مشابهة كل الشبه، للمركبات التي كان التغير يعمل فيه سابق، فهذه المركبات تبقى دون تغير فيقال إنها لم تعد واقعة تحت سلطة القانون، وهكذا يوجد في كل اللغات مزدوجات، تمثل كلمات من منبع واحد، دخلت اللغة في حقب مختلفة[3]، فقد لوحظ مثلا أن العربية كانت تنطق الشين في الكلمات المستعارة من الآرمية سينا،في فترة من فترات، فتقول مثلا: "سارية"

[1]- اللغة لقندريس: 21.

[2]- نفسه: 22

[3]- اللغة لقندريس: 74.

بدلا من "شارية"، غير أن هذا القانون فقد أثره بعد مدة، فأبقت العربية على الشين، في الكلمات التي استعارتها من الآرمية في هذه الحقبة الجديدة من الزمن، مثل: شرقراق" وهو طائر النقار الأخضر[1].

6. إنه مطّرد، فالتّطور الذي يصيب صوتا من الأصوات يسري على هذا الصوت في جميع أحواله، ويظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد الذين يوجدون في هذه البيئة، لأنه لما كان التغير لا ينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلة النطق نفسها، فإن جميع الكلمات، التي تتبع آلية واحدة في النطق، تتغير بنفسالصورة[2]، فإنه إذا حدث لأي تغير صوتي صار فعالا، في منطقة معينة، وزمن معين، فإنه يتوقع له أن يكون تأثيره عاما، إلا إذا تدخلت عوامل أخرى أجنبية... مثل التأثيرات التعليمية، أو الاقتراض الأجنبي، أو اللهجيأو القياس[3].

6- القوانين الصوتية وتغيّر الأصوات:

هناك نوعان من التطوّرات الصّوتية أو ما يعرف عند البعض من الباحثين باسم التغيّرات الصوتية نذكرها كالآتي:

[1]-ينظر فقه اللغات السامية، لبروكلمان: 49-50.

[2]- اللغة لقندربس: 72 واللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتاب، ط 4 ، 1421هـ- 2001م.: 92.

[3]- أسس علم اللغة، لماريو باي: 140.

1.6. التطوّرات المطلقة للأصوات:

وهي تلك التطورات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يتحول الصوت اللغوي إلى صوت أخر في اللغة، وفي جميع السياقات الصوتية. وقد أطلق عليها رمضان عبد التواب اسم "التغيرات التاريخية".[1]

ومن أمثلة هذه التطورات أو التغيرات التاريخية يذكر رمضان عبد التواب:

- تحول صوت ال p إلى صوت الفاء في اللغة العربية، بمعنى أنه تأخر قليلاً في مخرجه وتحول من صوت انفجاري إلى احتكاكي، كقول برجشتراسر: "أما الفاء فكان أصلها الباء، مثلما نجدها في كل اللغات السامية غير العربية والحبشية مثلاً الفم هو في اللغة الحبشية العتيقة: (AF)، لكنه في الأكدية: (PU)، وفي العبرية: פֶּה (Pé) وفي الآرامية (pum)".[2]

فمقارنة كلمة "فم" في العربية بما يقابلها في الساميات يتضح لنا أن أصل الفاء هو صوت ال"P" الذي هو النظير المهموس لصوت الباء.

وإلى جانب كلمة "فم" كلمة "فول" العربية، هي في العبرية פּוֹל (pol)، على حين هي في الحبشية (Fal) بالفاء كالعربية، لأن صوت الباء تحول إلى فاء في العربية والحبشية، أي في اللغات السامية الجنوبية.

[1]- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بنية الكلمة، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث الأردن، 2004: 38.
[2]- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:37.

ومن هذا القبيل كلمة פלג (Palag) في العبرية، و(Plag) في الآرامية بمعنى شق فيهما، و(Palgu) في الأكدية بمعنى "قناة" و(Falag) في الحبشية بمعنى جدول، هي في العربية، فلج أو فلج بمعنى "شق".

وكذلك الفعل "فتح" في العربية فإنه يقابل في العبرية (Patah) ويقابله في الآرامية (Ptah) غير أن هذه الباء "في العبرية والآرامية تتحول إلى فاء في سياقات صوتية معينة، فقد بين عبد التواب، أن صوت الباء مع خمسة أصوات أخرى، يطلق عليها أصوات "بجد كفت" الأصل فيها أن تكون انفجارية، بيد أنها تتحول إلى أصوات احتكاكية فيما إذا جاءت بعد حركة ولهذا فإن الباء في المضارع من פתח العبرية هو יפתח وهو في الآرامية Neftah وذلك بسبب وقوع الباء بعد حركة[1].

ومن التغيّرات المطلقة كذلك، تحول الشين السامية إلى سين في العربية وتحول السين السامية إلى شين في العربية كذلك، وقد بينا هذا في الصفحات السابقة.

ومن أبرز مظاهر التطورات والتغيرات الصوتية المطلقة، تحول الصوت الطبقي المجهور السامي: /g/ الذي يمثله خير تمثيل الجيم القاهرية إلى صوت "الجيم" في العربية الفصحى قال بروكلمان: «احتفظت العربية القديمة في الغالب بالأصوات الأصلية، غير أن صوت الجيم g الذي لا يزال يحتفظ

[1]– ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: 38، والتطور اللغوي: 18.

بنطقه القديم في اللهجة التي يتكلم بما الآن في مصر، قد تحول في العربية القديمة كما في معظم اللهجات الحديثة إلى صوت مغور مركب من جزئين: أحدهما شديد والآخر رخو وهو (dz)»[1].

وعن طريق مقارنة الكلمات التي تحتوي على الجيم بمقابلاتها في السامية تتأكد لنا حقيقة كون الجيم الفصيحة، متطورة عن الجيم القاهرية التي تسمعها هذه الأيام. قال "إنو ليتمان" (E, Littmann): نعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي كان "gim" كما هو الآن في مصر، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية. مثلاً كلمة جمل في العبرية גמל، وفي السريانية[2].

ومن الأصوات التي تعرضت لكثير من التغيرات، صوت القاف K.

والقاف، صوت فيه يبس وصلابة، و هذا ناشئ عن كونه صوتاً انفجارياً يسد مجرى الهواء في أثناء نطقه سداً محكماً عن طريق ارتفاع مؤخرة اللسان حتى تتصل باللهاة، والجدار الخلفي للحلق، مع ارتفاع الحنك اللين ثم يضغط الهواء مدة من الزمن بفعل ضغط الرئتين، وعندما يزول الانسداد فجأة يتحرر الهواء دون أن يحدث اهتزازاً في الأوتار الصوتية، مكوناً صوتاً انفجارياً مهموساً. وبمقارنة هذا الصوت في العربية بنظائره في اللغات السامية تتأكد حقيقة كونه صوتاً انفجارياً مهموسا، ففي العبرية مثلاً קול قول، وفي الآرامية kala قالا وفي الحبشية kal قال بمعنى صوت في الجميع، وهو يقابل في

[1]– فقه اللغات السامية: 48.

[2]–ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:40.

العربية: "قول" وفي الآشورية kulu؛ بمعنى: "صراخ"[1]، وهذا النطق المهموس هو الذي تسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية.

ولكن السلف عدّوه مجهورا[2]، ومع حسن الظّنّ بوصف السلف للقاف نقول بأنهم ربما وصفوا قافاً أخرى غير هذه التي نسمعها من مجيدي القرّاء هذه الأيام، فلعلهم وصفوا "الكاف" التي هي النظير المجهور للكاف العربية، فإن كان كذلك، يكون الهمس من التغيرات التاريخية المطلقة التي تعرضت لها القاف[3].

ومما تقدّم يتبين لنا بكل وضوح أن القاف، "قد لحق بها من التطورات ما لم يلحق بأي صامت آخر في العربية، فقد تطوّرت في اللهجات العربية قديماً وحديثا إلى مجموعة من الأصوات، بلغت من الكثرة حداً يغري بالتساؤل ويثير الاهتمام، بيد أنه ليس من العسير تعليل هذه التطورات وتفسيرها صوتياً"[4].

2.6. التطوّرات المقيّدة (التغيرات التركيبية):

وهي تلك التطورات التي تحصل للأصوات بفعل تجاورها في سياقات صوتية معينة، فهي إذا مشروطة بعوامل صوتية تشكيلية... وقد أطلق عليها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب "التغيرات التركيبية"، وهذا النوع من التطور الصوتى هو الذي يكون له أكبر الأثر في تطور الصيغ والأبنية

[1]- ينظر: التطور اللغوي: 21.

[2]- الكتاب: 434/4.

[3]-ينظر: المرجع نفسه: 54.

[4]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:59.

وتناسلها، أما التغييرات المطلقة، فهي مجرد حلول صوت محل صوت آخر في نظام اللغة بعيداً عن تفاعل الأصوات ومتطلبات السياق[1].

ومن أمثلة التّغيرات الصّوتية المقيّدة؛ أي التغيرات التركيبية هي تلك التغيّرات التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة، فهي لذلك مشروطة بتجمّع صوتي معين وليست عامة في الصّوت في كلّ ظروفه وسياقاته اللغوية[2].

إنّ التطورات المفيدة التي تحصل للأصوات مشروطة بتجاوز الأصوات في سياقات صوتية معينة، فيحصل بينها تفاعل وتبادل في التأثير والتأثر، وتكون النتيجة إفراز صوت جديد أو صيغة جديدة[3].

وتفاعل الأصوات في السياق وتأثير بعضها في بعض يخضع لقوانين صوتية توجهه وتتحكم فيه، فليس الأمر فوضى ولا صدفة، بل هناك قوانين حاسمة تسير هذا التفاعل وتوجهه، فما هذه القوانين؟

تعدّ أغلب الظواهر الصوتية المختلفة (كالإبدال والإعلال والإدغام والإمالة...) التطبيق العملي لهذه القوانين (كالمماثلة والمخالفة والقلب المكاني...) فكلّ ظاهرة تحدث بتأثير قانون تلازمه دون أن تنفصل عنه، ولا داعي للحديث عن هته القوانين لأنه قد فصّلنا الحديث عنها بالتمثيل فيما سبق.

إنّنا إذا ألقينا نظرة فاحصة على مختلف أوجه التغيرات والتطورات الصوتية المقيدة نجدها في جملتها تخضع لمجموعة من القوانين الصوتية بعضها عام ينسحب أثرها على اللغات الإنسانية عامة، ويسري

[1]-ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: 60.

[2]- ينظر التطوّر اللغوي:29.

[3]- ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: 37.

مفعولها عليها جميعها بلا استثناء. وأخرى خاصة تنحصر دائرة عملها في نطاق اللغة العربية وحدها.أما القوانين الصوتية العامة فهي:[1]

1) قانون الأقوى الذي صاغه عالم الأصوات الفرنسي المشهور موريس جرامونت، والذي يقرر بموجبه أن الصوتين المتجاورين في السياق يتبادلان فيما بينهما التأثير والتأثر، والأقوى هو الذي يتغلب في النهاية على الأضعف[2].

2) قانون الجهد الأقل أو الاقتصاد في الجهد:، وقد نادى به و تبناه "أندريه مارتينتي" (Andre Martinet) ويهدف هذا القانون إلى تحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد والطاقة[3].

أما القوانين الصوتية الخاصة باللغة العربية، فهي تلك التي تتعلق بخصائص البنية المقطعية والنبر.فهذه القوانين الصوتية: الخاص منها والعام هي المسئولة مسؤولية مباشرة عن كل ما يصيب الأصوات والصيغ العربية من تطور.

وعلى الرّغم من أن القوانين الصوتية تعبر عن تغير وقع في الماضي فإن لأحكامها صفة الإطلاق والعموم.

وقد اكتسبت أحكامها هذه الصفة نتيجة العمل القياس أي انسجام النظام الصوتي واطراد التغييرات[1]. فالقياس يكمل عمل القوانين الصوتية، فالقانون الصوتي يؤثر في بعض أمثلة الظاهرة اللغوية

[1]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: 60-63.

[2]- المرجع نفسه: 61.

[3]- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة:61-62.

ثم يطرد القياس الباب على وتيرة واحدة في جميع الأمثلة المشابهة الباقية، قال فندريس: "ولما كان التغيير لا ينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلية النطق نفسها، فإن جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة في النطق تتغير بنفس الصورة، هنا مبدأ القوانين اللغوية بأسرة، وهذه القوانين ليست إلا عبارات تلخص هذه العمليات، وإلا قواعد من ١لارتباطات"[2].

وإذا كانت مهمة القياس هي تعميم أحكام القوانين الصوتية فإنه يكون عقبة كأداء في بعض الأحيان في وجه هذه القوانين، وشوكة ناشبة في حلقها تحول دون تنفيذ أحكامها، فيكون عاملاً سلبياً يمنع القوانين الصوتية من ممارسة نشاطها ويوقفها عن العمل، وذلك إذا ما أدى عملها إلى الإخلال بنظام اللغة، كأن يؤدي عملها إلى إحداث لبس بين الأبنية والصيغ، أو يؤدي عملها إلى الخروج على نظام اللغة[3].

[1]-ينظر:التطور اللغوي:23 ، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: 62

[2]- اللغة لفندريس: 71.

[3]-ينظر: القوانين الصوتية في بناء الكلمة:62.

7. الغاية من القوانين الصوتية:

إنّ الغاية من عمل القوانين الصوتية في اللغة هو تيسير النطق وتسهيله عن طريق تشذيب الصيغ وتهذيبها، ومن ثم فإنهما يعملان يبعضهما في جسم اللغة ليخلصاها من كل الشوائب النطقية التي قد تفرزها بعض السياقات الصوتية والصياغات الغالبية والذي يترتب عليه تشويه لعملية النطق، وإجهاد لأعضائها بسبب تتابع مجموعات صوتية، يكره، ويستثقل تابعها، وذلك كتتابع الأمثال والمتجانسات والمتقاربات في مخارجها والمتنافرة في صفاتها، أو تتابع الأضداد ومن ثم يمكننا أن نقول بأن عمل القوانين الصوتية لتخليص اللغة من هذه الشوائب لا يزيد على كونه عملية "تحميل لغوية" ونحن إذا ما فحصنا عملها في اللغة العربية من خلال آثارها فيها كإطباق تاء الافتعال مع الأصوات المطبقة، أو جهرها مع الزاي والدال والذال، تأكّدت لنا هذه الحقيقة بأوضح صورة، فليست الغاية من وراء مثل هذه العمليات سوى تيسير النطق وتسهيله عن طريق التقريب بين التاء وهذه الأصوات بالتخفيف من حدة التنافر بينها وبين هذه الأصوات الأمر الذي يجهد أعضاء النطق فيما لو بقيت التاء معها دون إطباق أو جهر[1].

كما أنّ مجيئ، الميم مكان النون المشكلة بالسكون متى وقعت قبل الباء هو أيضاً لتقليل الجهد في النطق، نظراً إلى البعد الشاسع بين مخرج النون ومخرج الباء إلى الحد الذي يصل فيه الوضع إلى التناقض بينهما.

[1]- المرجع السابق: 64.

كما أن التخلص من أحد المثلين المتتابعين أو الفصل بينهما أو إبدال أحدهما، كل ذلك الغرض منه تحقيق أقصى درجة ممكنة من الخفة والسهولة في النطق[1].

وبناءً على ما سبق، يمكننا القول إنّ عمل القوانين الصوتية حقيقة واقعية وقضية مسلّم بها أكّدها معظم الباحثين والدّارسين اللغويين، يقول "وايتني" (Whitney): «كل ما نكتشفه من تطوّر في اللغة ليس إلّا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق»[2].

وتأكيدا لهذه الحقيقة فقد قدم (Zipf) أمثلة كثيرة مدعومة بالإحصاءات الدقيقة التي تؤكد ميل اللغات نحو الأبسط والأسهل، فمن ذلك:

1) إنّ ارتباط طول الكلمة نحو الأبسط بكثرة ترددها ارتباط عكسي

2) ميل اللغات إلى تقصير الكلمات التي يكثر ترددها.

3) ميل اللغات إلى تفضيل الكلمة القصيرة على مرادفاتها الطويلة

4) وجود تلازم عكسي بين حجم الفونيم أو درجة تركيبية وبين تردده في الاستعمال[3].

هذا ويرتبط عمل كل من هذين القانونين الصوتيين بعمل الآخر في كثير من الأحيان، فهذا يشتركان في نفس الظاهرة الصوتية، فيكون عمل أحدهما مقدمة لعمل الآخر، أو علة له، وقد

[1]-ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، 63-64.

[2]- دراسة الصوت اللغوي: 321.

[3]- نفسه: 321.

ينفرد أحدهما بالعمل دون الآخر في بعض الأحيان[1].

ثانياً: أثر القوانين الصّوتية في تأليف الكلمة وتشكيل بنيتها:

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها بالبعض الأخر في أثناء التأليف الفونولوجي وتكمن علة هذا التأثر في أن جهاز النطق يجنح في أثناء الكلام إلى تقريب هذه الأصوات بعضها من البعض الآخر في الصفات أو المخارج، ويكمن تحديد اتجاهين لتعامل الأصوات اللغوية فيما بينها هما:

أ. اتجاه تآلف، فيؤدي ذلك بأصوات الكلمة إلى الثبات وعدم التغير السريع.

ب. اتجاه تنافر، وهو أساس كثير من التغيرات الصوتية التي تصيب الكلمة، وفي أحيان أخرى يكون سبباً من أسباب تطور الأصوات اللغوية. واللغات بوجه عام تنزع إلى إلغاء هذا التنافر بطرائق شتى منها:

- تغيير في الأصوات يؤدي إلى الانسجام أو المماثلة.
- حذف الصوت الذي يؤدي إلى التنافر.
- إلغاء التأليف الصوتي، والجنوح إلى تأليف صوتي جديد لا يظهر فيه تنافر بين الأصوات.
- إقحام صوت يلغي التنافر.

[1]-ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: 65.

1. تعامل الأصوات فيما بينها لتأليف الكلمة العربية:

يتعامل أبناء الجماعة الواحدة برموز صوتية محدودة تكوّن بنية اللّغة باتخاذها عدة أنساق مختلفة؛ فالكلمتان (دَرَسَ ودارِسٌ) تتكونان من نفس الصوامت ونفس الصوائت. فالصوامت هي: الدال والراء والسّين، والصوائت هي الفتح والكسر وصائت الإعراب. غير أن هذه الصوائت تتخذ في الكلمتين السابقتين نسقين مختلفين. ويتيح استخدام الرموز الصوتية المحدودة في أنساق مختلفة في كل لغة من لغات العالم تكوين الآلاف من الكلمات. «وتتخذ الأجزاء المختلفة في النظام اللغوي في كل حالة على حدة ترتيبًا محدّدًا، فلكل رمز صوتي وظيفته في الكلمة، ولكل كلمة وظيفتها في العبارة أو الجملة، وينبغي الالتزام بالنسق المتفق عليه في البيئة اللغوية الواحدة، وإلا فقد الرمز قدرته على النقل والإيحاء. وهذا النسق اللغوي يتضمن ترتيب الأصوات داخل الكلمة وترتيب الكلمات داخل الجملة وهنا تكون مهمة الباحث في اللغة أن يتبين طبيعة هذه الرموز الصوتية والأنساق المختلفة التي تتخذها لتكوين الكلمات ثم عليه أن يتبين أيضا الأنماط المختلفة لترتيب هذه الكلمات لتكوّن الجمل المختلفة»[1].

2. شروط التأليف الصوتي للكلمة وطرق بنائه:

تقوم الكلمة العربية على أصول وقواعد خاصة، فكلّ لفظة تأخذ سمتا معيّنا حسب أصول ومبادئ روعيت فيها واعتمادها على أسس منهجية، وهذا راجع إلى أصالة هذه اللغة. وحديث اللغة

[1]– علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 12.

مبني على الاستخفاف والاستثقال، فما خفّ على الحسّ كثُر تواتره على الألسنة، وما ثقُل أُهمل استعماله أو قلّ.

والمراد من بناء الكلمة هيأتها ووزنها وصيغتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد صوائتها المرتّبة على منوال خاص، وصوائتها المعيّنة وسكونها، مع اعتبار الأصليّ والزائد فيها.

وقد أفاض علماء العربية في بيان شروط تركيب الكلمة وطرق بناء أصواتها، وما يأتلف منها وما يختلف، وعددها الذي تتألّف منه الكلمات وتصويتها وسكونها. والألفاظ عموما ليست سوى بناء مؤتلفا من مجموع لبنات على هيئات وصور شتى.

1.2. شروط تأليف الصّوامت وطرق بنائه:

تنقسم الحروف إلى ثقيل وخفيف، وكلّ منهما على درجة متفاوتة، ثقلا وخفّة.

وأخفّ الحروف عندهم حروف(سألتمونيها) ولكلّ حرف من الحروف الهجائيّة مخرج معيّن تشترك فيه بعض أعضاء النّطق، وهي تمتدّ من الجوف إلى الفم، والشّفتين، متجاورة، يلي بعضها الآخر والأبنيّة اللّغويّة- والألفاظ بوجه عام- ليست إلاّ بناء مؤتلفا من تلك اللّبنات على شتّى الصّور والأوضاع.

واللّغات التّي يتكوّن منها هذا البناء إمّا أن تتقارب في مخارجها الصّوتيّة، أو تتباعد، وأعضاء النّطق التّي تؤدّي ذلك تقوم بجهد عضلي للإبانة والإفصاح عنه، والشّيء- كما يقولون- لا يتّضح إلاّ بنقيضه، على معنى أن يتميّز تمام التّمييز[1].

وعلماء العربية لا سيما أصحاب المعاجم قد ذكروا ذلك، فهذا الخليل بن أحمد (ت.180ه) عرض في كتابه العين لمخارج الأصوات وصفاتها وأوضح أنّ اتحاد المخارج أو تقاربها قد يؤدّي إلى إهمال بعض الأبنية.

وفي شرحه لمواد معجمه أشار إلى المهمل، وسبب إهماله من النّاحيّة الصّوتيّة، فذكر في باب (العين والحاء) أنّه لا تأتلف منها كلمة واحدة مستعملة، لتقارب مخرجيهما إلاّ في باب النّحت[2].

وابن دريد نبّه الباحث في معجمه على أهميّة الحروف، لمعرفة عدد الأبنيّة. وما يأتلف منها، ومالا يأتلف، وسرّ كلّ منهما، وأوضح أنّ قرب مخارج الحروف يمنع من تأليف بعض الكلمات، لثقلها على اللّسان، فالقاف، والكاف لا تألف منهما كلمة واحدة فلا يقال (قك) ولا (كق).

[1]-ينظر: أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، عبد الغفار حامد هلال، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1989: 09.

[2]- العين:53/1، 69 .

وقد أشار إلى حروف الذلاقة، وعلّة تسميتها بذلك، فقال: سميت الحروف مذقلة، لأنّ عملها في طرف اللّسان، وطرف كلّ شيء ذلقه، وهو أخفّ الحروف، وأحسنها امتزاجا بغيرها، وسميّت الأخرى مصمنة، لأنّها أصمتت أن تختصّ بالبناء، إذا كثرت حروفه، لاعتياصها على اللّسان[1].

وابن جنّي يقول: «وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف، فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألاّ يأتلفا».

وهذا- كما يتبيّن من مفهوم كلامه- للتّخفيف،والتّمكّن من النّطق، ولذلك قال: إنّ حروف أقصى اللّسان لا تتجاور البتّة، فلا يقال: (قج) ولا (جق). فالأحسن اعتماد المخرج البعيد، ليختلف الصديان، فيعذّبا بتراخيهما،وحروف الحلق- أيضا- أقلّ الحروف ائتلافا، فإذا اجتمع منها اثنان فصل بينهما، مثل: هدأت- خبأت- عبء، وتتجاور في ثلاثة مواضع:

1) الهمزة المبدوء بها، مع واحد من ثلاثة أحرف هي: الهاء، الحاء،الخاء. مثل: أهل،أحد،أخذ.

2) الهاء مع العين، ولابدّ من تقدّم العين على الهاء مثل: عهد،عهر.

3) الغين مع الخاء، وتتقدّم الخاء لا غير، مثل: نجع، نخع.

وحتّى مع ورود هذه الكلمات نحسّ بثقل على اللّسان حال التفرة بها.

[1]- ينظر: الجمهرة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987: 1/4-11.

وقد فسّر في وضوح لغوي عجيب قوّة العربيّة، وخفّة طبعها في اختيار تركيب الكلمات من حروف متباعدة، ونفورها من تقارب الحروف، فإن كان ولابدّ من التّأليف من الحروف المتقاربة، فلابدّ من تقديم الأقوى على الأضعف، وساق سرّ ذلك بما يدلّ على فلسفته اللّغويّة الفائقة إذ يقول:

من ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: سص، وطس، وطث، وضس، وشض وهذا حديث واضح لنفور الحسّ عنه، والمشقّة على النّفس.

وكذلك نحو: قج، وجق، وقك، وكج، وجك وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد التّقارب مخارجها عن معظم الحروف، أعنى حروف الفم، فإن جمع بين اثنين منها قدّم الأقوى على الأضعف، نحو أهل، واحد، رأخ، وعهد وعهر، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلاّ بتقديم لأقوى منهما، نحو: أرل[1] ووتد، ووطد، يدلّ على أنّ الرّاء أقوى من اللاّم، أن القطع عليها أقوى من القطع على اللاّم، وكأنّ ضعف اللاّم. وقد نرى كثرة اللّثغة في الرّاء، في الكلام، وكذلك الطّاء والتّاء، هي أقوى عن الدّال، وذلك لأنّ جرس الصّوت بالتّاء والطّاء عند الوقوف عليهما أقوى من المتقاربين، من قبل أن جمع المتقاربين يثقل على النّفس، فلمّا اعتزموا النّطق بهما قدّموا أقواهما لأمرين:

أحدهما: أنّ رتبة الأقوى أبدا أسبق، وأعلى، والآخر: أنّهم إنّما يقدّمون الأثقل ويؤخّرون الأخفّ من قبل أنّ المتكلّم في أوّل نطقه أقوى نفسا، وأظهر نشاطا، فقدّم أثقل الحرفين، وهو على أجمل الحالين[2].

[1]- الجمهرة: 10/1، 12.

[2]- السابق: 10/1، 12.

لقد تنبه علماء العربية إذن إلى مسألة (أصول الكلمات) وإقامتها على ما عُرِفَ بالميزان الصرفي الذي تعتمد عليه الكلمة في بنائها. فالكلمة العربية تعتمد على جذر ثلاثي هو (فَعَلَ). وما يتم من تآليف على نهج هذا الميزان هو ضرب من التآليف الصوتية. وبناءً على ذلك، اهتم اللّغويون بمسألة الفصاحة القائمة على قرب المخارج أو بعدها. فقد اشترطوا لذلك ضرورة مراعاة التناسب الصوتي في ترتيب مخارج حروف الكلمة، والبناء العربي يسير مع هذه الطبيعة ولا يفارقها، فإذا وُجدت الخفّة فيما تباعدت أصواته اتبعها، وإذا لم تتحقّق في ذلك لجأ إلى تقريب الأصوات وذلك للاقتصاد في الجهد العضلي المبذول تحقيقا لمبدأ السهولة واليسر في الكلام.

2.2. شروط تأليف الصوائت وطرق بنائه:

إنّ الميل للانسجام بين الصوائت في الكلمة العربيّة واضح إذ أنّ العربيّة تكره توالي أصوات مدّ بعينها في الكلمة الواحدة من نحو توالي الضّمّة والكسرة أو الكسرة والضّمة، وقد فسّر هذا التّنافر بين الصّوتين باختلافهما في أنّ كلّ منهما يرتفع في أثناء نطقه جزء من اللّسان مغاير تماما للجزء الذّي يرتفع في الآخر، وهو ما بيّناه في الكلام على تصنيف الصوائت، إذ أنّ الكسرة صوت أمامي يرتفع في أثناء نطقه الجزء الأمامي من اللّسان على حين أنّ الضّمّة صوت خلفي، يرتفع في أثناء النّطق به الجزء الخلفي من اللّسان.

إنّ دراسة الصّيغ الصّرفيّة العربيّة توضح هذا الأمر جيّدا، ذلك أنّنا سنلاحظ أنّها نححت ألاّ يكون ثمّة تعاقب بين هذين الصّوتين ولا سيما في تلك الكلمات التّي يكثر استعمالها من نحو ما نجد في صيغ الأسماء الثّلاثيّة، هي:[1]

فَعْل، فَعَل، فَعِل، فَعُل، فِعْل، فِعَل، فِعِل، فُعْل، فُعَل، فِعْل، فِعِل، فُعْل، فُعَل، فُعُل.[2]

فلا نجد فيها صيغا من قبيل فُعِل أو فِعُل، وكذلك في مصادر الثّلاثي[3]. وهي ظاهرة في أبنية الرّباعي من الأسماء أيضا: فَعْلَل، فِعْلل، فُعْلِل، فِعْلَل، فُعْلَل. ولا نجد مثلا فُعْلِلِ أو فِعْلُل.

غير أنّنا سنجد أنّ الضّمّة والكسرة يظهران معاً في بناء من أبنية الخماسي من الأسماء ولكنّهما على أيّة حال قد ظهرا متباعدين مفصولين بفتحة وسكون، وهذا البناء هو بناء فُعَلْلِل من نحو خُزَعْبِل، أمّا بقيّة أبنية الخماسي فلم يرد فيها شيء من ذلك، وهي: فَعْلَلَل، فِعْلَلْل، فَعْلَلِل[4].

ويمكن تعليل ذلك إضافة إلى تباعد هذه الأصوات بقلّة الاستخدام اللغوي لبناء الخماسي.

غير أنّنا نلاحظ أنّ تعاقب ضمّة فكسرة قد ورد في بناءين فعليين، وهو على أيّة حال تعاقب ذو طبيعة نحويّة ممّا يساعد على بقائه، وهذان البناءان هما بناء فُعِلَ: الذّي يشير إلى بناء الفعل المجهول/ وبناء يُفْعِل: للرّباعي المزيد.

---

[1]-ينظر: الخصائص: 68/1.

[2]- ينظر: الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي بن القطاع، دار المعارف العثمانية، ط1، 1360هـ: 1/ 11.

[3]-ينظر: الخصائص:1/ 28.

[4]- ينظر: شرح التّصريح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو،خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000: 90.

أمّا أن تتعاقب كسرة فضمّة، فلم يظهر ذلك في العربيّة قط، كما يقول سيبويه: "إنّه ليس في الكلام أن يكسروا أوّل حرف ويضمّوا الثّاني نحو فِعُل"[1]. يقول ابن يعيش:«لم يأت في كلامهم فعل بكسر الأوّل وضمّ الثّاني»[2].

ويعني هذا أنّ اللّسان العربيّ يستثقل استثقالا تامّا الانتقال من الصائت الأماميّ إلى الصائت الخلفي، على حين أنّه قد يسمح بالانتقال من الصّوت الخلفي إلى الأمامي في بعض الأحوال ولأسباب ذات طبيعة نحويّة وهي أسباب تساعد على أن تتوقّف القوانين الصّوتيّة بعض التّوقّف[3].

ثمّ إنّ التّنافر بين هذين الصّوتين قد يفسّر لنا أنّ العربيّة لم تنجح إلى كسر حرف المضارعة في أبنية الفعل الثّلاثي الأخرى بل بقيت محافظة على الفتح فيه، وكأنّ ذلك كان خوفا من أن ترد كسرة قبل ضمّة، وهو ما يؤدّي إلى استثقال اللّسان العربيّ استثقالا تامّا له، بل نلاحظ أنّ العربيّة قد نزعت فيما بعد إلى التّخلّص من كسر حرف المضارعة في يفعل نفسها، وكأنّ ذلك كان خوفا من أن يمتدّ هذا الكسر إلى الأبنية الأخرى.

والتّنافر بين الضّمّة والكسرة في العربيّة ليس المعيار الوحيد في ميل هذه اللّغة إلى أن تكون أصوات المدّ في الكلمة متجانسة، بل نلاحظ في طائفة من السّياقات أنّ التّنافر يحصل بين الفتحة والكسرة أو الفتحة والضّمّة من نحو ما نجد من ميل للاتّباع في الأمثلة الآتية:

---

[1]- الكتاب :357/2.

[2]- شرح المفصل:1392.

[3]- نلاحظ هذا مثلا في التّحوّل من الفعل المبنيّ للمعلوم إلى الفعل المبنيّ للمجهول من نحو: قَتَل، قُتِلَ، سمع، سُمِعَ كما يرى غالب فاضل المطلبي.

جاء امْرُوء صالح.

رأيت مَرْءا صالحا.

مررت بِمرْءٍ صالح.[1]

أو في بعض أمثلة التقاء السّاكنين، وهو ما أشرنا إليه فيما تقدّم، إذ إنّ من عادة العربيّة أن تقحم صوت الكسرة بين هذين السّاكنين بيد أنّها في بعض الأحوال تجنح إلى أن تقحم صوت مدّ قصير آخر بسبب من أنّ أصوات المدّ الأخرى الموجودة في الكلمة تنزع إلى التّنافر مع الكسرة، من ذلك ما ذكره ابن يعيش من نحو قولهم: أخذت من الرّجل[2]، أو مُذِ اللّيلة [3] أو هُمُ القوم[4]. وقد فسّر ذلك بعلّة الاتّباع ومن ذلك أيضا (قالتُ اخرُج، وعذا بنُ اركُض وعيونن أُدخُلوها وقُلُ انظُروا، كلّ ذلك للاتّباع وذلك أنّه اتبع ضمّة التّاء في قالت ضمّة الرّاء في أخرُج[5].

إنّ الصّوائت إذن، في تعاملها مع غيرها من الأصوات تجنح دائما إلى الانسجام وإلغاء التنافر بينها، وبين سائر الأصوات اللغوية المؤلّفة للكلمة وذلك بواسطة طرق التعديل الصوتي كالإبدال والإدغام والحذف والإتباع وما إلى ذلك.

3. الكمية العددية للصوامت في بنية الكلمة:

[1]- المخصّص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996: 15/1، 76

[2]- ينظر: شرح المفصل: 1/ 1320.

[3]- المخصص:449/1.

[4]- المصدر نفسه:449/1.

[5]- ينظر: نفسه: 1/ 262، 263.

لقد أجمع علماء العربية على أنّ البناء الثّلاثي؛ أي ما تألّف من ثلاثة صوامت يحتلّ صدارة الترتيب بين أبنية الكلم العربي وذلك لخفّته وكثرة استعماله وشيوعه.

فعلى الرّغم من تعدّد الأبنية، وتأليف الألفاظ من ثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي، وسداسي، وسباعي، بالأصالة والزّيادة فإنّ أخفّها جميعا هو الثّلاثي، كما هو واقع الاستعمال اللّغويّ[1].

يرى سيبويه أنّ ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كلّ شيء، من الأسماء، والأفعال وغيرهما مزيدا فيه، وغير مزيد فيه، وذلك كأنّه هو الأوّل، فمن ثمّ تمكن في الكلام[2].

وكثرة استعمال الثّلاثي راجعة لملحظ فنّي صوتي، وليس لعدد الحروف فيه، وإلاّ لكان الثّنائي أكثر منه تداولا على الألسنة، يقول ابن جنّي:

"وليس اعتدال للثّلاثي لقلّة حروفا، وليس الأمر كذلك ألا ترى إلى قلّة الثّاني، وأقلّ منه جاء على حرف واحد (وجميع ذلك) جزء لا قدر له فيه فيما جاء من ذوات الثّلاثة، وإنّما كانت كثرة استعماله لتمكن اللّسان من نطقه، لأنّ كل حرف قد أخذ موقعه المناسب.فحرف يبتدئ به، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه"[3].

4. أثر فصاحة الكلمة في جمالية اللسان العربي:

لما ظهرت الدراسات الأسلوبية الحديثة لم تفرّق في نظرتها لجمالية الكلمة فصاحة وبلاغة عن رؤية

[1]- ينظر: أبنية العربية: 35.

[2]- ينظر: نفسه: 36.

[3]- أبنية العربية: 36.

القدماء؛ وبقي مفهوم الفصاحة ألصق باللفظ المفرد؛ بينما ربطت البلاغة باللفظ المفرد والمركب معاً[1].

وما قد يكون غير فصيح من الألفاظ في موضع فإنه كان فصيحاً وجميلاً في موضع آخر؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تقارب الحروف أو تنافرها، أو ما قيل عن غرابة الكلمة ووحشيّها يكون على غاية من البلاغة والفصاحة في مواضع استعمالها، على وجود شيء في النفس منها. فماذا يقول المرء في لفظ (عَسْعَس)، المتقاربة المخارج من قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ **[التكوير:17]**، ولفظ (أثاقلتم) في قوله تعالى:﴿...إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ...﴾**[التوبة: 38]**.

فلا يشك أحد حين يردد لفظ (عسعس) و(أثاقلتم) فإنه سيجد ثقلاً على اللسان وضغطاً على الحروف، إما لتقاربها، وإما لتكرارها... ويثور السؤال في الذهن، أيُّ الألفاظ يمكن أن تقوم مقامها في سياقها؟ فيأتي الجواب بأن المرء لا يمكن أن يجد أفصح منها في تأدية الوظيفة التي حملتها، في سياقها... وبهذا تكمن فصاحتها، على تقارب مخارج حروفها [2].

فالمنهج العلمي الموضوعي هو الذي يسعى إلى استخلاص أبعاد الجمال البلاغية في اللفظ، وما يعبر عنه سياقه من معانٍ نفسية وفكرية. فالألفاظ تشاكل دلالتها وإيحاءاتها سواء كانت غريبة أم مألوفة، واللفظ الغريب إذا استعمل في سياقه الدقيق، يصبح فصيحاً كما في كلمة (ضيزى) المضروبة

[1]- في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية، حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاّب العرب، دمشق، 2002: 46.

[2]- ينظر: في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية: 46

مثلاً للغرابة، ولكنها في حالة استعمال القرآن لها وهي حالة وحيدة، لم يقع في موقعها أفصح منها نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾**[النجم:22]** و﴿فَغَشّٰيهَا مَا غَشّٰى﴾ **[النجم:53]** ومثلها لفظ (أغطش) في قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَّخْشٰى﴾ **[النازعات:26]** و﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيٰهَا﴾**[النازعات: 29]** . فكلمة (ضيزى) تدل على التعسف في القسمة، فهي غيْر عادلة، و(أغطش) تدل على تقريع المعاندين المنكرين للبعث. فلو اختير غيْرهما للدلالة المقصودة لما وقعنا على هذا الإيحاء الخاص الرائع في جمال الأسلوب وشدة اقتضاء اللفظ لمعناه ودقته. فلفظ (أغطش)، على غرابته أعظم فصاحة في الدلالة على شدة الظلمة في موقعه من كلمة (أظلم)، التي تعد مألوفة عند البلاغيين وأكثر فصاحة[1].

فالباحث حين يتحدث عن فصاحة الكلمة، فإنه يتوقف على الشروط التي وردت عند البلاغيين؛ ولكنها شروط غير مطردة، ولا منزهة عن الغلط. فكل كلمة فصيحة في ذاتها بليغة إذا أحسن استعمالها في سياقها وقامت بدلالة أو وظيفة لا تقدر كلمة أخرى عليا، ومن هنا نرى أن كلمة (غطش) بقيت غريبة في قول الأعشى[2] التالي بالقياس إلى الاستعمال القرآني:

[1]- ينظر: في جمالية الكلمة:47، ومن بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط3: 57-58.

[2]- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن القيس، تح: محمد حسين، مكتبة المطبعة النموذجية، 1977: 73.

وبهْمَاءَ بالليل غَطْشَ الفلا ❁ ةِ يُؤْنِسني صَوْتُ فَيّادِها

فجمالية الكلمة وفصاحتها لا يكمن في ذاتها، ولا تستند إلى الذوق الرفيع؛ ولا دقة أدائها لدلالتها في موقعها المناسب مع أخواتها، وعدم تعارضها مع المنطق والفكر، وإنما يعود إلى ذلك كله. فهي لذلك كانت من القرآن الكريم، أكثر سمواً وجمالاً. فكانت اللفظة تؤكد فصاحتها وجماليتها في سياقها الذي لا يكون غيره؛ "ولكل شيء موضع، وليس يصلح في كل موضع، وقد قسم الله الخير على المعدلة" كما صدر عن الجاحظ[1].

وإذا كان كل زيادة في المبنى يعني زيادة في المعنى فإن هذا يجعل عدد الحروف غير متساوٍ في الكلمات لفظاً ودلالةً، ومن ثم ترتيباً في البنية والموقع[2]. مما يعني أهمية اختيار لفظ دون لفظ لهذا المعنى أو ذاك والدقة في استعماله الوظيفي السياقي.

وهذا لا يعني أننا ننكر جمالية الكلمة أو بلاغتها في اللفظ المفرد، ولكننا نقوي من ذلك في طريقة التخير اللفظي لموضوعه ومقامه، وفق القاعدة البلاغية (لكل مقام مقال) وعملاً بما كان يفعله الرسول الكريم من تغيير كلمات مكان كلمات، أو توجيه السامع إلى ذلك؛ كفعله حين استمع إلى بعض

[1]- ينظر: نفسه:47.

[2]- في جمالية الكلمة: 47، وينظر: البيان والتبيين للجاحظ (ت255ه)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط4، د.ت: 65/1 –66 و72، والخصائص: 152/2-163، ومقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276ه)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1966: 90/1، وأسرار البلاغة، الجرجاني (ت471ه)، صححه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1978: 8.

الشعراء[1]، وكذلك ما يفهم من التوجيه الإلهي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[البقرة: 103]**.

فالأصل في جمالية الكلمة ماقام عليه الاستعمال ليدلّ بدقةٍ متناهية على الوظيفة التي يُؤديها. فكلمة (راعِنا) غَيْر مذمومة وهي فَصيحة في ذاتها؛ ولكن لهذه الكلمة معنىً مذموماً عند اليهود، لذلك نُهي المؤمنون عن مخاطبة الرسول الكريم بها[2]. فليست البلاغة إلا حق النظم وحسنه كما يفهم من قول للمبرد: «فحق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام؛ وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها»[3]. و"لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[4].

فالبليغ: "من يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قيود المعاني"[5]. ورحم الله الجاحظ حين قال: «والأسماء في معنى الأبدان والمعاني في معنى الروح. اللفظ للمعنى بدن والمعنى للفظ روح. ولو أعطاه الأسماء بلا معانٍ لكان كمن وهب شيئاً جامداً لا حركة له، وشيئاً لا حِسَّ فيه، وشيئاً

[1]- ينظر: في جمالية الكلمة: 47.

[2]- ينظر: الكشاف للزمخشري (ت 538ه)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت: 302/1.

[3]- البلاغة للمبرد (ت285ه)، طبعة الشعب مصر، دط، دت: 59.

[4]- دلائل الإعجاز، للجرجاني (ت471ه)، قراءة وتعليق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984: 55.

[5]- العمدة لابن رشيق (ت.456ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط4، 1972: 128/1؛ وينظر فيه: 129 و212 –214 و257.

لا منفعة عنده»[1].

بهذا يكمن مفهوم الفصاحة في اللفظ المفرد والمؤلف، وأدركنا وجه التفاعل لكل كلمة مع أخواتها وفي سياقها، فتحقق لنا ماهية جمالية بديعة، فالظواهر البلاغية بأشكالها كلها تبرز أن الكلمة الجمالية الأولى حين تتلقانا، وحين نستقبلها، إنما يكون لها هذه الخاصية في إطار تمثل جمالياتها في اللفظ المفرد أولاً ثم المؤلف ثانياً[2]، لأننا نرى أن أسباب تكيف الكلمة في الجملة يعطيها إيحاءات جمالية لا تكمن في إفرادها. فنحن نكتشف العناصر الفنية الجمالية الثرية في التبدل اللفظي التركيبي المناسب للمقام والحال[3].

[1]- رسائل الجاحظ، للجاحظ (ت255هـ)، شرح وتقديم: عبد أ. مهنا، دار الحداثة، بيروت- لبنان، ط1، 1988: 187/1.

[2]- ينظر: عيار الشعر لابن طباطبا (ت 322هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1980: 29-30.

[3]- ينظر: في جمالية الكلمة: 48.

الخاتمة

لقد أسفرت هذه الدراسة على جملة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

- إنّ مصطلح اللغات السامية مصطلح غير علمي لكن استعماله بات ضروريا لشيوعه وذيوعه في الدراسات والبحوث الخاصة بهذا المجال.

- العربية والعبرية لغتان ساميتان منحدرتان من أصل واحد يعرف باللغة السامية الأم.

- إن فكرة القرابة اللغوية ليست مجهولة في الفكر اللغوي العربي القديم، فصلات القرابة بين العربية واللغات السامية الأخرى التي كشفها البحث التاريخي اللّغوي المقارن والذي تأصّل في العصر الحديث تبدو جذورُها آخذة في الامتداد إلى البدايات التي نهض بها أوائل اللّغويين العرب.

- إنّ علماء اللغة المحدثين والمعاصرين قد أخفقوا في وضع حدّ عام للكلمة في اللغات الإنسانيّة، ويرجع ذلك إلى أنّ لكلّ لغة خصائصها الذّاتيّة التي تختلف بها عن اللغات الأخرى، وهي قضية أدركها علماء اللّغة إدراكا تامّا.

- الكلمة مبنى ومعنى، لكلّ منهما سماته وخصائصه التي بها نستطيع أن نتعرّف على الكلمات، ولعلّ محاولة وضع تعريف جامع مانع للكلمة تتراجع أمام الدّراسة الدّقيقة لجوانب دراستها اللسانية جميعا، فهي أولى بالاهتمام والدّرس من محاولة وضع تعريف عام للكلمة، مهما بلغت دقّته فسيكون شأنه شأن التعريفات دائما، ليس بجامع أو مانع، وإنّما سنجد دائما شيئا لم يضمّه هذا التعريف .ثمّ إنّ دراسة الجوانب اللسانية للكلمة، قد تعين إلى حدّ كبير على تصوّر ماهيتها بشكل عام، وهي أمر- لا شكّ- له أهمّية بالغة في الدّرس اللغوي.

- لم تنل أية ظاهرة معرفية من الاهتمام والدراسة قدر ما ناله مفهوم البنية في القرن الماضي والحالي أيضا، حيث أصبح هذا المفهوم يحتل مكان الصدارة في مختلف الدراسات الإنسانية الحديثة، مما يشير إلى أن مفهوم البنية لم يعد يقتصر على الدراسات اللغوية وتشعباتها وإنما امتد ليشمل مختلف العلوم الإنسانية دون استثناء. وإن كان هذا المفهوم قد انطلق بالمستوى الذي نراه من خلال البحوث الجادة المكثفة والمعمّقة في علوم اللغة وتفريعاتها، والتي اغتنت بها مؤخراً، الدراسات الأدبية بمختلف فروعها واتجاهاتها.
- إنّ البنيوية قد أثارت جدالاً واسعًا بين الدارسين، وواجهت الكثير من الاعتراضات، وإنّ أبرز هذه الاعتراضات تتعلق بتعريف البنيوية.
- تتّفق اللغتان العربية والعبرية في أصوات المنظومة السامية: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت. بيد أنّ العربية تزيد أصواتها عن العبرية بما يعرف بالروادف: **ثخذ ضظغ** وهي فونيمات مميّزة في اللسان العربي، بتغييرها تتغيّر دلالة الكلمة. في حين أنّنا نسمع في العبرية صوتي الخاء والغين، لكنّهما يمثلان ألوفونين للحاء /ח/ والراء /ר/ على الترتيب وذلك يظهر في ظروف صوتية معيّنة.
- تتوزع مخارج اللغة العبرية على خمسة أصناف حسب ما ورد إلينا هي: الحلقية والحنكية واللسانية والأسنانية والشفوية. في حين أنّ العربية يتوزع مخارج أصواتها إلى أكثر من ذلك.
- لا يوجد في اللغة العربية صوتا الـ (v) وال (p) لكنّنا نسمع نطقهما في العبرية حين تأدية الباء /ב/ والفاء /פ/ على الترتيب في ظروف سياقية خاصة.

- يختلف نطق صوت الواو بين العربية والعبرية في حالة كونه صوتا صامتا ، فالواو في العربية يقابله صوت الـ (vav) /ו/ في العبرية إذا تحرّك بصائت أو كان ساكنا، بينما تتفق اللغتان في نطقه لتمثيل صائت المدّ الطويل.
- إنّ اللغتين تضمّ مجموعة أصوات لا توجد في اللغات الأوروبية، والمقصود بهذه الأصوات مجموعة أصوات الحلق ومجموعة أصوات الإطباق. لكن يعسر على الطوائف اليهودية الوافدة من الغرب نطقها نطقا صحيحا، فينطقون العين/ע/ همزة/א/، والحاء/ח/ خاء، والطاء/ט/ تاء /ת/، والقاف/ק/ كافا/כ/، والصاد/צ/ تسادي محاكاة لحرف (Tsé) من الأبجدية الألمانية. وما تبقّى من الصوامت العبرية الأخرى تتشابه في نطقها مع صوامت العربية؛ أي أن طريقة إخراجها واحدة ماعدا بعض ما ذكرناه.
- تلعب الصوائت عموما دورا كبيرا في في التمييز بين اللغات، فهي التي تحدّد طبيعة أي لغة من حيث نطقها وتركيبها وتتميّز بالوضوح السمعي وقوّة الرنين؛ ذلك لأنها مجهورة وهذا ما يجعلها أكثر دورانا على اللسان. ومع قلّة عددها تعادل جميع الصوامت من جهة أهميتها في تحوير المعاني وتغيير الدلالات؛ لذلك فهي شطر اللغة ولا يمكن تكوين كلمة بدونها.
- توجد في العربية ستة فونيمات من الصوائت بتغييرها يتغير المعنى وهي: الفتحة والفتحة الطويلة، والكسرة والكسرة الطويلة، والضمة والضّمة الطّويلة، وقد تتنوّع في السياقات اللّغوية إلى ألفونات مختلفة لا تؤدّي إلى تغيير الدّلالة كالإمالة والتفخيم.

- عدد الصوائت في اللغة العبرية اثنا عشر فونيما وما عدا ذلك فعبارة عن تنوّعات صوتية أو ألوفونات كوّنتها ضرورة السياق.
- لا يمكن فصل الدراسة الصوتية عن الدراسة الفونولوجية للأصوات وذلك لأنّ نتائج الدراسة الصوتية تفيد الدراسة الفونولوجية وتتكامل معها جنباً إلى جنب في التحليل اللغوي.
- تتفق اللغتان العربية والعبرية في كون أصواتهما تخضع لتيارات التأثير والتأثر التي تحكمها جملة من القوانين أو الاتجاهات الصوتية التي تخص نظام كل لغة، حال ما توفرت دواع لذلك. وفي هذا الصدد استعانت اللغتان بطائفة من الظواهر الصوتية؛ للفرار من التجمعات الصوتية المجهدة، درءا للثقل الناتج عن مركب صوتي عسير في النطق، أصيل في اللغة، تشكّل من تجاور صوتين متنافرين مخرجا أو صفة، وذلك لإحلال التوازن في النظام الصوتي للغة، قصد بعث الانسجام والخفّة السهولة واليُسر، والاقتصاد في الجهد ما أمكن.
- الظواهر الصوتية التي اعترت أبنية الكلمة في التشكيل أو التركيب الصوتي أثناء الأداء الفعلي للكلام تمثّلت في قسمين: أولهما؛ الظواهر التشكيلية أو التركيبية للكلمة: وتناولت المماثلة والمخالفة الصوتية، والحذف، والقلب المكاني، وثانيهما؛ الظواهر الأدائية (غير التشكيلية): وتشمل: المقطع والنبر والتنغيم وتسمى أيضا بالتغيرات فوق تركيبية، وهذه لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية، لكن لها تأثيرات موجهة للبنى الوظيفية.
- إنّ الغاية من عمل القوانين الصوتية في اللغة هو تيسير النطق وتسهيله عن طريق تشذيب الصيغ وتهذيبها، ومن ثمّ فإنها- أي القوانين الصوتية- تعمل في جسم اللغة لتخلّصها من كل الشوائب

النطقية التي قد تفرزها بعض السياقات الصوتية، والذي يترتب عليه تشويه لعملية النطق، وإجهاد لأعضائها بسبب تتابع مجموعات صوتية يُكره، ويُستثقل تتابعها، وذلك كتتابع الأمثال والمتجانسات والمتقاربات في مخارجها والمتنافرة في صفاتها، أو تتابع الأضداد، فليست الغاية من وراء مثل هذه العمليات سوى تيسير النطق وتسهيله، والتقليل من الجهد المبذول.

- كما أن التخلص من أحد المثلين المتتابعين أو الفصل بينهما أو إبدال أحدهما، كل ذلك الغرض منه تحقيق أقصى درجة ممكنة من الخفة والسهولة في النطق.
- إنّ عمل القوانين الصوتية حقيقة واقعية وقضية مسلّم بها أكّدها معظم الباحثين والدّارسين اللغويين.
- إنّ التغيير الصوتي يحدث على نحو دائم في إطار تعدد أشكال الأداء اللغوي، ولكن النظم الصوتية أكثر ثباتاً. قد يكون تغير صفات أداء الصوت غير مؤثر في التمييز بين الوحدات الصوتية في تلك اللغة، فيظل النظام الصوتي قائما دون تعديل، وليس لدينا من اللغات التي وصلت إلينا مدونة ما يدل على أشكال الأداء النطقي، ولكن الباحثين توصلوا إلى وحدات النظام الصوتي لكل لغة من هذه اللغات.
- تقوم الكلمة العربية على أصول وقواعد خاصة، فكلّ لفظة تأخذ سمتا معيّنا حسب أصول ومبادئ روعيت فيها واعتمادها على أسس منهجية، وهذا راجع إلى أصالة هذه اللغة. والمراد من بناء الكلمة هيأتها ووزنها وصيغتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد صوائتها المرتّبة على منوال خاص، وصوائتها المعيّنة وسكونها، مع اعتبار الأصليّ والزائد فيها. وحديث

اللغة مبني على الاستخفاف والاستثقال، فما خفّ على الحسّ كثُر تواتره على الألسنة، وما ثقُل أُهمل استعماله أو قلّ.

- الألفاظ عموما ليست سوى بناء مؤتلفا من مجموع لبنات على هيئات وصور شتى. وقد أفاض العلماء في بيان شروط تركيب الكلمة وطرق بناء أصواتها، وما يأتلف منها وما يختلف،وعددها الذي تتألّف منه الكلمات وتصويتها وسكونها.
- إنّ المنهج العلمي الموضوعي هو الذي يسعى إلى استخلاص أبعاد الجمال البلاغية في اللفظ، وما يعبر عنه سياقه من معانٍ نفسية وفكرية، فالألفاظ تشاكل دلالتها وإيحاءاتها سواء كانت غريبة أم مألوفة، واللفظ الغريب إذا استعمل في سياقه الدقيق، يصبح فصيحاً كما في كلمة (ضيزى) المضروبة مثلاً للغرابة.
- الأصل في جمالية الكلمة العربية ما قام عليه الاستعمال ليدلّ بدقةٍ متناهية على الوظيفة التي يؤديها. فكل كلمة فصيحة في ذاتها بليغة، إذا أُحسن استعمالها في سياقها وقامت بدلالة أو وظيفة لا تقدر كلمة أخرى عليها، وهذا هو سر إضفاء الجمال في اللسان العربي.

وفي الأخير، نحسب أننا لم ندّخر جهدا في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور، فهذا الموضوع ما زال يحتاج إلى دراسة أعمق، وأنّ جهدنا كان بحسب ما توفّر من مصادر عن العبرية، فالمكتبة العربية تشكو من فراغ كبير في هذا المجال. ونأمل أن تكون هذه المحاولة البسيطة بداية لبحوث جريئة مستقبلا في أي مستوى من مستويات الدرس اللساني.

ولا يسعنا في ختام هذه الرسالة، إلا أن نسأل المولى عزّ اسمه وجلّ شأنه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم، وأن ينفعنا بما علّمنا، ويعلّمنا بعلمه ما جهلنا هو حسبنا وإليه المصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أوّلا: المصادر والمراجع:

1. **أبحاث في أصوات العربية** حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998.
2. **أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي**، عبد الغفار حامد هلال، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1989.
3. **أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم**، فدوى محمّد حسّان، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2011.
4. **أثر القوانين الصوتية في بنية الكلمة**، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث الأردن، 2004.
5. **الإحكام في أصول الأحكام**،

ابن حزم الأندلسي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400هـ– 1980م.

6. **الآداب السامية**، محمد عطية الأبراشي، دار الحداثة لبنان، بيروت، 1978م.
7. **أساس البلاغة**، الزمخشري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1385ه/1965م.
8. **أسرار البلاغة**، الجرجاني (ت471ه) صححه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1978م.
9. **أسس علم اللغة**، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط2، القاهرة، عالم الكتب، 1983م.
10. **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط4، 1971.

11. **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، نايف خرما، مطابع اليقظة، بيروت، 1978.

12. **الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي بن القطاع**، ج1، دار المعارف العثمانية، ط1، 1360هـ.

13. **الألسنية العربية**، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، ط2، 1981.

14. **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988.

15. **البلاغة عند السكاكي**، أحمد مظلوب، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1384هـ–1964م.

16. **البلاغة** للمبرد (ت285هـ)، طبعة الشعب مصر، د.ط، د.ت.

17. **البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة**، عبد القادر الفاسي الفهري، ط1، دار توبقال للطباعة والنّشر، الدّار البيضاء، المغرب.

18. **البنية اللغوية في اللهجة الباهلية**، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 1417هـ/1997م.

19. **البنيوية: جان بياجيه**: ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت–باريس ط3، 1982.

20. **البيان في روائع القرآن– دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م.

21. **البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة المجمع العلمي العربي الإسلامي بيروت، ط4،د.ت.

22. **البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1968.

23. **تاريخ اللغات السامية**، إسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.

24. **تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين**، جورج مونان، مطبعة جامعة دمشق – سوريا، د.ط، 1972.

25. **التحديد في الإتقان والتجويد**، أبو عمرو الداني، دراسة وتحقيق: د. غانم قدوري أحمد، مكتبة دار الأنبار، 1407ه/1988م.

26. **تربية الصوت وفن الإلقاء**، سامي عبد الحميد، د.ط، مطبعة الأديب البغدادية، 1974.

27. **التطور اللغوي– مظاهره وعلله وقوانينه**– رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1410ه/ 1990م.

28. **التطور النحوي للغة العربية**، برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1997.

29. **التفسير الكبير**، فخر الدين الرّازي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1411ه.

30. **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، عبد السلام المسدي، ، الدار العربية للكتاب تونس، ط2، 1982م.

31. **التفكير اللغوي بين القديم والحديث**، كمال بشر، دار غريب ، القاهرة، د.ط، 2005.

32. **التلخيص في علوم البلاغة**، القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1932.

33. **الجمهرة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت،1987.

34. **الخصائص** لابن جني (ت 392ه)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، د.ت.

35. **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، محمد آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1400ه/1980م.

36. **دراسات في فقه اللغة و الفونولوجيا العربية**، عبابنة يحي، دار الشروق، ط 1، 2000م.

37. **دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة**، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1989.

38. **دراسة السّمع والكلام**، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1401ه.

39. **دراسة الصوت اللغوي**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985.

40. **دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة**، عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2003.

41. **دروس اللغة العبرية**، ربحي كمال، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.

42. **دروس في علم الأصوات العربية**، جان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي-عربي: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، د.ط، 1969.

43. **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999.

44. **دلائل الإعجاز**، للجرجاني (ت471ه)، قراءة وتعليق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

45. **دور الكلمة في اللغة**، أولمان ستيفن، ترجمة د.كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975م.

46. **ديوان الأعشى الكبير**، ميمون بن القيس، تح: محمد حسين، مكتبة المطبعة النموذجية، 1977.

47. **رسائل الجاحظ**، للجاحظ (ت255ه)، شرح وتقديم: عبد السلام هارون، دار الحداثة، بيروت– لبنان، ط1، 1988.

48. **رسالة أسباب حدوث الحروف** ، تأليف: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق : محمد حسان الطيان– يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ط.

49. **سرّ الفصاحة**، ابن سنان محمّد عبد الله بن محمد بن سعيد، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م.

50. **سر صناعة الإعراب**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أحمد فريد أحمد، القاهرة، المكتبة التوقيفية.

51. **سر صناعة الإعراب**، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: د.حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985.

52. **السيرافي النحوي في ضوء شرح الكتاب لسيبويه**، دراسة وتحقيق: عبد المنعم فائز، دار الفكر دمشق، ط1، 1403ه/1983م.

53. **شرح التّصريح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**،خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

54. **شرح المفصل**، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

55. **شرح طيبة النشر**، محمد بن محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري، تح: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ – 2003م.

56. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القلقشندي، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، مصر، دط، 1418هـ .

57. **الصوتيات العربية**، منصور محمد الغامدي، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 2001.

58. **الصوتيات والفونولوجيا**: مصطفى حركات، دار الآفاق الجزائر، د.ط، د.ت.

59. **العربية عبر القرون**، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1978م.

60. **علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا**، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت.

61. **علم الأصوات اللغوية**، مناف مهدي محمد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1998.

62. **علم الأصوات**، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، 2000.

63. **علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأديب)**، عز الدين المناصرة، عمان، دار مجدلاوي، ط1، 2007.

64. علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، أزمنة للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، 1998.

65. **علم اللغة العام: الأصوات**، كمال بشر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1980.

66. **علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

67. **علم اللغة العربية**، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

68. **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة**، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1995.

69. **علم اللغة بين القديم والحديث**، عاطف مذكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.

70. **علم اللغة: مقدمة القارئ العربي**، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1999.

71. **علم اللغة**، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، 2004.

72. **علم وظائف الأصوات اللغوية: الفونولوجيا**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.

73. **العمدة** لابن رشيق (ت 456ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، 1972.

74. **عيار الشعر** لابن طباطبا (ت.322ه) تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1980.

75. **فصول في فقه العربية**، رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1977م.

76. **فصول في فقه الله**، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1408ه- 1984م.

77. **فقه اللغة وخصائص العربية**، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972م.

78. **فقه اللغة**، علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، مصر، ط6، 1388ه-1968م.

79. **في أصوات العربية– دراسة تطبيقية**–، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1422ه/2001م.

80. **في الأصوات اللغوية– دراسة في أصوات المد العربية**، غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، 1984م.

81. **في نظرية الأدب**، شكري عزيز الماضي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1986م.

82. **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

83. **قصص الأنبياء**، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق أحمد بن بدر الدين بن عبد العزيز، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1423هـ – 2002م.

84. **قضية البنيوية دراسة ونماذج**، المسدي، دار أمية، بن عروس تونس ،1991.

85. **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980.

86. **الكتاب**، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط2، 1982.

87. **الكشاف** للزمخشري (ت 538هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

88. **الكلمة: دراسة لغوية ومعجمية**، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط2، 1998.

89. **الكنز في قواعد اللغة العبرية**، محمد بدر المطبعة التجارية الكبرى، مصر، 1926.

90. **لحن العامة والتطور اللغوي**، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2000م.

91. **لحن العوام للزبيدي**، محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي أبو بكر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط 2، القاهرة، 1420هـ – 2000م .

92. **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر،، د ط، بيروت، لبنان، 1983.

93. **اللّغة العبرية وآدابها**، محمد التونجي، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1983.

94. **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**، تمام حسّان، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب.

95. **اللغة الكنعانية**، دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، يحي عبابنة، مكتبة مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1.

96. **اللغة بين المعيارية والوصفية**، تمام حسان ، عالم الكتاب، ط 4، 1421هـ- 2001م.

97. **اللغة**، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1950م.

98. **اللمع في العربية**، ابن الجني، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

99. **اللهجات العربية في التراث، القسم الأول: في النظامين الصوتي والصرفي**، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، طرابلس- ليبيا، دط، 1983م .

100. **مبادئ اللسانيات**، أحمد محمد قدور، دار صفاء للطباعة وللنشر، 2002.

101. **مبادئ اللسانيات**، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2000.

102. **مبادئ في علم اللسانيات الحديث**، شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2003.

103. **متن الألفية**، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، المكتبة الشعبية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

104. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجّار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر ، ط2، 1986.

105. **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربي، بيروت، ط1، 1971.

106. **المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع**، عبد الحليم محمد الهادي قابة، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2002.

107. **المخصّص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1996.

108. **مدخل إلى اللغة**، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، ط2، د.ت.

109. **المدخل إلى علم الأصوات- دراسة مقارنة-**، صلاح الدين حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ط1، 1981م.

110. **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1985.

111. **المدخل في علم الأصوات المقارن**، صلاح حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005-2006.

112. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاء المولى بك، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د.ط، 1406ه/1986م.

113. **مشكلة البنية**، زكريا إبراهيم- دار مصر للطباعة- د.ط. د.ت.

114. **المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية**، محمد رشاد الحمزاوي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1987.

115. **معاني القرآن،** أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق: محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي عالم الكتب، بيروت، ط2، 1983.

116. **المعجم الحديث عبري– عربي،** ربحي كمال، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1992.

117. **المعجم الوسيط،** مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

118. **معجم علم الأصوات،** محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998.

119. **معجم علم اللغة النظري،** محمد علي الخولي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

120. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** جواد علي، نشر جامعة بغداد، ط1، 1413هـ-1993م.

121. **المفصّل في علم العربية،** الزّمخشري، دار الجيل، القاهرة، د.ط، د.ت.

122. **المقتضب،** المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، 1385هـ.

123. **مقدمة الشعر والشعراء** لابن قتيبة (ت 276هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج1، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1966.

124. **مقدمة في نظرية القواعد التوليدية،** مرتضى جواد باقر، عمان، الأردن، دار الشروق، 2002.

125. **مقدّمتان في علوم القرآن** ، مقدمة كتاب المباني (نقلا عن نسخة وحيدة)، ومقدمة ابن عطية الأندلسي،صححهما ونشرهما المستشرق الدكتور أرثر جفري، نشر مكتبة الخانجي، 1954م.

126. **مقدمة لدراسة فقه اللغة،** حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 2003.

127. **الممتع في التصريف**، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1398ه/1978م.

128. **من الساميين إلى العرب**، نسيب وهيبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت.

129. **من بلاغة القرآن**، أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط3.

130. **مناهج البحث في اللغة**، تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1973.

131. **مناهج تحليل النص الأدبي إبراهيم السعافين**، وعبد الله الخياص، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1993م.

132. **المنصف لكتاب التصريف للمازني**، شرح ابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373ه/1954م.

133. **المنصف**، ابن جني، تحقيق وتعليق: محمود عبد القادر أحمد عطا، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه/1999م.

134. **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، د.ط، 1400ه/1998م.

135. **المنهج البنيوي: بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات**، الزواوي بغورة، دار الهدى للنشر، ط1، الجزائر، 2002.

136. **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، أشرف على تصحيحه: الأستاذ علي محمد الضباغ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.

137. **نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي**، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1969م.

138. **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، د.صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ط3، 1983.

139. **النظرية البنائية في النقد الأدبي**، صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1980م.

140. **همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية**، السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنّشر، د.ت، بيروت.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

1) A short History of Linguistics, Robins, London, 1969.

2) Cours de Linguistique Générale.

3) Dictionary if Language and Linguistics, Hartmann end Stork, F.C., london, 1972.

4) Dictionnaire de la linguistique, Georges mounin, Presse Universitaires de France, 1er édition: 1993.

5) Dictionnaire Etymologique du Français, J. Picoche, le Robert, Paris, 1994.

6) Elément de Phonétique Appliquée Française, Argo-dutard, Armand colin/ Masson, Paris, 1996.

7) English Phonetics and Phonology: A Practical course, Peter Roach, Cambridge University Press, 1983.

8) Linguistics, Cristal, David, Penguin Books, London1974.

9) Manual of Lexicography, Zgnata, ladtalev, Monton, The Hague, Paris, 1971.

10) The word as linguistic uni,t Kramsky,Jiri, Mouton, The Hague, Paris, 1959.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1- البناء الصوتي في سورة الكهف- دراسة صوتية وتشكيلية، إعداد: صباح دالي، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، من معهد اللغة العربية و آدابها، السنة الجامعية، 1422ه/2001م.

2- ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، المهدي بوروبة، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه، إلى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 1423ه/2002م.

رابعا: المجلات والمقالات المنشورة:

1. البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي، يوسف وغليسي، مجلّة الدّراسات اللغوية، العدد 60، 2010، تصدر عن مختبر الدّراسات اللغوية، جامعة منتوري–قسنطينة.

2. التنغيم في التراث العربي، د. عليان بن محمد الحازمي، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، العدد23.

3. في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية، حسين جمعة، منشورات إتحاد الكتاّب العرب، دمشق، 2002.

4. قوانين المقابلات الصوتية في اللغات السامية، محمود فهمي حجازي، ج75، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1994.

5. اللغات والحضارات الشرقية، نظر وتطبيق مجلة الجمعية المغربية للدراسات الشرقية، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد: 120، ط1، 2005.

6. مدخل إلى علم اللسان الحديث، عبد الرحمن حاج صالح، الجزائر، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد4، 1973- 1974م.

7. مصطلحات الكمية الصوتية في تراث العرب الصوتي، المهدي بوروبة، عن مجلة المصطلح، مجلة علمية أكاديمية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، العدد3، 2005.

8. المفاهيم الأساسية للبنيوية، يوسف حامد جابر، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 294، تشرين الأول 1995.

خامسا: المواقع الإلكترونية:

– البنية والبنيوية، عبد الله أحمد جاد الكريم حسن:

http://www.alukah.net/literature_language/0/99621/#_ftn2.htm

- Les voyelles et leur(s) secret :

http://www.homenordnet.fr/vfraboulanger/cours%20grammaire/cgh.1.les%20signes/13.les%voyelles.pdf

http://www.Uq.Edu.Sa/majalat/shariaramag/mag23/f19.htm

فهرس الموضوعات

- **إهداء**
- **شكر وتقدير**
- **المقدّمة**.....أ–ز

المدخل: صِلاتُ القَرابَة بين العربيّة والعبرية

تمهيد 2

1. نبذة وجيزة حول مجموعة اللّغات السامية 3

أ- اللّغات السامية الشرقية 3

ب- اللغات السامية الغربية.....3

ج-اللغات السامية الجنوبية 5

2. وضع المصطلح 7

3. الموطن الأصلي للغات السامية 8

4. أقدم لغة سامية 9

5. القَرابَة اللّغوية 11

1.5. مفهوم القرابة اللّغوية 12

2.5. القرابة اللّغويّة بين اللّغات السّامية في نظر اللّغويين العرب 13

6. أهم خصائص اللغات السامية وصفاتها المشتركة 17

7. أوجه الخلاف بين اللغات السامية 20

8. أهمّ مميزات الخط السامي قبل تطوره 21

خلاصة.....22

الفصل الأوّل: مفاهيم لسانية حول البنية والكلمة

أوّلا: مفهوم البنية في الدّراسات اللسانية.....24

1. مفهوم البنية: (La structure) 24

2. خصائص البنية.....31

د. الكلية 31

هـ.التحوّلات 32

و. التنظيم الذاتي (الضّبط الذّاتي).....32

3. البنيوية: (Structuralisme).....35

4.البنيوية اللغوية.....37

5.اللسانيات البنيوية 37

6.البنية عند دي سوسير 38

ثانيا: مفهوم الكلمة بين علماء العربيّة والدّرس اللّساني الحديث.....39

1. مفهوم الكلمة في الدراسات اللّسانية 39

2.1. مفهوم الكلمة في التراث اللّغوي عند العرب.....40

1.2.1.الكلمة عند النحاة العرب.....40

2.2.1. الكلمة عند علماء المعاجم العرب 44

3.2.1. الكلمة عند علماء البلاغة العربية.....46

2.ماهية الكلمة عند المحدثين (غرب وعرَب) 49

1.2.الكلمة في نظر علماء اللّسان الغربيين.....49

2.2.مفهوم الكلمة لدى اللّغويين العرب المحدثين.....54

الفصل الثاني: البنية الصّوتية للكلمة بين العربية والعبريّة

تمهيد.....60
1.الصوت اللغوي وكيفية حدوثه.....61
1.1.تعريف الصوت اللغوي.....61
2.1..كيفية حدوث الصّوت اللّغوي.....63
أوّلاً: الأصوات الصّامتة.....67
❖ الصوامت العربية.....68
2.مخارج الأصوات الصامتة العربية:.....68
3.صفات الصّوامت العربية.....70
أ– كيفية خروج الهواء.....71
ب– وضع الوترين الصّوتيين.....72
ج– وضع مؤخرة اللّسان.....73
❖ الصوامت العبرية.....74
1. مخارج الصوامت العبرية.....74
2. المميزات النطقية للصوامت العبرية.....74
ثانيا: الأصوات الصّائتة.....76
1. ماهية الصوائت.....76
2. تصنيف الصوائت.....78
3. مقاييس الصوائت.....80
4. الطبيعة الصّوتية للصوائت العربية وتنوعاتها النطقية.....84

4-1.الصوائت الأمامية 84

4-1-1. فونيم الكسر 85

4-1-2. فونيم الفتح 92

4-2. الصوائت الخلفية 97

- فونيم الضم..... 97

5. الطبيعة الصّوتية للصوائت العبرية 101

1-التعريف بصوائت اللغة العبرية 105

أ- الصوائت الصغرى (القصيرة) 106

ب-الصوائت الكبرى (الطويلة)..... 106

2-مخارج الصوائت العبرية وصفاتها وتنوعاتها النطقية 110

1.2. الصوائت الأمامية 110

1.1.2. فونيمات الكسر وتنوعاتها..... 110

2.1.2. صوائت الفتح وتنوعاتها..... 116

2.2. الصوائت الخلفية 120

1.2.2. صائت الضم الممال 121

2.2.2. صائت الضم الصريح..... 123

الفصل الثالث: البنية الفونولوجية للكلمة بين العربية والعبرية

أوّلا: ظواهر التشكيل الصّوتي للكلمة بين العربيّة والعبرية.....128

تمهيد.....128

أوّلاً– الظواهر التشكيلية.....130

1- المماثلة الصوتية (Assimilation).....130

1.2. مفهومها.....130

2.1. أنواعها 131

1.2.1.المماثلة التقدمية الكلية المتصلة.....132

❖ في العربية 132

أ– التسكين.....134

ب – القلب.....135

❖ في العبريّة 137

2.2.1.المماثلة التقدمية الكلية المنفصلة.....137

3.2.1.المماثلة التقدمية الجزئية المتصلة.....138

4.2.1.المماثلة التقدمية الجزئية المنفصلة.....139

5.2.1.المماثلة الرجعية الكلية المتصلة.....146

6.2.1.المماثلة الرجعية الكلية المنفصلة.....146

7.2.1.المماثلة الرجعية الجزئية المتصلة.....143

8.2.1.المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة.....148

2.المخالفة الصوتية (Dissimilation) 149

أ–مفهومها 149

ب-أنواعها 150

❖ صور المخالفة الصوتية في الكلمة بين العربية والعبرية 150

❖ بعض الملاحظات حول ظاهرتي المماثلة والمخالفة..... 155

3.الحذف 157

4.القلب المكاني..... 158

ثانيا: الظواهر الأدائية..... 160

2. المقطع الصوتي Le Syllabe:..... 160

4.1. مفهوم المقطع..... 160

❖ في العربية 165

2.1. أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية..... 165

3.1. مميزات النسيج المقطعي في اللغة العربية وخصائصه..... 171

❖ في العبريّة 175

2- مفهوم المقطع في اللغة العبرية..... 175

3- أنواع المقاطع في اللغة العبرية 175

2-1. مقطع بسيط..... 175

2-2. مقطع مركب..... 175

4- النَّبْرُ (L'accent): 177

4-2. مفهومه 177

❖ في العربيّة..... 178

4-3. قواعد النّبر 179

❖ في العبريّة 181

5- التنغيم (L'intonation) 182

5-1. مفهوم التنغيم 182

ت-النغمة 182

ث-التنغيم 183

الفصل الرابع: الدّراسة المقارنة لقوانين المُقابِلات الصّوتيّة

بين العربية والعبريّة وأثرها في تأليف الكلمة

أوّلا: الدراسة المقارنة لقوانين المقابِلات الصوتية بين العربية والعبرية..... 191

1.مقارنة لقوانين المقابِلات الصوتية بين العربية والعبرية 191

1.1. مجموعة الأصوات الحنجرية 192

2.1. مجموعة التجويف الحلقي 193

3.1. مجموعة الأصوات الرخوة من أدنى الحلق واللهاة (الأصوات الطبقية) 193

4.1. مجموعة الأصوات الشديدة من أقصى الحنك واللهاة 195

5.1. الأصوات الأسنانية 198

6.1. الأصوات بين الأسنانية 198

7.1. صوت الضاد 200

8.1. الأصوات الصفيرية 201

9.1. الأصوات المائعة 202

10.1. الأصوات الشفهية 203

2. مقارنة بين صوائت العربية والعبرية 204

1.2. فونيم الكسر بين العربية والعبرية 208

2.2. فونيم الفتح بين العربية والعبرية 209

3.2. فونيم الضم بين العربية والعبرية 213

3. مقارنة لألفاظ مشتركة بين العربية والعبرية 214

4. مفهوم القوانين الصوتية 215

5. خصائص القوانين الصوتية 217

6. القوانين الصوتية وتغيّر الأصوات 220

1.6. التطوّرات المطلقة للأصوات 221

2.6. التطوّرات المقيّدة (التغيرات التركيبية) 224

7. الغاية من القوانين الصوتية 228

ثانياً: أثر القوانين الصّوتية في تأليف الكلمة وتشكيل بنيتها 230

1. تعامل الأصوات فيما بينها لتأليف الكلمة العربية 231

2. شروط التأليف الصوتي للكلمة وطرق بنائه 231

1.2. شروط تأليف الصّوامت وطرق بنائه 232

2.2. شروط تأليف الصوائت وطرق بنائه 236

3. الكمية العددية للصوامت في بنية الكلمة 240

4. أثر فصاحة الكلمة في جمالية اللسان العربي 241

الخاتمة 247

قائمة المصادر والمراجع 255

فهرس الموضوعات 272

الملخّص:

تناولت هذه الدراسة البنية الصوتية للكلمة بين لغتين تنتميان إلى أرومة واحدة تدعى اللغات السامية هما: العربية والعبرية. فبعد حديثنا عن صلات القرابة التي تربط بين اللغتين حاولنا تحديد مفهوم البنية في الدراسات اللسانية ومفهوم الكلمة باعتبارها أصغر وحدة لسانية دالة، ثمّ قسّمنا دراستنا الصوتيةالمقارِنة للكلمة قسمين رئيسين؛ أحدهما تناول الجانب الصوتي، وأما الآخر فتناول النواحي الفونولوجية للأصوات التي تتركب منها الكلمة، وبناء على هذين القسمين سلّطنا الضوء على الدراسة المقارنة لقوانين المقابلات الصوتية بين العربية والعبرية من حيث نقاط التشابه والاختلاف بين اللغتين، وشروط تأليف أصوات الكلمة وطرق بنائها، ثمّ تبيان أثر ذلك التأليف في جمالية الكلمة العربية على باقي اللغات السامية خصوصا وغيرها من لغات العالم عموما.

الكلمات المفتاحية: بنية الكلمة، اللغة العربية، العبرية، دراسة صوتية، مقارنة.

Résumé :

Cette étude à aborder la structure phonétique du mot entre deux langues appartiennent à une même originalité s'appelants langues sémitiques, et sont: l'hébreu et l'arabe. Après avoir traité des liens de parenté entre les deux langues, nous avons tenté de définir la notion de structure dans les études linguistiques et le concept du mot comme étant la plus petite unité linguistiquedéfinissante, puis nous avons divisé l'étude du mot en deux parties principales: le premier à aborder le coté phonétique, tandis que l'autre a pris en considération le traitement de la phonologie des voix sur laquelle se construit le mot, età partirde ces deux divisions, nous avons mis en évidence l'étude comparative des lois des concordances phonétiques entre l'arabe et l'hébreuà travers les similitudes et les différences, ainsi que les conditions qui rédigent lesvoixdu mot etles méthodes qui lesconstruisent, démontrant ensuite l'impact de cette rédaction sur la beauté du mot arabe vis-à-vis le reste des langues sémitiques en particulier, et d'autres langues du monde en général.

Mots clés : Structure du mot, Langue Arabe, Hébreu, Etude Phonétique, Comparaison.

Abstract:

This study is devoted to tackle the phonetic structure of the word between two Semitic languages: Hebrew and Arabic. After dealing with the kinship ties between the two languages, we tried to define the notion of structure in linguistic studies, the concept of the word as a linguistic unit, and then we divided the study of the word into two main sections: the phonetic side, and the phonological side of the word. From these two sections, we have dealt with the comparative study of the laws underlying the phonemic concordance between Arabic and Hebrew, and this is through treating the similarities and differences between the two languages, and the conditions patterning the phonetic unit of the word, and its constructive methods, then demonstrating the impact of its pattering on the eloquence of the Arabic word in contrast to the rest of the Semitic languages in particular, and other languages of the world in general**.**

Keys words: Structure of word, Arabic Language, Hebrew, Phonetic Study, Comparison.